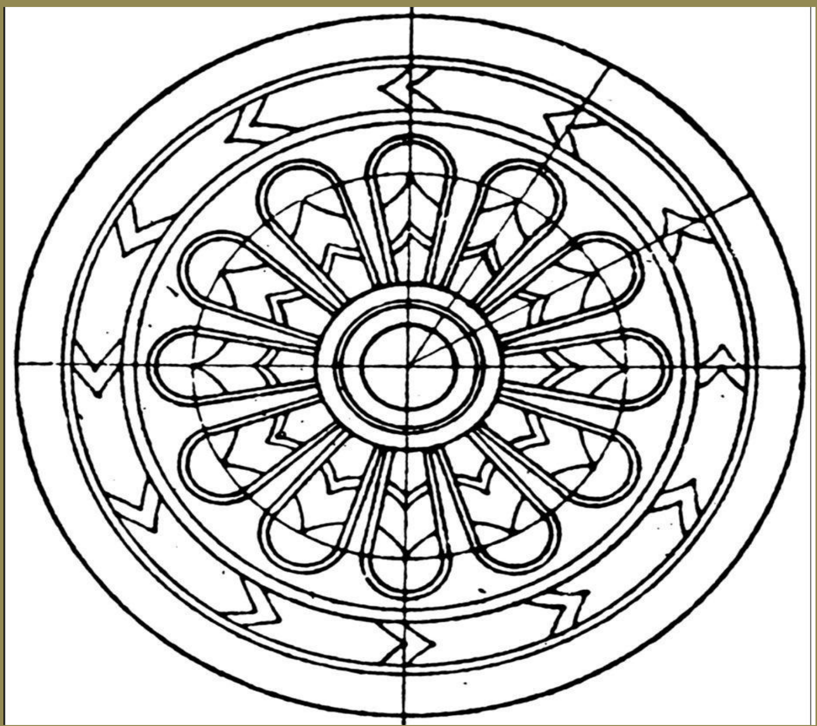
فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الثالث



فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الثالث

الطبعة الألمانية

2026

1Buche GmbH ... Oststrasse 72 ... 33332 Gütersloh
Email : info@1Buch.de Tel : 052419615700

دار الكتاب الأول للطباعة والنشر .. مدينة كوترسلوه ـ المانيا الاتحادية

فواز فرحان

التعاليم السومرية ــ الجزء الثالث

الاهداء

الى الأجيال التي تبحث عن الحقائق

في جوهر الأشياء

المقدمة ..

لا يمكن الحديث عن الحضارات الأولى في العالم دون ذكر البداية السومرية وجنة عدن (آدان) ، تلك البداية التي أشرقت معها إشعاعات الوجود البشري الأول في عالمنا ، وتلك السيرة التي تتناول أناشيد العشق السومرية والبابلية والآشورية ، وعندما نغوص في أعماق الحضارة فإننا نقف أمام تاريخ طويل للمجتمع البشري شكلت الحضارة في سومر شرارته الأولى ، فالقصص السومرية تتجاوز تلك العقلية التي حاولت تناولها كأساطير وخرافات من أجل إرضاء من وضعوا مناهج التاريخ على أهوائهم ، في هذا البحث المطوّل أحاول أن أقدم للقارئ الشيء الجديد الذي ربما لم يطلع عليه من قبل ، فأغلب الكتب والمخطوطات التي تناولت أسس وجذور هذه الحضارة بشكل مختلف لم يتم ترجمتها حتى عام 1969 ، كما أن أغلب الذين تناولوا الحضارة السومرية في أبحاثهم لم يتمكنوا من الإطلاع على جديد تلك الترجمات التي تناولت العلوم في سومر وبابل وآشور وامتداداتها الآرامية في منطقة الشرق الأوسط ..

لا يمكن تقديم عمل متكامل يتعلق بالحضارة في وادي الرافدين بشكل أدبي واحد ومن زاوية تاريخية واحدة ، فإمتدادات هذه الحضارة لا تزال تشع بنورها وثقلها على عالمنا عبر المناهج والكتب والمراجع والمخطوطات التي وصلتنا منها والتي بقي القسم الأكبر منها غير مترجم الى العربية ولم يُحظى بتسليط الضوء عليه لأسباب كثيرة تقف في مقدمتها طبيعة المناهج المُتبعة في الدولة العراقية منذ تأسيسها وخضوعها لشكل النظام السياسي في كل فترة من الفترات التي مرّ بها العراق الحديث ..

فالقطيعة مع التاريخ الأصيل أبقى الحضارة السومرية مشوّهة وبعيدة عن متناول الأجيال بالشكل الحقيقي الذي ظهرت عليه والذي جاءت لأجله ، وفي هذا البحث أضع بين يديّ القارئ وجهة نظر جديدة تتناول تلك الزوايا التي حاول أغلب الباحثين التعتيم عليها لسبب سياسي أو ديني يتعلق بشكل النظام الديني في العصر الحديث والذي يعكس في نفس الوقت شكل النظام السياسي الذي حاول إبقاء هذه الجوانب معتمة في عقيدة الدولة السومرية ..

والمزج بين الحقائق التاريخية المختلفة وأجناسها مع المضامين الفكرية والفلسفية لها يُعطي للعمل بُعداً علمياً أوسع في تناول تلك الزوايا التي بقيت في الظل من تفاصيل حياة السومريين ، لهذا نحن هنا أمام عمل من نوع مختلف يتجاوز تلك العقلية التي تحاول مجاملة الوسط الأكاديمي وعدم الخروج من تلك النظرة الضيقة والتي على أساسها قامت الكثير من التشويهات والتخبطات في تناول أهم مرتكز للحضارة في عالمنا وهو الجانب الروحي والفكري فيها ..

فالحضارة في سومر كانت قائمة على عقيدة حيّة تسيّر شؤونها الدينية والدنيوية رغم ان مفردة الدين في العهد السومري كان لها شكلاً ومضموماً مختلفين عن ما هو موجود في عالمنا المادي اليوم أو على الفكرة الدينية السائدة في العصر الحديث ..

وبقيت ألغاز وتعاليم الحضارة السومرية محصورة في دائرة ضيقة من المترجمين الفعليين لمخطوطاتها التي تجاوزت كل المقاييسس في حجمها وكثافة المعلومات الواردة منها وكان الجزء الأكبر خفياً الى عام 1969 بسبب طريقة تشفير

السومريون للعلوم وفق توقيتات فلكية لا يتمكن منها سوى علماء يجيدون فك ألغاز ورمزيات تلك اللغة المعقدة التي تركوها كأثر حيّ يشير الى عمق حضارتهم في التاريخ ..
وحاول الكثير من الباحثين تناول هذه الحضارة من وجهة نظر نرجسية تغازل هذا الطرف الأكاديمي أو ذاك وصوّرا لنا هذه الحضارة على أنها حضارة طينية مغرقة في جهلها ومليئة بالأساطير وكان سكانها يعبدون الخصوبة أو غيرها من التسميات التي إبتذلت وشوّهت عراقة أقدم الحضارات على الأرض ..
إن الغرض من هذا الكتاب ليس فقط تقديم وصف شعبي للدين الإيزيدي في بلاد بابل وآشور القديمة ، بل وأيضاً استخراج وتقديم كنوز الرومانسية الكامنة في هذا الموضوع للقارئ ، والتي تم الاعتراف بثروتها الغريبة منذ الأيام الأولى للجهود الأثرية في سومر . ومن المؤسف أن الكتاب الذين جعلوا من هذا المجال دراسة خاصة نادراً ما تمكنوا ، باستثناءات قليلة من التغلب على القيود التي غالباً ما تتدخل في أعمال العلماء والبحث . صحيح أن صفحات رولينسون ، وسميث ، ولايارد ، وسايس مليئة على فترات بصور الروعة الآشورية والمجد البابلي وهي ومضات تتلاشى مع رفع الستائر التي تحجب الماضي العجيب جزئياً لكن مثل هذه اللمحات ليست سوى فترات راحة في مناقشات مطولة غالباً ما تكون مملة للقارئ العادي . كان هذا الاعتبار هو الذي دفعني إلى إعداد هذا المجلد . هل يمكن تأليف كتاب يحتوي على الذهب الخالص للرومانسية البابلية المحررة من خامات البحث الأثري الأكثر قتامة ؟ حتى الآن كل شيء على ما يرام رغم الكثير من التزويرات التي لحقتها . ولكن الذهب في حالته النقية غير صالح للاستخدام بشكل سيئ ، والسبائك التي تجعله أكثر فائدة قد تنتقص من بريقه . سواء كانت رومانسية أم لا، فلن يكون من الجيد في هذه الأيام تقديم قصص عن الآلهة دون محاولة تعريف طبيعتهم وأصلهم . ذلك أن الرومانسية والمعرفة أصبحتا أكثر من أي وقت مضى مزيجاً ضرورياً لصنع كتاب مرضٍ عن الحضارة العظيمة للعراق . ومع ذلك ، فمن المتوقع أن يكون هذا الكتاب جذاباً بشكل خاص للقارئ الحديث الذي يحب رومانسية العصور القديمة . ويزعم أن الجزء الأكبر من الرومانسية السومرية يدور حول الأساطير والدين الرائعين لتلك الأرض ، لذلك فإن هذا المجلد يتناول هذه الأقسام من المعرفة السومرية بشكل رئيسي . لكن تاريخ بابل وآشور لم يُهمل . سوف تجد الأسماء العظيمة المذكورة في سجلاته تتكرر باستمرار في هذه الصفحات ، وفي معظم الحالات مصحوبة بقصة أو أسطورة من شأنها أن تسلط الضوء على ظروف حياتهم المهنية وتعمل على الاحتفاظ بها في ذهن القارئ .

الفصل الأول

تعاليم سرّية ..

تطرح التعاليم السومرية فكرة الحضارة من وجهة نظر تختلف تمام الإختلاف عن تلك النظرة الأكاديمية العلمية التي نحاول أن نتقيّد بها في البحث ، فأغلب التعريفات التي جاءت بها تختلف عن ما هو سائد في لغاتنا العصرية الحديثة لذلك حتى نتمكن من فهم جذور وأعماق الحضارة السومرية من وجهة نظر صحيحة لا بد لنا من الخوض في كل تسمية تأتي أمام أنظارنا ونحن نحاول البحث عن الحقيقة بشكلها السليم في ترابط الأحداث ، وتبدأ التعاليم السرية في سومر بتعاليم البداية وشكل العملية التي صاحبت نزول الحضارة الينا من كائنات أعلى مرتبة من البشر في الوجود والتي أطلقت عليهم المخطوطات السومرية بالذين هبطوا من السماء الى الأرض أو الآلهة أو الايزيديون أو الأنوناكي ، كلها تسميات تم استخدامها في وصف الشخصيات التي وضعت لمسات البداية على مشروعي الحياة والحضارة على كوكبنا الجميل ..

والمشكلة التي واجهت من حاول التصدي لهذا النوع من الأبحاث كانت تكمن في قلة المصادر أو ضعف الترجمات المتوفرة التي تعكس حقيقة المخطوطات الكثيرة والتي بدأ ترجمتها عملياً بشكل جدّي في العقود الأربعة الأخيرة وأثمرت عن ظهور عشرات الكتب باللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية تتناول بعمق العقيدة التي أقام السومريون والبابليون والآشوريون عليها حضارتهم وجعلوا أسس النظام العالمي القديم يسير على تلك الدعامات العلمية النوعية التي وضعوها وكذلك حافظوا على سرية تعاليمهم عبر تدرّج فئوي بين ابناءهم بشكل يجعل كل سبط من اسباطهم مسؤول عن جانب معيّن في الحضارة وبالتالي يكون التقسيم عادلاً فيما بينهم للظفر بمقدرات الأرض ..

وتعتبر ظاهرة الاشارة الى الحقائق من خلال الرسم الهندسي أو الرموز التي تعبّر عنها من جواهر الأفكار التعبيرية في الحضارة السومرية التي قامت كما ذكرت على أسس نوعية للغاية تتجاوز بساطة العقل البشري وطبيعته السطحية للغاية قياساً للأسباب الجوهرية التي دفعت الأوائل لبناء اور وأريدو ولكاش ولالش وسيبار وباد تيبيرا وغيرها في عدن ..

ولتناول سرّية التعاليم السومرية والتي أرادت النخبة ابقاءها في الخفاء سنبدأ مع القارئ الكريم بوضع أولى أسس تلك السرية والأسباب التي وقفت خلفها ، أن تتدعي إحدى الحضارات أن كائنات من عوالم موازية أو أزمنة موازية أو كواكب أخرى جاءت لعالمنا وحرّكت الروح والنفس في كوكب الأرض ربما ستبدو نظرية من هذا النوع ضرب من الخيال العلمي كما تصفه العقلية الأكاديمية المحدودة التي لا تستطيع إستيعاب القيم الجوهرية للفكرة بسبب القياسات المحدودة للعلم الأكاديمي والقاصرة فعلاً في تناول مواضيع عميقة من هذا النوع أبقت سومر وأسرارها متفوقة على مرّ العصور بسبب جهل الأغلبية بطبيعة البداية والنشوء في عدن ..

عبّرت المخطوطات السومرية بطريقة ميتانية (اسطورية) مغرقة في العمق على الشكل الظاهر والباطن للحقائق التي قامت على أساسها الحضارة في كوكبنا ، فهي كانت شاملة ومعبرة في نفس الوقت وتمتد الى أعماق واسعة في التعابير السليمة ، لذلك شكلت الكوزمولوجيا الدينية الشيء الأساسي من عمق تلك الحقائق ..

وعندما يتصدى الانسان لدراسة التعاليم السومرية فإن أول ما يخطر ببالنا هو تلك الآلهة التي كانت تحكم عالمنا ، أطلق عليها البعض آلهة الخصوبة والبعض الآخر آلهة الهواء والماء والتراب والنار ، والبعض علل الموضوع بأن البشر أصلاً خلقوا لهم هذه الآلهة كي يركنوا اليها في الشدائد ، ورغم ضيق أفق تلك الطروحات التي لا تمت للحقيقة بأي صلة إلاّ أن الكثير من الذين وصلوا مراحل دراسية لا بأس بها مقتنعين أن الحقائق بهذا الشكل ليس إلاّ !!

لذلك علينا قراءة هذه المخطوطات والنصوص التي تم ترجمتها حديثاً بشكل دقيق حتى نتمكن من استنباط الحقائق بعيداً عن خيال من ابتذلوا التاريخ السومري وجعلوه يبدوا كأساطير يجب أن تحكى للأطفال ، وأول أسس تلك التعاليم كانت ملكية الأرض وتاجها الذي جاء من السماء وأن كل شيء فيها يقوم على مفهومين الظاهر والباطن في العلوم الآدانية التي أتو بها الى كوكب الأرض وجعله كوكباً ينبض بالحياة ، وقبل أن تتحرك الأرض حول نفسها وحول الشمس كانت تتدلى بطريقة ميّتة تارة الى اليمين وأخرى الى اليسار ولم تكن تلك البحار نابضة متحركة بقدر ما كانت تثقل كاهل حاملها وتجعله يترنح ويعيش لحظات الموت بإستمرار ..

نزلت الآلهة وفق المخطوطات السومرية وقصيدة التكوين والخلق البابلية لتبعث الحياة في الأرض وتبني الحضارة ، نزلت من السماء ومعها اللوح والقلم والتاج والصولجان لتأسيس ملكية دستورية تخضع للآلهة على كوكبنا ..

تأسست عدن في أريدو أولى المدن الحضرية التي تم وضع فيها أولى تلك التعاليم وطريقة تقسيم الأرض وهواءها وماءها وترابها ونارها بين الآلهة التي نزلت فبدأت عملية البحث عن مكان سرّة الأرض وخميرتها ، وعندما أقول في أريدو فقد جمع هذا المكان الكبار في لحظة من لحظات البداية وبدأوا فيها عملياً تقسيم كل شيء بما في ذلك المهمات والواجبات على كل إله وعلى كل جندي من جنود الآلهة ..

تحدثنا المخطوطات السومرية على أن لالش كانت أولى تلك الأماكن في الشمال السومري والتي مثلت سرّة الأرض وخميرتها والمكان الذي أطلقوا عليه بجبال عشق ايزيدا ..

وبقيت أغلب الحقائق في الخليقة السومرية مشفرة في علم باطن كانوا يطلقون عليه بعلم اللوح والقلم لعشاق ايزيدا ، وحتى نتمكن من إختراق تلك الحقائق علينا الوقوف ملياً عند الكثير من النصوص التي حملها الايزيديون من العصر السومري الى يومنا هذا لتدل على عمق الأثر الحضاري في نقل الحقيقة وإبقاءها كما هي رغم مرور آلاف السنين على تأسيس تلك العلوم وتلك الرموز ..

Ein spätbabylonischer Hymnus auf den Tempel Ezida in Borsippa

Von F. Köcher Berlin

In der akkadischen Hymnen-Dichtung ist — ganz im Gegensatz zu der sumerischen1 — der Typ des Preisliedes auf Tempel oder Kultstadt nur spärlich bezeugt. Sieht man von der gelegentlichen Erwähnung der Heiligtümer ab, die in Ruhmes- und Dankliedern an die verschiedensten Gottheiten anzutreffen ist, so bleibt neben dem zweisprachigen Loblied auf Babylon und Nippur2 nur die unlängst veröffentlichte Hymne auf Arbela3 zu erwähnen4 .
Im Hinblick auf diese Überlieferungslage scheint daher die Publikation eines weiteren Zeugnisses dieser Literaturgattung gerechtfertigt zu sein. Der hier vorgelegte Text VAT 38475 befindet sich seit dem Jahre 1901 in der Tontafelsammlung des Berliner Vorderasiatischen Museums und war ehedem im Besitz von James Simon. Die sehr gut erhaltene Tontafel mißt 60x40x18 mm; sie ist im neubabylonischen Duktus beschrieben und erweist sich als Abschrift eines uns nicht bekannten Originaltextes. Über ihren Fundort ist nichts verzeichnet; stichhaltige Indizien für ihre Herkunft lassen sich auch aus der Unterschrift nicht gewinnen, es sei denn, daß man die drei hier genannten Personennamen, die jeweils den Namen des Gottes Nabu enthalten, als Hinweis auf einen der Hauptkultorte dieses Gottes gelten läßt.

1 Vgl. u. a. H. Zimmern, Ein Zyklus altsumerischer Lieder auf die Haupttempel Babyloniens, ZA 39: 245ff., und die Text-Zusammenstellung bei E. Ebeling in Jhb. f. kleinas. Forsch. II: 274. Im allgemeinen darf ich auf die grundlegenden Ausführungen zur sum.-akkad. Hymnenliteratur verweisen, die A. Falkenstein und W. von Soden in ,,Sumerische und akkadische Hymnen und Gebete" (Zürich 1953) ihren Übersetzungen vorausgeschickt haben.

2 E. Ebeling, KAR Nr. 8 [Bearb.: OLZ 1918: 132f.].

3 E. Ebeling, LKA Nr. 32 [Bearb.: Jhb. f. kleinas. Forsch. II: 274ff.].

4 Die von E. Unger in RLA I sub Barsippa (p. 423) genannte unveröffentlichte Hymne, ist nach C. Bezold, Catalogue Vol. I: 273 (K. 1354) eine Tempelliste.

5 Für die mir erteilte Publikationserlaubnis des Textes danke ich Herrn G. R. Meyer, Direktor des Vorderasiatischen Museums in Berlin; Herrn W. von Soden bin ich für einige Hinweise zum Texte verpflichtet.

Ein spätbabylonischer Hymnus auf den Tempel Ezida in Borsippa



Die 18 Zeilen umfassende Hymne besteht aus 9 Doppelversen ungleicher Länge. Ihre Disposition ist leicht erkennbar: 1. Doppelvers l—5 Beschreibung des Tempels; 2. Doppelvers 6—8 Name und Charakterisierung des in Ezida wohnenden Gottes; 3. Doppelvers 9 Wunschformel. Sachlich interessant ist lediglich die erste Strophe unseres Liedes. Denn diesem Abschnitt des Textes lassen sich — über das bisher Bekannte hinaus — wesentliche Aussagen über das Aussehen Ezidas entnehmen, sofern man geneigt ist, die Beschreibung des Tempeläußeren konkret aufzufassen und nicht etwa in ihr nur eine Häufung von Epitheta ornantia sehen will. Bekanntlich hat H. C. Rawlinson6 bei der Untersuchung der Ruinen von Birs Nimrüd im Jahre 1854 die Überreste von 6 Stockwerken7

des Tempelturmes festgestellt, die aus1 verschiedenfarbigen Materialien8 erbaut worden sind. Als R. Koldewey9 rund 50 Jahre später die Ruinen Borsippas erneut durchforschte, fand er weder Spuren der ,,ursprünglichen Erscheinungsform der Außenseiten" des Tempels noch Farbreste an dem umherliegenden Baumaterial. Wir sind nicht befugt, die sich widersprechenden Aussagen der beiden Gelehrten in Zweifel zu ziehen. Es bleibt uns nur übrig,

festzustellen, daß sich auf Grund unseres Textes die Beobachtungen H. C. Rawlinsons in einigen Punkten mit dem tatsächlichen Erscheinungsbild des Tempels decken. Denn wir erhalten bei Prüfung des beim Bau verwendeten Materials in der Tat eine Farbenskala, die von gelb-grün oder rot (Speckstein) über Gold, gelb-weiß (Alabaster) bis zu blau (Lapislazuli)10 reicht.
URU.BÄR.SIB.KI a-na Sa-ma-mi ki-i ma-s[il] 2 sin-na-at Sa E.SÄR.RA sd-qu- fi.ZI.DA mi-im-ma TUK-w sa-a-a-ah DINGIR 4 Sa URU.KI bal-ta-su GlS.SAR.MES Ü.LAL.LA qim-mat-su ur-pa kas-sid 6 sur-su-su sur-su-du hi-su- a-ra-al-li lib-na-as-su sä NA4.AN.KAL 8 ki-lil-su sa-ri-ri GU§KIN s a liq-ti ki-is-su-m NA^giS-nUx-gal-lum 10 NA4.ZA.GIN.SIK.KA.TUM lu-bu-us-ti sd fi.ZI.DA Sa i-na lib-bi ds-bu tup-$ar-ri DINGIR.ME§ 12 *Na-bi-um DUMU E.SAG.IL na-si-ma tup-pi NAM.MES a-na ka-la DINGIR.MES 6 Vgl. JRAS 18 (I860): Iff. 7 Vom postulierten siebenten Stockwerk ist nichts erhalten geblieben. 8 H. C. Rawlinson konnte noch die Farben schwarz (Asphalt-Überzug), rot (gebrannte Ziegel), gelb (Ziegel) und blau (verschlackt) erkennen. Für die vierte Etage: deren Mauerverkleidung abgehackt war, vermutete er einen Überzug aus Gold. 9 Vgl. WVDOG 15: 57 ff.

في النص أعلاه يُبين لنا اللوح السومري المأخوذ من ترنيمة أكدية لمعابد ايزيدية في بورسيبا انها تختلف من حيث المضمون عن الاشعار السومرية التي كانت تتغزل مباشرة بالعشق الإلهي وبوابات العلم الايزيدي ومعابده في اور وأريدو وسيبار وباد . تيبيرا ، وحتى نتمكن من تقديم الفكرة للقارئ نلاحظ ان النقاط التي ناقشها اللوح تقول ..
1 ـ لم يتم إثبات نوع ترنيمة المديح للمعابد أو المزارات ومدنها الا بشكل ضئيل في الترانيم الأكدية ، بصرف النظر عن الاشارة العرضية للمقدّسات الايزيدية ، والتي يمكن العثور عليها في الأقوال والسبقات التي تقدم الشكر للآلهة المتنوعة وبصرف النظر عن ثنائية اللغة (الأكدية والآرامية) في بابل ونيبور ..
2 ـ لم يتم سوى ذكر ترنيمة وقول الآلهة الأربعة (الهواء والماء والنار والتراب) اربائيلو المنشورة مؤخراً في ضوء هذا التقليد ..ويبدو أن نشر المزيد من الأدلة على هذا النوع الأدبي لهُ ما يبرره ..
النص المعروض هنا ، ضريبة القيمة المضافة 38475 ، موجود في مجموعة الألواح الطينية لمتحف برلين للشرق الأدنى القديم منذ عام 1901 وكان مملوكًا سابقًا لجيمس سيمون. يبلغ مقاس القرص الطيني المحفوظ جيدًا جدًا x40x1860 مم ؛ موصوفة بأسلوب بابلي جديد وتبين أنها نسخة من نص أصلي مخفي غير معروف لنا. لم يتم تسجيل أي شيء عن مكان وجودهم ؛ لا يقدم التوقيع أي دليل قاطع على أصله ، ما لم يتم قبول الأسماء الشخصية الثلاثة المذكورة هنا ، وكل منها يحتوي على اسم الإله نابو ، كإشارة إلى أحد أماكن العبادة الرئيسية لهذا الإله.
تتكون الترنيمة المكونة من 18 سطرًا من 9 آيات مزدوجة بطول غير متساوٍ. يمكن التعرف على شخصيتهم بسهولة: 1. الآية المزدوجة 1-5 وصف للمزار ؛ 2 الآية المزدوجة 6-8 اسم وتوصيف مسكن الإله إيزيدا ؛ 3. الآية المزدوجة 9 صيغة التمني. فقط المقطع الأول من أغنيتنا مثير للاهتمام من الناحية الواقعية.

بالنسبة لهذا القسم من النص ، يمكن – بخلاف ما هو معروف بالفعل – عبارات أساسية حول مظهر إيزيدا ، بشرط أن يميل المرء إلى تفسير وصف المظهر الخارجي للمعبد بشكل ملموس ولا يرغب في رؤيته على أنه مجرد تراكم للصفات الزهرية . كما هو معروف ، اكتشف إتش سي رولينسون 6 بقايا 6 طوابق 7 من برج المعبد عند فحص أنقاض بيرس نمرود في عام 1854 ، والتي تم بناؤها من 1 مواد ملونة مختلفة. عندما فحص R. Koldewey9 مرة أخرى أنقاض بورسيبا بعد حوالي 50 عامًا ، لم يعثر على آثار "المظهر الأصلي للخارج" للمعبد ولا بقايا طلاء على مواد البناء المحيطة (كانت على شكل زقورات في الشمال حول المزارات وتم رفع الحجارة منها لتبدو على شكل مزارات على أعلى التلال والمرتفعات) . ليس مسموحًا لنا بالشك في التصريحات المتناقضة من الباحثين ، يبقى لنا فقط أن نقول أنه ، على أساس نصنا ، تتفق ملاحظات إتش سي رولينسون في بعض النواحي مع الواقع الفعلي الموجود ..

وعلى أنقاض بورسيبا لم يتم العثور طوال خمسون عاماً على المظهر الأصلي للبناء لكن تم اكتشاف الألواح التي تم تصميم المزار والمواد الداخلة في بناءه فيما بعد ، والتي توضّح أن المزار كان قائماً على هندسة تدخل الحجارة الذهبية في بناءه وكذلك أحجار اللازورد الأزرق ..

ويذهب النص في طرح القول والسبقات على الشكل التالي ..

كيف تبدو بورسيبا مثل الجنة!

مثل صورة الاسراء عزته العالي ايزيد !

في كل شيء يرضي آدي .

إنها زينة المدينة وحدائقها ... ؟ !

يصل تاجها إلى الغيوم ،

إن جذورها عميقة ، تخترق العالم السفلي!

طوبها حجر الأملس ،

ذروتها إلكترون ، ذهب خالص!

غمده من المرمر.

فستان إيزيد مكون من 10 مقابض من الحجر الأزرق!

من ساكن فيها هو كاتب الآلهة.

نابو بن اساجيلا.

يحمل لوح أقدار كل الآلهة

يعطي دائما التعليمات!

يحمل قلم الحقيقة [هيت]

اختبارا للناس يوما بعد يوم!

اجلس على كرسيك يا ابن الرب ،

لكي يمتلئ بيتك إيزيدا بالفرح!

ملاحظات

3 يختلف الحرف التالي لميما عن ني (السطر 16)

فقط من خلال الأفقي الطويل الممتد (في المائل الجديد

الكذب) إسفين. إنه مع W. von Soden (رسالة بحرف) بلا شك TUK مع الهاتف. تكملة basu = u

للقراءة ؛ ميما باسو

حرفيا "كل ما هو متاح". Zu sä ahu "جميل ، لذيذ" cf.

ملحمة جلجامش رر. V: 519 [على هذا V. كريستيان ، 148 :WZKM 40].

10

حول استخدام اللازورد في بناء الجزء العلوي (= المعبد العالي) من

برج المعبد راجع لوحة حجرية كبيرة نقش نبوخذ نصر الثاني ، VAB IV ،

128: 67 وما يليها.

مقدم لكم من | مكتبة جامعة جلاسكو

مصدق

4 لا يمكن تفسير الكلمة الأخيرة من هذا السطر في الوقت الحالي.

يجب ألا يكون هناك شك في قراءة LAL (حول الحلاقة). هل O.LAL.

LA حول إيديوغرام لالو "النعيم" أو ما شابه؟

5 qimmatu "قمة ، رأس ، أعلى (من الشجرة)" على النقيض من ذلك

على سورسو "الجذر ، الأساس" في الآية التالية – في urpu "ge wölk" انظر W. von Soden،

LTBA II، 309 :2 ، حيث يتم حجز upü كمرادف. – قاصد بابل الراحل. ترايبود ل kasid "وصل" im

الشعور بـ "المتاخمة" (السماء).

7 aban Lamassi) NA4.AN.KAL) بعد ZA

هذه التعاليم السرية عرفها السومريون باللغتين الأكدية والآرامية وكانت تصف معابد ومزارات ايزيدا المنتشرة في سومر وبابل وآشور على شكل زقورات مرصوصة بالحجارة الضخمة والمرمر واللازورد (تم نقل الحجارة واللازورد الى بريطانيا فيما بعد) وهي جزء من الف جزء وجزء من تعاليم سومر السرية التي سنتناولها مع كل لوح من هذه الألواح وترجمتها بشكل دقيق والمكان الذي تتواجد فيه الألواح والمصادر الأكاديمية التي تشير اليها ..

Wie gleicht doch Borsippa dem Himmel
Ein Ebenbild von Esarra ist das hohe Ezida
In jeder Hinsicht ist es lieblich (anzusehen) für Adi
es ist die Zier der Stadt, Gärten der
Sein Scheitel erreicht das Gewölk
G seine Wurzeln sind tief gegründet, sie dringen durch bis zur Unterwelt
Seine Ziegel sind Speckstein
seine Zinnen Elektron, gediegenes Gold
Seine Ummantelung ist aus Alabaster
aus Blaustein-Knäufen besteht das Kleid von Ezida
Der darin wohnt, ist der Schreiber der Götter
!Nabü, der Sohn Esangilas
Er trägt die Tafel der Schicksale, allen Göttern
!erteilt er stets Weisung
Er hält den Griffel der Wahr[heit] und
!prüft die Menschen Tag für Tag
,Nimm Platz auf Deinem Thron, Sohn des Herrn
!daß Dein Haus Ezida sich mit Lust fülle
(Gemäß seiner Vorlage abgeschrieben und kollationiert; Nabü-nädinnapisti-su?, < Sohn des Nabu-etir-napsäti, Sohn des Täb-sil-Nabü hat es geschrieben

----

Bemerkungen

(Das auf mimma folgende Zeichen unterscheidet sich von ni (Z. 16 3
nur durch den lang ausgezogenen waagerechten (im neub. Schräg
liegenden) Keil. Es ist mit W. von Soden (briefl. Mitteilung) zweifellos TUK mit phon.
Komplement u = basu zu lesen; mimma basu
.wörtl. ,,alles, was vorhanden ist". Zu sä ähu ,,lieblich, köstlich" vgl
.[Gilgamesch-Epos Tf. 9V: 51 [dazu V. Christian, WZKM 40: 148
10
Über die Verwendung von Lapislazuli beim Bau der Spitze (= Hochtempel) des
,Tempelturmes vgl. die große Steinplatteninschrift Nebukadnezars II., VAB IV
.ff 67 :128

.Das letzte Wort dieser Zeile ist für mich vorläufig nicht zu deuten 4
.An der Lesung LAL (über Rasur) dürfte kein Zweifel sein. Ist Ü.LAL
? ,LA etwa Ideogramm für lalü ,,Wonne" o. ä
qimmatu ,,Scheitel, Spitze, Wipfel (beim Baum)" steht im Gegensatz 5
zu sursu ,,Wurzel, Fundament" im folgenden Vers. — Zu urpu „Gewölk" s. W. von Soden, LTBA II, 2: 309, wo upü als Synonym gebucht ist. — kassid spätbabyl. Stativ für kasid ,,hat erreicht" im

.(Sinne von ,,stößt an" (den Himmel
NA4.AN.KAL (aban Lamassi) ist nach ZA 7

المصدر
Die Tempel von Babylon und Porsippa
Leipzig
J.C. HINRICHS`SCHE BUCHHANDLUNG 1911
S 50- 56

ترجمة النصّ أعلاه بتصرّف ..
معبد ايزيد في بورسيبا
كم تشبه بورسيبا الجنة في السماء
بصورة تشبه الإسراء هو ارتفاع معبد ايزيدا
من كل الجوانب تستطيع رؤية الخالق (آدي)
زخرفة المدينة .. حدائق يصل تاجها الى الغيوم
جذورها عميقة فهي تخترق العالم السُفلي
طوبها من الحجر الأملس
ذروتها الألكترون والذهب الخالص ..
غمدةُ مصنوع من المرمر
ثوب ايزيد يتكون من مقابض زرقاء
والساكن فيها كاتب الآلهة
نابو بن آسانجيلا
يحمل لوح أقدار كل الآلهة ..
هو دائماً يُعطي التعليمات
يحمل قلم الحقيقة (هيت)
ويتحقق الناس يوماً بعد يوم

إجلس على كُرسيّك يا إبن الآلهة
لكي يمتليء بيت ايزيدا بالفرح

مناقشة النصّ

يصف النشيد معبد ايزيدا بالجنة التي في السماء لدقة هندسة المعبد وتألقه باللازورد الأزرق والمعادن الثمينة ، ويصف بنايته بأنها تشبه الحدائق االتي تمتد الى العالم السفلي ويمكن رؤية الخالق من خلاله ومن خلال ارتفاعه من كل الجوانب ويصف الراعي عليه نابو ابن اسنجيلا (ابن الشمس أو ابن عشق الله) والذي يحمل لوح الحقيقة والشريعة ليُطبقها الناس ويراقبهم هو بعمق من خلال مكانته العالية في القداسة حيث يصفه بإبن الآلهة ..

في قصة الخليقة الايزيدية تتناول الألواح السومرية الآلهة على أنها ثلاث وهي ..

آدي ـ خالق الوجود

خلق آدي الهيكلية العظيمة للوجود وأسس الماء والهواء والتراب والنار وخلق إله لكل عنصر من عناصر التكوين وجعل في يدهم اللوح والقلم ..

طاوسي ملك .. خالق الملائكة والأرواح المقدسة والصالحة ..

خلق هيكلية العوالم السبعة وسلم كل عالم من العوالم السبعة لملاك او قديس يحكم ذلك العالم ..

ايزيد .. خالق الكائنات والمخلوقات في عالمنا

تصف الألواح السومرية ايزيد بأنه خالق العالم المادي الموضوعي وإلهه وهو جزء من الثالوث المقدس الذي يسميه الايزيديون بالعرش المقدس أو بيت آديا أو أور ـ آديا ..

نلاحظ ان هذا اللوح يميّز بين عظمة ايزيد ورضا آدي في السبقة رقم 2 والملاحظ ان المترجم الالماني في متحقف برلين استبدل كلمة آدي بالله او كلمة كَوتر (الآلهة) الالمانية على إعتبار ان القارئ سيفهم معنى الإله لكنه لم ينتبه هنا الى ان الموضوع يتعلق بآلهة سومر (آدي وايزيد) ونقل الترجمة الدقيقة على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لنا ..

هذه التعاليم تناولت تلك الآلية التي بنيت على أساسها العلوم السرية في سومر والتي تم فيها استخدام لغتين احداها مقدسة للكهنة والشيوخ هي الأكدية والثانية للعامة هي الآرامية ..

ويتجنب أغلب الذين تناولوا دراسة الحضارة السومرية ذكر تفاصيل تتعلق بمعابد ايزيد او الخرائط المنتشرة في المتاحف والتي تتناول التاريخ الايزيدي للبداية السومرية فقصة الخليقة اينومائيليش وقصة الخلق الآشورية كلها في صميمها وفق هذه المخطوطات والتسميات ايزيدية خالصة أخذت منها باقي الأديان قصصها وليس العكس ، فالايزيدية بدأت في اور وأريدو ولالش قبل أن تشرق الشمس على باقي مدائن الشرق الأوسط ..

وهذا الكلام ليس مصادرة للحقيقة التاريخية بقدر ما هو تجسيد فعلي لها يعكسها بقوة وصدق ، وعندما بدأ عظماءسومر في وضع أسس لبنات الحضارة الأولى كانت لغتهم مقدّسة وهي اللغة الأكدية التي تم سحبها من التداول بالتدريج بعد تأسيس شكل للمملكة الآدانية في عدن وقوانين ونظم لتسيير طبيعة الحياة فيها ..

لذلك كل من يتبحّر في دراسة أعماق المعاني والمدلولات في الحضارة السومرية لا يمكنه ان يتجاهل لغة الرموز التي اعتمدها السومريون في التعبير عن الحقائق ، فصراع الآلهة مع قوى الشر لم يكن صراعاً بالمفهوم البشري العادي المتداول في علمنا الأكاديمي أو يعكس شيء من فكرة البشر العادي عن مفهوم الصراع التجريدي ، بل كان صراع طاقات حيّة يمت بصلة لعلوم نوعية كانت سائدة في ذلك العصر تتجاوز العلوم الكمية العادية التي يتم تدريسها اليوم والتي تبتعد بكل قوة عن الاشارة للطاقات وعلومها الروحية قديماً وهذا ما جعل دراستنا لمفهوم الحضارات قاصراً لأنه تجنّب الإشارة الى الجوانب الروحية لأعمال الحضارات القديمة بشكل عام ..

والذي يدرس تلك الحضارات يغوص في أعماق معقدة للغاية من زاوية ضيقة في البحث تتسع تدريجياً لتصل آفاق واسعة تجعل الباحث يفهم بشكل تدريجي الحقائق في جوهر الأشياء ..

هنا نكون أمام فهم الرموز التي تحدث عنها السومريون ، فكلمة جبل لا تشير الى صورة أرضية لمادة طبيعية بقدر ما تشير الى جبل كوني يفصل بين الأكوان والمجرّات وبين الكائنات والمخلوقات في العوالم العليا ، فالقمة والهاوية هنا يصبحان رموز لقضايا عميقة تخصّ صلب التطور الروحي للكائنات والمخلوقات ورحلتها عبر الأكوان والمجرّات متجاوزة بكل ما تعنيه الكلمة مفردتي الزمان والمكان ..

تشير التعاليم السومرية الى رحلة الروح في الوجود من بدايتها حتى تصبح آلهة تتمكن من تغيير أشكالها الى كل أشكال الكائنات والمخلوقات التي تصل حسب التعاليم السومرية الى 18 الف شكل ونوع ولون من أشكال هذه الكائنات والمخلوقات لهذا نجد أغلب رموز الحضارة السومرية هي نصب تذكارية لثعبان بأجنحة أو زاحف أو هيئة بشرية برأس أسد أو ثعلب أو شكل آخر من أشكال الكائنات التي كانت القبائل السومرية تستعرض طاقات أفرادها في الأعياد من خلال صراع الطاقات والقدرات الخارقة هذه ..

وربما من يفهم طبيعة هذه التعاليم سيفهم طبيعة نظرية التطور في جذورها والتي تبدأ من خلية حيّة صغيرة الى أكبر الكائنات المتمثلة بالديناصورات التي تشكل أعلى مراحل وصول المخلوق الى قدرات عظيمة تمكنه من إغناء كوكب كبير بدماءه لتتشكل مع هذه التضحية من مخلوقات كالديناصورات بوادر حياة في كواكب كثيرة وليس كوكبنا الأرضي وحده ..

فإحدى القصص القادمة لنا من الموروث السومري تحدثت لنا عن ملايين الديناصورات التي جاءت الى كوكبنا من أماكن أخرى في الكون لتجعل كوكبنا الذي كان عبارة عن خربة خالية يترنّح يميناً ويساراً كبندول الساعة الجدارية ينبض بالحياة ..

تحلل كائنات الديناصورات في تربة كوكبنا أغنى قشرته الأرضية بمواد صلبة ساهمت تدريجياً في إنعاشه وبعث الحياة فيه ، وربما هذه هي المرة الأولى التي يتم ترجمة مخطوطات تتحدث عن أعلى درجات التطور الفسلجي للكائنات

لتصل عتبة الديناصور العملاق الذي يضحّي بحياته من أجل بعث الحياة في كوكب من كواكب المجموعة الشمسية مثلما تصور لنا الرموز السومرية آلهة كوكبنا بأنهم ديناصورات كبيرة بأجنحة وزواحف عملاقة ..

تبقى وجهة نظر السومريون هنا مقبولة إذا ما تمكنا من دراسة جيولوجيا الطبقات المكونة للقشرة الأرضية وخاماتها وطبيعة الأحجار المكونة لها ، ولهذا السبب بالتحديد لم يتمكن الكثير من علماء الآثار وترجمة المخطوطات من فهم الرموز وأهميتها في حضارتنا السومرية ، فالعالم السفلي في تعاليم سومر هو العالم الذي هبطت اليه الكائنات المتنور التي تسمى بالآلهة في الأدب السومري لتشكل الحياة على كوكبنا ، وعندما هبطوا الى عالمنا الذي نسميه اليوم كوكب الأرض أدركوا أن هذا الكوكب المترّح يقع على عمود أطلقوا عليه الشدة والحزم وبالتالي يتشكل من قوتين وثائيتين لا يمكن تجاهلهما وهما النور والظلام والخير والشر والظاهر والباطن ، فوضعوا أسس لنظام يقوم على إرساء دعائم روحية تحقق التوازن للكائنات والمخلوقات على كوكبنا وتجعله دائم الحياة عبر هذه الثنائية ..

وعندما نطل على دراسة شكل العوالم السفلية في الحضارة السومرية نجد أن الآلهة أسندوا إدارة الجانب السفلي للعالم الروحي الى أريشكجال إبنة أنكي الرب وزوجها وجعلوها عبر علوم نوعية عميقة للغاية تحمي البوابات النجمية المؤدية الى تلك العوالم على كوكبنا والتي تنتشر في جسد هذا الكوكب الجميل ..

ويرمز العالم السفلي في تعاليم سومر السرية الى الرغبات المكبوتة المحمّلة بالشعور بالذنب عند الأرواح والأنفس الهائمة التي تشعر بعذاب الضمير المتجاوز للحدود ، وتلعب هنا العلوم النوعية السائدة تحديد طبيعة تلك الأرواح والأنفس على كوكبنا ، وفي الجانب العلوي أسندوا إدارة سماء الأرض الى أنليل الرب الذي وضع إحداثيات هذه الأرض وطبيعة أشجارها وبحيراتها وبحارها ومحيطاتها وجبالها وصحاريها وطبيعة البوابات النجمية التي تقود الأرواح والأنفس الى العوالم العليا وفيما بعد تم اسناد هذه المهمة الى شمش او شيشمس ومعنى الاسم هو الشيخ الشمساني حامي مفاتيح السماء ..

ويشير العالم العلوي الى علم خاص يتعلق بتسلق الأرواح والأنفس الى النور وكذلك السيطرة على تأثيرات الطيف الكهرومغناطيسي على الكائنات والمخلوقات والطبيعة الحيّة في كوكبنا عبر علوم نوعية وصل لنا منها الشيء القليل والذي نسميه اليوم بهندسة التحسّس النائي المتعلقة بضبط ترتيب الأراضي والحقول بما يتناسب ووقوعها تحت تأثيرات الطيف وريّها بطريقة سليمة تنتج لنا ثمار طبيعية خالية من السموم التي قد تصلنا كجزء من أجزاء الطيف ..

وعندما نتعمق في شكل الألواح التي تناولت الأرض بعد دورانها حول نفسها وحول الشمس وتحولها الى عنصر فعّال في مجموعتنا الشمسية نرى أنه تم اكتشاف أكثر من سبعة مراكز لتمثل سرة الأرض أو بواباتها النجمية التي ينبغي تفعليها قبل أن تبدأ حركتها الطبيعية فقد كانت حركتها تشبه حركة بندول الساعة يميناً تارة ويساراً تارة أخرى قبل أن تنطلق في حركة دائرية أبدية تجعلها عنصر فعّال في المجموعة الشمسية ..

إقتباس ..

مني السماء

الأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها
جمّلت ببهجة جسدها ..
الأرض العريضة ، بالمعدن الثمين واللازورد
زيّنت جسدها ..
تبرّجت بالينع والعقيق الأحمر البرّاق
زيّنت السماء رأسها بأوراق الشجر
وظهرت وكأنها الأميرة ..
الأرض المقدّسة العذراء تبرّجت
من أجل السماء المقدّسة ..
السماء .. الإله الرائع الجمال
غرس في الأرض العريضة ركبتيه
وسكب في رحمها بذرة الأبطال
الأشجار والمقاصب ..
الأرض الطريّة ، البقرة الخصبة تشبعت
بمنيّ السماء الغني ..
بالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة
وبغزارة حملت الأرض نباتات الحياة
وبغزارة حملت الأرض هذا التاج الرائع
وجعلت الخمر والعسل يسيلان ..
انتهى الاقتباس (ديوان الأساطير سومر وأكد وآشور . ص21 قاسم الشوّاف ، وآدونيس)

المتمعّن في الرمزية التي تحيط أناشيد الحب السومرية قد تبدو لهُ لأول وهلة على أنها قصص غزل وعشق ، لكن الموضوع هنا يصف بعمق تلك الأبيات التي بدأت الآلهة من خلالها عملها في إعادة الحياة لكوكب كان عبارة عن خربة وخالية من البشر والمخلوقات العاقلة فدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس أعاد لها إنطلاقتها كمكان قابل للحياة يستقبل ألوان الطيف بطريقة طبيعية ويستقبل أشعتي الشمس والقمر ليشكلان الخمر والعسل في الرمزية الشعرية للأبيات السومرية ..

والحقيقة أنه لم يكن هناك أكثر من هذه الرمزية عمقاً للإشارة الى الأعمال الخالدة التي قامت بها الآلة في سومر من أجل بعث الحياة في كوكبنا وإستأنافها ، فبدأت مع بدايتها اور واريدو ولكش والمدن الأولى للمملكة الآدانية (جنة عدن) والتي سُميت تيمناً بالخالق آدان وقتها أو آدوناي (الرب) ..

الفصل الثاني ..

جذور الحضارة

بقيت الكثير من ألغاز سومر مخفية وغير مترجمة ورغم المحاولات الكثيرة التي تناولت جذور الحضارة في سومر إلاّ أن أغلب الباحثين وعلماء الآثار كانت تنقصهم المعرفة والإلمام بجوانب تخص العقيدة الدينية لسومر والتي لم يفهموها لأنهم لم يسألوا أهلها الأصليين عنها (الايزيديون) كما لم يفهموا الكثير من الترجمات وتعابيرها لأنهم يفتقدون للإلمام بالتعاليم الايزيدية السومرية الأصل والمعنى ..

فمن الصعب عليهم فهم ما حصل في نهاية سلالات اور والى اين انتقل البشر لحظة الكارثة التي حلت بسومر وتحولت ارضها الخصبة وانهارها ووديانها وبحيراتها الى دمار شامل منتشر في كل الأطراف ، كما أن عدم رغبة الباحثين في تصديق حدوث الكارثة أفقدهم القدرة على فهم تفاصيل تتعلق بجذور حضارتنا ..

اقتباس

((يعزو مؤلف الكتاب الكثير من الأصول وأوائل الأشياء في العمران البشري الى السومريين ، فمن كان هؤلاء السومريين ؟ وما أصلهم ؟ ومن أين نزحوا الى العراق ؟ ومتى كان ذلك والواقع أنه ليس بالإمكان الإجابة جواباً قاطعاً على هذه الأسئلة لأنها من القضايا التاريخية التي لم يصل البحث الحديث الى حلها حلاً نهائياً مُجمعاً عليه))
..

انتهى الاقتباس .. كتاب من ألواح سومر .. ص 7و 8 لمؤلفه صموئيل كريمر ترجمة باقر طه

هذا النوع من الأبحاث يساهم في تشتيت القارئ وأفكاره عن الحضارة وجذورها بسبب استخدام ألفاظ تجعل من يقرأها أمام جهل الكاتب بما يبحث عنه أو يصل الى حقيقة بصدده ، فأغلب الذين تطرّقوا الى الحضارة السومرية كانوا يجهلون الكثير من المخطوطات التي تناولت تلك الحقبة وفي بعض الأحيان يتجاهلون الترجمات لأنها كانت تتناقض مع معطيات ما يدرّس في مادة التاريخ في أغلب الجامعات والمدارس العالمية وكلنا نعلم أن البريطانيون هم أنفسهم من وقفوا خلف تلك المناهج وتوجيهها وجهة تلائم غرض سياسي أكثر مما تلائم الحقائق أو الأغراض الأكاديمية التي يتناولها الباحثون ..

وكما نعلم أن التاريخ ليس مادة علمية بل هو مادة دراسية أدخلها البريطانيون عنوة في المناهج لتشتيت الأمم والمساهمة في تمزيقهم كي لا يحاولوا الاقتراب من وحدة الحضارة البشرية على الأرض ، ويضع الكاتب تناقضاً وافتراضات تبعد القارئ عن تكوين الفكرة الأساسية الرئيسية التي وقفت خلف تأسيس الحضارة في سومر وبابل وآشور ، ووضع تأثير الحضارة السومرية في إطار عام لخصها ببعض النقاط في الصفحة التاسعة من نفس المصدر أعلاه وهي ..

1 ـ المرجح كثيراً أن السومريون كانوا أول من أوجد وطوّر الكتابة التي عرفت بعدئذٍ بالخط المسماري ، وهو الخط الذي إقتبسته معظم شعوب الشرق الأدنى القديم وأشهرهم (الأكديون والبابليون والآشوريون والعيلاميون والحثيون والحوريون والميتانيون والفرس والإخمينيون) وكان ايجاد طريقة للتدوين مفتاح التطوّر والتقدّم الحضاري في تاريخ الشرق الأدنى ..

2 ـ تميّز السومريون بإبداعاتهم في الحضارة المادية كأسس العمارة والفنون والنظم الإجتماعية والسياسية ، الى غير ذلك من مقوّمات الحضارة التي أثرت أثراً بارزاً في تقدم شعوب الشرق الأدنى ..

3 ـ أوجد السومريون آراء وتصورات وأفكار في الديانة والأوجه الروحية والعقلية الأخرى ، وقد دخل الكثير منها الى معتقدات الديانة العبرية والمسيحية وترّشح الكثير منها الى الحضارة الحديثة ..

4 ـ تميّز هؤلاء السومريون بنتاج أدبي أصيل معظمه بالشعر ، وكان له الأثر العميق في الأقوام القديمة ولا سيما في البابليين والآشوريين والحثيين والعبرانيين ، وعن هؤلاء وصل أثره الى الحضارة الحالية ..

انتهى الاقتباس .. كتاب من ألواح سومر .. ص 9 صموئيل كريمر

ملاحظة .. في أسفل الصفحة التاسعة هناك حاشية صغيرة يتسائل الكاتب بإستغراب يعبّر عن عدم إلمام بالعلاقة بين اللغة المسمارية باللغة الهيروغليفية سأجيب عنها عبر ملاحظات واضحة ..

في هذه النقاط الأربعة يضع الباحث يده بشكل عام على الإطار الخارجي للحضارة السومرية لكنه يفشل كما فشل من قبله الكثيرون لأنه لم يسأل أهل الحضارة الأصليين عن المعلومات التي وضعها في بحثه ، فمن المفروض هنا السؤال عن كل شيء بالتفصيل قبل كتابة تعابير انشائية لا تقترب من جوهر الحضارة السومرية ..

وكما ذكرت في المقدمة فإن أغلب الذين تناولوا الحضارة السومرية لم يتمكنوا من اللحاق بالترجمات الحديثة لأغلب المخطوطات السومرية والتي ترجمت بقوة بدءاً من عام 1969 وحتى عام 2014 ولا بد من الإشارة لنقطة مهمة تتعلق بعلم استند اليه السومريون أثناء حفظ ألواحهم ووضع طقوس معيّنة مع دفنها كي لا يتمكن احد من استخراجها قبل تواقيت معيّنة وضعها السومريون أنفسهم إستناداً لعلم نوعي كانوا يؤمنون به وساد في حضارتهم ، أي أن أغلب المخطوطات كانت تحفظ بطريقة فلكية وكانت تحفظ على أحجار اللازورد الغالية الثمن ومحفورة أحرفها بطريقة النانو تكنولوجي وكانت تكتب الأحرف بسائل من ذهب يصب على الأحرف المحفورة ، والآثار التي استخرجها البريطانيون طوال مائة عام من العراق كانت بمثابة كنوز لا تقدر بثمن وكان يتم استنساخها بألواح اخرى حجرية وطينية كي لا يطالب العراق بإعادتها اليه لأنها تشكل ثروة تجعل من العراق البلد الأغنى في الإحتياطي للعملات الصعبة والأحجار الثمينة مدى الحياة ، والغريب في الأمر أن الكثير من الأكاديميين والذين تناولوا حضارة سومر كانوا يصدقوا الانكليز في أن المخطوطات كانت عبارة عن ألواح من طين بقيت سبعة آلاف عام وأكثر دون أن تتأثر بالطبيعة والمناخ والظروف الأخرى ..

كانت الحضارة بدءاً من سومر والى انهيار سلالات اور وقيام الكثير من الحضارات الأخرى هي بمثابة حضارة موحدة كانت تجمع البشرية والانسانية والخالدين في حضارة واحدة ، وسنتعرّف في هذا البحث عن جانب تم التعتيم عليه

أو تجاهله لأسباب معيّنة وقف خلفها البريطانيون يخص الفرق بين العلوم النوعية التي كانت تُدرّس في سومر وبين علمنا الأكاديمي الكمي المنهجي العادي في عالمنا الحالي ..
فالسومريون لم يكونوا جهلة بطبيعة البداية على كوكبنا لأنهم ببساطة عاصروا الجنة الآدانية الإلهية على الأرض (جنة عدن) وعاشوا تفاصيل القوانين الإلهية الموضوعة فيها ، وعندما أستخدم كلمة إلهي فهي تشير للقدسية التي تمتعت بها الدولة السومرية حيث كانت أغلب تلك القوانين تقود من يعيش في أحضانها الى الخلود ..
ولأسباب كثيرة بقيت الكثير من المخطوطات السومرية التي تم نقلها من العراق في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بعيدة عن متناول الناس وهي كانت تترجم أولاً بطريقة سرّية في إطار ضيق يجمع علماء الآثار الموثوق بهم في المملكة المتحدة وبالتالي مناقشة ما يمكن نشره أو ترجمته للعامة وما يمكن إخفاءه بحكم طبيعة المواد التي تدرسها الجامعات العالمية المختلفة في شأن التاريخ وتناول تلك المخطوطات ..
كان من الضروري عدم نشر اي شيء يتعلق بالحقائق التاريخية التي تم اخفاءها عن العامة والتي تتعارض مع ما وضعوه في مناهج العلم الأكاديمي حول جذور الحضارة البشرية والانسانية على السواء ، واقول عبارة من الضروري لأنها تعبّر عن جوهر مهم قامت على أساسه الأكاديميات في عالمنا المادي الموضوعي ، فلا يمكن تقديم كل الحقائق للبشر دفعة واحدة لأن ذلك سيقوّض من البرنامج الموضوع لإدارة الحضارة على الأرض وهذا ما لا تريده النخبة التي تتحكم في عالمنا .كما أن هذه الحقائق ستأخذنا الى جادة تتجاوز ما هو موجود من مناهج دراسية تتعلق في تسلسل المادة التاريخية التي شبعتنا بأوهام سينبغي علينا تحطيمها في مراحل لاحقة من تقدمنا العلمي ، وعندما نبدأ بمسيرة الحضارة الأولى على الأرض في سومر لا بد لنا هنام من تجاوز تلك العادة التقليدية في الكتابة بطريقة إنشائية لا تقدم شيء جديد للموضوع ..
وعند التركيز على النقاط الأخرى في البحث نرى أن الكثير من الباحثين تجاوزا الجانب الروحي في الحضارة السومرية مما أدى الى إخراج أبحاث منقوصة ، فكل شيء في حضارة سومر كان يخضع لعلم الفلك وكوزمولوجيا الكون ، حتى اللغة التي كان يستخدمها كهنة سومر كانت تختلف عن اللغة التي يتداولها العامة من الناس ، وكهنة سومر هنا كانوا في ذلك العصر آلهة الزمان والمكان إذا ما أردنا إعطائهم التسمية السليمة في البحث ، لكن أي نوع من الآلهة كانوا ؟

سنتوقف عند هذا الأمر لأنه يشكل بالفعل جذور الحضارة ليس في سومر وحدها بل بالنسبة لباقي الحضارات التي نشأت بعد إقتسام هذه الآلهة الأماكن والقارات على كوكبنا وكل منهم قدّم شكلاً معيّناً للحضارة ..
تشير لنا المخطوطات السومرية المترجمة الى الأسماء .. أنليل .. وأنكي .. ونينماه .. ونينجيشيزيدا .. ونينورتا .. وننار .. وآشور .. وأنانا .. وتموز .. ومردوخ .. وشماش .. ونيناجال .. بعد موت تموز تم وضع نابو نجل مردوخ مكانه في قائمة العظماء الإثنا عشر ..
جاء الى جانب هؤلاء العظماء الإثنا عشر أكثر من ستمائة متطوع معهم للبناء والبحث ، وإرتفعت الأعداد تدريجياً لتصل الى مئات الآلاف ، ولعب المؤسسون الدور الأعظم في رفد الحضارة بالقوة والعلم بدءاً بالبحث على البوابات

النجمية السبعة على كوكب الأرض ومروراً بوضع إحداثيات دقيقة للأغلفة الجوية السبعة وللمياة والبحار والمحيطات واليابسة وإنتهاءاً بتحديد أماكن المعادن والأحجار الثمينة على كوكبنا لإستخراجها والإستفادة منها في بناء الحضارة . وصف الكثير من الباحثين الجوانب الروحية والفكرية في الحضارة السومرية على أنها حضارة بدائية تعتمد على عبادة خصوبة الطبيعة وغيرها من الأفكار السطحية الساذجة التي لا تتجاوز حدود مسافة أنف من كتبها وإعتقد بها ، لقد كانت هذه الحضارة أكثر تطوّراً مما إعتقدوا ..

لو عدنا عملياً لفهم هؤلاء الآلهة لطبيعة كوكبنا لإكتشفنا أنهم صنفوا الطبيعه فيه الى أربعة أبعاد تتحكم فيها أربعة قوى ، وهذه الأربعة هي .. قوة النار وقوة الهواء وقوة الماء وأخيراً قوة التراب . إعتقدوا أن قوة النار هي الأساسية أو الأولى بين العناصر الأربعة وهي قوة بداية الخلق وشبهوها بقوة النور في العرش المقدّس في الأعلى ، في البدء كان نور كما تذكر الكتب المقدّسة في عالمنا ، ووضعوا أحد الآلهة من العظماء الإثنا عشر كإله أعلى للتحكم في طاقة النور أو النار على كوكبنا وكذلك الكائنات المتقدمة سبباً والتي يمكنها أن تحافظ على توازن دوران كوكبنا حول نفسه وحول الشمس بوتيرة لا تخلّ بالنظام الشمسي الذي ينتمي إليه هذا الكوكب ..

أسندوا هذا الأمر لملك السماء آنو وهو بدوره كان يضع ممثل له بين العظماء الإثنا عشر الذين بدأوا رحلة تأهيل كوكبنا من أجل أن يصلح للحياة ، ونفس الأمر جعلوه واقعاً بتعيين أنليل إلهاً مطلقاً للتحكم بطاقة الهواء والرياح على كوكبنا وهذه الطاقة لها علومها النوعية العميقة التي تتجاوز ما تعلمناه في مدارس العلم الأكاديمي الكمي ، وكما نعلم بين الكمي والنوعي تكمن المحدودية التي تميّز الأول عن الثاني وهذه هي زبدة مهمة في جذور الحضارة السومرية .

إله الهواء كان الشخصية الثانية بعد الملك آنو من المتحكمين في القرار لهذا تم إسناد التحكم في هذه الطاقة لنجله الأول أنليل ، أما طاقة الماء فقد تم إسنادها مع طاقة التراب الى انكي ، تم تسميته بآيه تثميناً لتحكمه بهاتين الطاقتين ، من المهم ذكر أن عالم التراب كان يعني العالم الأرضي أو المادي الموضوعي والأبعاد الأخرى كانت أعلى شأناً من عالم المادة ، ومن الضروري ذكر أن هذه التقسيمات كانت تستند الى دراسة دقيقة لدى السومريين الى كوزمولوجيا الوجود وطريقة الخلق والنشوء الواسعة النطاق والتي تتجاوز مفردات علمنا الكمي المنهجي القاصر والمحدود ..

أي أن هذه العلوم كانت أوسع بكثير من أن يفهم البشر أسرارها ومغزاها الحقيقيين ، ورغم كل الأناشيد التي وصلتنا وقمنا بترجمتها بشكل سطحي إلاّ أن هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أنها كانت تحمل أسرار كبرى في جوهرها الفعلي في التعبير والمعنى على السواء ، وأضع أمام القارئ القصة المشقّرة لكَلكَامش والتي تناولها الكثير من علماء الآثار والكتاب بطريقة سطحية للغاية لا تراعي جوهر الأسرار الحقيقية التي تحملها ..

لهذا جاءت أغلب ترجمات النصوص منقوصة وغير واضحة لأنها كانت في الأساس تفتقد لإلمام كامل بالعقيدة الايزيدية التي شكلت العقيدة الحيّة للسومريين منذ شروعهم في بداية أو حاضرة تاريخية على الأرض ..

فالحضارة كما نعلم في الايزيدية بدأت في عهود نطلق عليها بالعهد الآداني للوعي ، أو عهد الوعي الإلهي للكائنات التي شرعت ببناء اور وأريدو ولكش وسيبار ولالش وغيرها من المدن والمقدسات الأولى على الأرض بما فيها معابد إيزيدا ، لهذا سمى السومريون حضارتهم الأولى بجنة آدان (عدن) أو الجنة الإلهية ، لأن كائنات تتحلى بوعي إلهي قامت ببناءها في بُعد آداني على كوكب الأرض وليس بُعد مادي موضوعي ، لهذا تشير الألواح المكتشفة للحضارة السومرية دائماً الى العظماء الذين هبطوا من السماء الى الأرض وهم آلهة بمعنى تحليهم بمستوى للوعي تطلق عليه الايزيدية وعي إلهي يُمكّن حامله من التحكم في 72 قانون كوني تشكل الأسس العلمية لكوزمولوجيا الكون والوجود ..

وأغلب العلماء واللاهوتيون يدركون بصدق أن القصص التوراتية وفرضية خلق آدم وحوّاء وغيرها من الأساطير التي وصلت الى حضارتنا أغلبها كانت مبنية على نصوص مكتشفة في حضارة وادي الرافدين يعود تاريخها الى آلاف السنين مضت ، فالأسرار الإلهية يتم الكشف عن جزء منها كما ذكرت في ملحمة كَلكَامش مثالاً

وكذلك برج بابل وقصص رمزية تحمل أسرار كبرى ك اترا هاسيس و كذلك قصة التمرّد في ايرا ايبوس ..

لذلك يبدو تناول الحضارة في سومر من وجهة نظر مادية موضوعية بحتة أمراً ينتابهُ الكثير من النقص والقصور في الإلمام في العلوم النوعية التي كانت تتحكم في تلك الحضارة ، والعلوم النوعية هي تلك العلوم التي تتناول موضوع الأبعاد في الكون والعوالم الموازية بما فيها القوانين التي تتحكم بها والتي يعتبرها الايزيديون مقدّسة لأنها تتجاوز مفهوم العلم الكمي الى مدى أوسع نطاقاً في البحث ، فالفيزياء النسبية في عالمنا المادي تتحول الى فيزياء أثيرية في عالم أرفع تسميه الايزيدية بالعالم القاتاني ، وهذه الفيزياء الأثيرية تتحول الى فيزياء سببية في عالم أرفع تطلق عليه الايزيدية بالعالم الشمساني ، وكذلك تتحول الى فيزياء آدانية في أعلى مراحلها في العالم الذي يسميه الايزيديون بالعالم الآداني ونفس الأمر ينطبق على بقية العلوم الأخرى التي تشكل أجزاء مترابطة لكوزمولوجيا الوجود ..

هذا جزء بسيط من طبيعة النظر لدى السومريين الى الجانب الروحي للحضارة ، وهو جانب ربما تم التعتيم عليه طويلاً لأنه يقود الأبحاث الى مدار أوسع في البحث على العلوم المتفوّقة التي إمتلكوها والتي ساهمت في جعل الحياة على كوكبنا تأخذ شكلاً معقداً كلما أمعنا النظر في هذهِ التركيبة العلمية العجيبة التي بدأت بالعوالم النوعية وإنتهت في عهد سلالات أور الى عوالم أكثر تدنياً من حيث طبيعتها المادية الموضوعية وشكل الحياة وطبيعة الأعمار فيها في تلك العصور . لهذا وقف العلم الأكاديمي أمام حواجز كثيرة منعته من فهم تلك الجوانب في حضارة وادي الرافدين لا سيما عند البريطانيين الذين وضعوا أنفسهم أوصياء على الحضارات ، فهم لم يتمكنوا من فهم تلك الآلية النوعية التي قامت على أساسها الحضارة رغم أنهم إمتلكوا أغلب المخطوطات المتعلقة بتعاليم سومر السرية في المتاحف البريطانية والغربية على السواء ..

لذلك نرى أن الكثيرون تجنبوا ذكر العقيدة الحيّة في الدولة السومرية والمتمثلة بالإيزيدية وقصة الخلق الآدانية في عدن ربما كان عامل السرّية يقف طويلاً كعائق أمام نشر الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع ، هذه المخطوطات والألواح كانت

بلغات لم يتمكن أغلب علماء الآثار من ترجمتها طوال العقود السابقة وحتى منذ بدء إكتشافها لعدة أسباب وسأتوقف عند ذكر هذه الأسباب كي يتمكن القارئ من فهم الموضوع بشكل أوسع ..

أولاً .. كان أغلب علماء الآثار الذين زاروا المنطقة ويعملون في هذا المجال كانوا من رجال مخابرات الدول المستعمرة للعراق قبل أن يكونوا علماء آثار بالمعنى الحرفي الأكاديمي للكلمة ، أي أن أجندة سياسية كانت تقف خلف بحثهم عن تلك الآثار وليس أجندة علمية تخدم التقدم البشري بدليل حيّ وساطع أن أغلب تلك الألواح والتي تُعدّ بالآلاف بقيت طيّ الكتمان والسرية بحجج كثيرة بعيدة عن المنطق في خدمة العلم والحضارة على كوكبنا ..

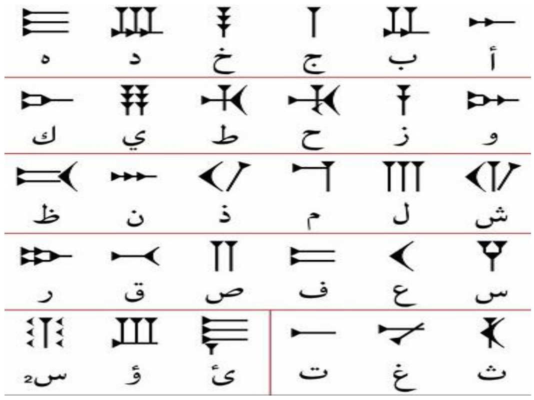
ثانياً .. هذه الحضارات وما تركتهُ من ألواح كانت حضارات تشير الى عالم نوعي تعيش فيه تلك الكائنات السومرية وليس عالم كميّ أكاديمي أو يقترب من عالم البشرية بشيء ، فتلك الألواح تحدثت لنا عن آلهة هبطت على كوكبنا(كائنات تتحلى بالوعي الإلهي والوعي الإلهي هنا يشير الى كائنات كان لها تواصل مع أبعاد كونية اليوم نسمي هذه الأبعاد بالفضاء الخارجي في لغاتنا الأرضية) وهي نقطة ربما لم يستوعبها من قام بالنبش في آثار بلاد الرافدين أو آثار الشرق الأوسط بشكل عام لا سيما بلدان الخليج العربي التي كانت امتداد طبيعي وجغرافي لسومر وللدولة الآرامية ..

لذلك الحضارات النوعية تختلف فيها الكائنات والأعمار وحتى التركيبة الفسلجية والبيولوجية للأجسام عن عالمنا الكمي وحضاراتنا الكمية المادية الموضوعية ،كما أن الأعمار أيضاً تختلف فأغلب حكام السلالات السومرية مثلاً حكموا مائة الف عام وثمانيون الف عام وغير وبالتالي يجب أن تؤخذ هذه النقاط في الحسبان عندما يرغب المرء في أخذ الترجمة الدقيقة للمخطوطات والتي ظهرت فعلياً عام 1969 بجدية وعقلية واسعة في البحث السليم المجرد المحايد الخالي من مجاملة أي شيء على حساب الحقيقة الحيّة ..

ثالثاً .. اللغات المتداولة في العصر السومرية لم تكن لغات يتمكن البشر من فك كل رموزها بل كانت تتطلب عملياً إمتلاك الباحث القدرة على التواصل مع عوالم موازية كي يتمكن من فهم الفكرة التي وقفت خلف صياغة كل حرف من حروفها وهذه النقطة لم تكن تتوفر لدى أغلب العلماء الذين بحثوا في الحضارة السومرية وبالتالي قدموا لنا أفكار وشروحات مبتسرة ومبتذلة لا تخدم حقيقة تلك اللغات ومعانيها السليمة .. فاللغات بدأت في سومر على شكل لغة الصفير التي رمزوا لها بالغة المسامير أو اللغة المسمارية في الألواح والتي حاولا من خلالها تصوير كل لفظ على شكل معيّن يعكس الفكرة المُراد إيصالها للآخر ..

منذ نزول أولى شرائع الخلق والنشوء والناموس الشامل الذي يشكل جوهر المعرفة الايزيدية عبر العصور تكلم الايزيديون بلغات عدّة لكن للغة الأولى دائماً قدسية من نوع خاص ترمز الى جلالة الألفاظ التي حملت لنا الحكمة الايزيدية الخفيّة عبر العصور ومن خلال العودة الى بداية التاريخ الايزيدي وهبوط العظماء الايزيديون الاثنا عشر لا بد وأن نتسائل عن طبيعة اللغة التي كان هؤلاء يتواصلون فيما بينهم بها والتي نقلت الينا معرفتهم الخفية المقدّسة عبر العصور وتجيب المخطوطات الايزيدية الموجودة في أغلب متاحف العالم على هذا السؤال من خلال الكتابات المنقوشة عليها وكانت اللغة الأكديه الغير منطوقة هي لغة هؤلاء العظماء واعتبر أكثر من عالم آثار هذه اللغة بأنها تنتمي الى

عوالم عليا ولها قدسية من نوع خاص لديهم (الايزيديون) ومن خلال التمعن في الحروف الأبجدية لها سنتمكن من الكشف عن رموز هذه اللغة السرّية المقدّسة ..



الأحرف الأبجدية في اللغة الأكديه ..

ومن خلال الشكل أعلاه يبدو لنا شكل الأحرف على هيئة مسامير (مسمار) والبعض أطلق عليها باللغة المسمارية ، لكن ما يجب أن ننتبه اليه أن هذه اللغة لم تكن منظوقة بل لغة صفير يجيدها العظماء في المستويات الآدانية العليا ولم تكن لغة محكية كتلك التي يتحدث بها البشر في عالمنا المعاصر والمقصود هنا بلغة الصفير أي تلك اللغة التي يتم من خلالها تدوير الشفتين بطريقة تجعل دائرة صغيرة تتوسطها وتطلق الأصوات للتعبير عن الأفكار وهي لغة متقدمة لم يتمكن البشر حتى يومنا هذا من فهمها باستثناء علماء الآثار المتصوّفين الذين وصلوا عتبة الوعي المتفوّق القادر على سبر أغوار أسرار هذه اللغة الايزيدية المقدّسة ، عملية إطلاق الأصوات يتوقف على طولها وبالتالي يصبح الشكل الهندسي لكل حرف انطلاقاً من الدائرة الصغيرة التي تتوسط الشفتين على شكل مسمار وكانت عملية التغيير في شكل الصوت من طوله الى عرضه وتقطعه يعكس أشكالاً أخرى من الأحرف شكلت الأساس الأبجدي في لغة الايزيديون المقدسة ..

ورغم أن أغلب المخطوطات القادمة لنا من العصر السومري الآداني الطابع كانت تشير بوضوح الى تعريفات دقيقة للمستويات العليا في الوعي وشرح مبادئ المعرفة الايزيدية الإلهية في معابد ايزيدا في اور وأريدو ولالش وسيبار ونينوى وهولير وغيرها من مدن المملكة الآدانية من خلال هذه اللغة إلاّ أن قلة قليلة تمكنت من فهم جوهر هذه المخطوطات ..



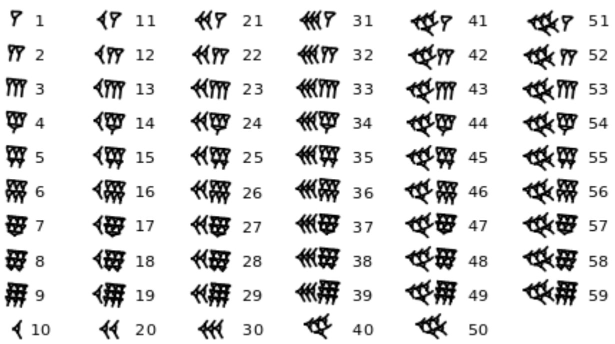
لوح سومري لمخطوطة ايزيدية توضح بعض مبادئ العلم الايزيدي في اللوح يظهر طير الطاوس مع تسليم العصا والصولجان لمن يعبر أبواب المعرفة الخفية مع ثلاثة رسوم تجسد الروح (السهم المرتفع الى الأعلى) والنفس (العمودين الملتصقين اللذين يشكلان الخارطة الجينية) والجسد (الشكل الذي يشبه الأفعى ورأسها المتدلي نحو الأسفل في اشارة لبقاءها في عالم المادة) مع تمثالين للأفعى كل منها رأسها يأخذ اتجاهاً لتعكس سيطرة البير والمربي على الحياة في عوالمنا , وفي أسفل اللوح توضيحات دقيقة لهذه التفاصيل باللغة الأكديه ..

أطلق الايزيديون على لغتهم بإسم اللسان الوكدي أي اللسان المقدّس وهذه التسمية كما ذكرت ارتبطت بعظماء الايزيديون الذين أطلقوا على أنفسهم بالآيريين (الذين هبطوا من السماء) لذلك لا تعتبر اللغة الأكديه لغة سامية فهي لم يتحدث بها البشر إطلاقاً كما أشاعت بعض الأبحاث التي لم تتناول هذا الفصل من التاريخ الايزيدي بدقة ، أما تسمية أكد فقد جاءت مع العظماء لأنها تمثل عاصمتهم في العالم الذي قدموا منه وتعني الوحدة ودراسة اللغة الأكديه ليست بالأمر الهيّن فأغلب كلماتها بحاجة الى ضبط لا يجيده من لا يستطيع التواصل مع الأبعاد التجاوزية العليا في العوالم الآدانية وللإنصاف أقول أن ما قدمه زكريا سيتشن وكوكبة من علماء الآثار من ترجمات دقيقة لهذه اللغة كشفت للعلن عقيدة الدولة السومرية (الايزيدية) كما كشفت مصدر لغات عالمنا المعاصر . لذلك مثل الكشف العظيم عن لغة الايزيديون الأولى الشرارة التي أعادت قراءة أغلب المخطوطات السومرية ولكن هذه المرة بطريقة مختلفة جذرياً عن السابق مما دفع أغلب المتاحف وعلماء الآثار الى التركيز على العلوم النوعية من أجل الوصول الى قراءة المخطوطات بالشكل السليم والذي يتجاوز القراءات السطحية والتخمينات لأغلب علماء الآثار الذين سبقوا مرحلة ظهور عالم الآثار سيتشن ورفاقه .

كانت أغلب الحفريات تعتقد أن السومريين كانوا يغلفوا علومهم بألواح طينية ، هذا الطرح السطحي قام سيتشن بتفنيده لأنه لا يمكن للوح طيني مقاومة الظروف البيئية سوى بضعة سنوات لهذا كان الكشف الأكبر عن أن هذه الألواح المستخرجة كانت من اللازورد الغالي الثمن محفور بتقنية عالية موضع الأحرف وكانت تحشى بخليط من المعادن تسمى الألكتروم وهو جامع للذهب والفضة والألماس مع 96 معدناً آخراً يستطيع هذا النوع من الألواح مقاومة الظروف البيئية ملايين السنين ، هذه اللغة التي يجيدها من يمارس طرق البرّ (البرخك) في الايزيدية تم

تقسيمها الى مستويات ثلاث تتناسب وتفتح الوعي الكوني لدى العظماء الايزيديون الذين كانوا يستخدمونها ، المرحلة الاولى او المستوى الأول للتخاطب بها كان المرحلة التي أطلق الايزيديون عليها بالمرحلة الصورية للتعبير ، أما المستوى الثاني فقد كان المستوى الرمزي واستخدام الرموز في التعبير عن الأفكار فرمز واحد كان يعني موضوعاً متكاملاً والحقيقة أننا في عالم المادة لا نستطيع استيعاب هذا النوع من التخاطب الرمزي بسبب انتماءه لمستويات عليا في الوعي تحتاج الى تفتح ملكاتنا الفكرية وحواسنا الى مديات عليا ، أما المستوى الثالث فقد كان الايزيديون يطلقون عليها لغة المقاطع ، وهذه الطريقة كانت تتم من خلال تحريك اللسان والشفاه دون إطلاق الألفاظ الصوتية (لغة صامتة) بل فقط تعابير مقطعية صغيرة يفهمها من يمارس طرق البرّ (البرخك) في الايزيدية بشكل دقيق للغاية أما المستوى الرابع فقد كان الايزيديون يطلقون عليه بالجمل الرقمية المقدّسة ..

ولأن الايزيديون اعتبروا هذه اللغة مقدسة لا يمكن للكائن البشري التعامل بها قبل الوصول لمستويات الوعي العليا اشتقوا من أبجديتها اللغة الآرامية للعامة وللمراسلات وللتوصل في أجهزة الدولة والمجتمع عند تأسيس لبنات الحضارة الأولى في أور واريدو وسيبار وباد تيبيرا والوركاء وغيرها من مدن المملكة الآدانية ، هذا الأمر جعل أغلب الكتب التي تناولت اللغة الأكديه في سلة المهملات بسبب عدم قدرتها على الكشف عن الجوانب السببية التي وقفت خلف التخاطب بها عند عظماء الايزيديون في لالش وأور وأريدو في اولى لحظات بداية اشعاع الحضارة الأولى على هذا الكوكب ..



الأعداد في اللغة الأكديه ..

كانت اللغة الأكديه لغة جامعة لعلم نوعي خفي مقدّس لم يتمكن أغلب علماء الآثار من فهم هذا الجانب الخفي فيها ، فكل حرف كان يقابله رقم وكل رقم يعكس شكل هندسي معيّن في الخلق ، كما يعكس نغمته الخاصة ومبدأه الخاص ومن خلال استخدام هذا العلم النوعي فشل علماء الآثار في ربط ما كان يقوم به الايزيديون من استخدامات واسعة تتجاوز اللفظ والتعابير الصوتية والصورية ، كما أن الأعمدة الأربعة في الأعداد تعكس المستويات الأربعة في الخلق وتمثل أربعين مستوى لا يتمكن من يجهل النصوص المقدّسة في الايزيدية من فهم هذا الجزء المهم والذي يمثل فيه الرقم أربعين لغزاً مقدساً من ألغاز العلم الايزيدي الخفي المقدّس وكل ما تلا هذا العدد من أرقام كان تجلي

لمستويات من الوجود أدنى . أي أن الأعمدة الأولى في الأعداد وتصل الى الأربعين تعكس مستويات الوعي الأربعة من خلال التعابير الصورية واللفظية والمقطعية في اللغة الأكديه ورغم أن تسمية الآرامية القديمة عند بعض علماء الآثار تنطبق على الأحرف والنصوص الأكديه إلاّ أن الأغلبية إتفقت أكاديمياً على تسميتها باللغة الأكديه وقسمتها عدة أقسام منها بابلية وسومرية وآشورية وغيرها لكن الحقيقة التي خرج بها زكريا سيتشن وأكثر من 70 عالم آثار من مختلف بلدان العالم بعد ترجمة مجموعة من الألواح السومرية هي أن اللغة الأكديه التي هبط بها العظماء الايزيديون والذين كان يُطلق عليهم بـ الآلهة كانت لغة مقدسة وأسسوا أبجدية جديدة أطلقوا عليها الآرامية والتي انفرز منها السريانية الجنوبية (لغة الصابئة المندائية) والسريانية الوسطى (البابلية) والسريانية الشمالية (الآشورية) لكن الآلهة كانت تحكم هذه المناطق وفق تقسيم فدرالي حدث بينهم وأصبحت الأبجديات الأولى الثلاث التي تحدث بها البشر هي الآرامية بتفرعاتها والكردية لغة القوم الذين شفروا العلوم الايزيدية في لالش (عملية تشفير العلوم الايزيدية ونصوصها من الأكديه الى الكردية حدثت بعد ظهور النصوص المقدّسة بآلاف السنين) والأكديه لغة الآلهة وأغلب الذين كانوا يحصلوا على الملك والحكم في اور واريدو والوركاء أغلبهم كانوا من سلالة ايزيدية نقية قادمة من لالش وأطرافها وهناك نص شعري لشروكين يفتخر بجذوره الشمالية الجبلية ..

أنا شروكين القوي ملك أكد

كانت أمي كبيرة الكاهنات

لم أعرف أبي

أحب أخوة أبي .. عمامي في الجبال

ولدتني امي سرّاً ووضعتني في سلة من قصب

وأغلقت بابها بالقار

رمتني في النهر الذي حملني الى آكي

آكي هو البستاني الذي انتشلني من الماء

علمني البستنة

وشاهدتني الملكة العظيمة أنآنا (عشتار)

جعلتني سيداً على الرؤوس السود

وعند الحديث عن اللغة المقدسة في الايزيدية فإننا سنكون بلا أدنى شك بحاجة لدراسة مئات الكتب والمخطوطات التي تجاهلت العظمة التي وقفت خلف تشفير العلوم النوعية في اور واريدو وفي لالش النورانية المقدسة ، فبعد انتشار الايزيديون في لالش وأطرافها طالبت الملائكة أو الآلهة الحاكمة فيها تشفير العلم المقدس الى لغة محكية عصية على باقي البشر فكانت الكردية هي أولى اللغات التي تم تشفير العلم الايزيدي فيها من لغة الملائكة الشمسانيون الى لغة مقدسة أخرى في تعابيرها وهي اللغة الكردية ، فوضع الايزيديون الكثير من التعابير في ألغاز لا يمكن فهمها قبل عبور المرء الى مستوى الوعي المتفوّق لفك شفراتها ..

فكانت اللغة بمثابة بوابة فلسفة المعرفة الايزيدية الخفيّة المقدسة في لالش النورانية واور واريدو ، هذا التاريخ المختلط الذي لا يمكن فصله بأي شكل من الأشكال يقف خلف تعقيد الحقيقة التي خرج بها علماء الآثار من ترجماتهم الخطية للألواح السومرية والذي كان يقسّم المناطق في المملكة الآدانية الى فدراليات تابعة للآلهة ، فأريدو كانت حكماً ذاتياً لأنكي واور والوركاء كانت تابعة للملكة أنآنا ، وباد تيبيرا كانت لنينورتا بينما كانت الأراضي الشمالية التي تمتد من جبال حمرين حتى لالش أرضاً خاضعة لآشور الابن المدلل للإله أنليل واحتفظ الأب أنليل بكردستان وجبالها وصولاً الى جبال آماسيا في أرمينيا والى أعماق عيلام في الشرق والى جبال الأرز في الغرب والى المدينة الآدانية المقدسة له في الشمال (مدينة آدنه التركية اليوم) وبنى قلعة الشمس والآلهة الأربعة في هولير لتشكل مدرسة تأهيل الملوك والعظماء على الأرض ..

هذا التاريخ المركب المعقد في طياته يحمل حقيقة ساطعة وهي أن القائمون على تلك العوالم لم يكونوا بشراً عاديون بل عظماء ايزيديون (إلهيون) وضعوا احداثيات الأرض وقسموا مناطقها وأرسوا أسس الحياة وبعث نبضها على هذا الكوكب من خلال الأنهار والبحار والجبال وزراعة كل ما هو خيّر فيها ..

وفشل أغلب علماء الآثار الذين وضعوا آرائهم الفلسفية حول الأكديه كلغة في أكثر من قالب نتيجة رحلاتهم السياحية الى المنطقة والتي كانت تتسم بحب الترف والشهرة أكثر من نشر الحقائق والكشف عن جوانبها الدقيقة ، لذلك قلة قليلة فقط لا تتجاوز أصابع اليدين فهمت لماذا كان كَلكَامش يبحث عن الخلود وأين ؟ وقلة قليلة فقط فهمت عبارة فصل أنليل الأرض عن السماء (فصل الوعي البشري عن الوعي الكوني) لذلك يشكل البحث في لغة الايزيديين الحيّة أمراً مستعصياً على من لا يمتلك القدرة على فهم العلوم النوعية التي كانت سائدة في العصر السومري وتدرج اللغة الأكديه الى الآرامية والى الكردية والى العربية والعبرية والأرمنية والفارسية كلها مرّت بمراحل من تاريخ وحياة شعوب شكلت التركيبة السكانية للمملكة الآدانية ولا يمكن قبول بحث مهما بلغت عظمة صاحبه في ميدان العلم الأكاديمي يقوم في أساسه على عبارات (يقال ، ويرجح وعلى الأغلب كان السومريون كذا وكذا) هذا المنطق العقيم الذي يعتمد على أبحاث لا تعلم شيئاً عن طبيعة العلوم النوعية التي كانت تسود الدولة الآدانية يفشل أمام أول اختبار وهو فهم اللغة التي تحدث بها مؤسسوا الحضارة في أور واريدو ولالش وهولير ونينوى ..

فكل تعبير لغوي كان يعكس تعبيراً عن حالة من حالات العلم النوعية واستخدم الايزيديون هذا النوع من التعبير كاحتياط لا يتمكن من لا يفهم علمهم من فهم أي شيء من التعابير المستخدمة في لغتهم المقدّسة وبالفعل بقيت أغلب المخطوطات والنصوص المقدسة في الايزيدية عصية على فهم أعظم من تولوا ترجمتها الى لغاتنا في العالم الأرضي ودون فهم الهيكلية المتكاملة للعلوم النوعية في الايزيدية تبقى عمليات الترجمة قاصرة في الوصول الى اهدافها وهو ما أراده الايزيديون القدماء من جعل علومهم النوعية مشفرّة بهذه الطريقة ..

فالكثير من المصطلحات الأكديه نجدها في الكردية والعربية والآرامية الحديثة والسريانية وغيرها لأن كل هذه اللغات جائت من ذلك المنهل وفي الفصول السابقة ذكرت كيف كان الخالتيون يتلقون العلم الهندسي في اور واريدو قبل الذهاب الى لالش وكيف كانت طبيعة اللهجات المستخدمة تتحور تدريجياً ..

مثال ...

كلمة آدي في الأكديه والتي تعني الخالق كان الخالتيون في الشمال يطلقون عليها خادي ، أو خدي وتطورت بفعل التفلسف في اللفظ الى خودي في الشمال والى آدهي في الجنوب والى آدوناي عند سكان السواحل في البحر الأبيض المتوسط ..

وهناك آلاف الأمثلة على التغييرات التي طرأت على الألفاظ والكلمات نتيجة التطور وعبور المجتمعات حاجز عمره آلاف السنين من الحضارة ، فموضوع واحد في عصرنا الحالي نقدمه من خلال الشرح بأكثر من طريقة فكيف يمكننا تناول لغة شعب قديم كالايزيديون وندعي اننا ننصف الحقيقة فيه !! فاغلب علماء الآثار كانوا يعملون لجهات سياسية وبالتالي أخفى القسم الأكبر منهم العقيدة الحية الايزيدية للدولة السومرية والبابلية والآشورية والميدية وهذا الإخفاء ساهم في تشويه الحضارة من جذورها ، فعالم الآثار لا يستطيع مثلاً فك لغز لغة كان أصحابها يطلقون عليها بلغة الشمعدانات وحتى عام 1969 بقيت هذه الجملة لوحدها تحيّر كل علماء الآثار الى أن وصل سيتشن لالش وفهم ما هو المقصود بتسمية الأكديه بلغة الشمعدانات ، فمصطلح بسيط كهذا أبقى علماء الآثار في حيرة لآلاف السنين فكيف هو الحال مع دراسة العلوم النوعية للايزيدية وتشفيرها وكتابتها باللغة الكردية !!



الأكديه استخدمت ثلاث مستويات في التعبير منها هذا المخطط البياني الذي يوضح المستوى المقطعي للأحرف ..



التعابير تبدأ من اليمين الى اليسار في الأكديه ..

وأغلب علماء الآثار اعتبروا اللغة الأكديه لغة سامية دون أن يفهموا من أين أتت مفردتي السامية والآرية الى الأدب السومري ، فالعظماء الايزيديون الذين هبطوا من السماء الى الأرض كان تعريفهم في الأدب السومري بـ الآيريين أو الآرين والتي تعني في اللغة الأكديه أبناء السماء أو الذين هبطوا من السماء وفي أحد الألواح السومرية عرفتهم على أنهم أبناء الشمس وبعد وضع احداثيات الأرض الدقيقة على يد هؤلاء وشق الطرق البحرية ورسم الأنهر تم خلق الانسان البدائي لينوب عنهم في استخراج المعادن التي جاؤوا لأجلها وبعد أن أخذ العامل البشري بالتمدد والتكاثر ميّز العظماء بينهم وبين البشر ووضعوا طرق لمخاطبة البشر ومن يختارونه منهم دون السماح برؤيتهم ، فأطلقوا على

العنصر البشري الغير قادر على مخاطبة الآلهة بالساميين بينما كان البشر الذين يمتلكون قدرات روحية وفكرية عالية المستوى تؤهلهم لمخاطبة العظماء بالآريين ومن خلال هذا التمييز انتشرت فكرة الفرق بين السامية والآرية فأغلب الشعوب التي تتدعي أنها من جذور آرية تجهل معنى هذه الكلمة ومصدرها ..

لهذا تعتبر اللغة الأكديه من اللغات الآرية الأصيلة في الحضارة البشرية لأنها كانت لغة يتم التخاطب بها مع مستويات الوعي العليا والآلهة والعظماء أو ما نسميهم في الايزيدية بـ الخاسين ، بينما بقيت الآرامية والعربية وغيرها من اللغات التي لم يتمكن أفرادها من التواصل مع العظماء لغات سامية تقتصر على التخاطب البشري وحده ..

وإذا ما أردنا التركيز على الطريقة التي كان الايزيديون القدماء يتعاملون من خلالها مع اللغة فإننا سنكون بكل تأكيد أمام متواليات هندسية فائقة التعقيد ، فكانت الطريقة الأكثر دقة عند بيارة وشيوخ الايزيدية ومربييها هي طريقة حساب الجمل الرقمية وهي طريقة معقدة في العلم الايزيدي حيث يقابل كل حرف رقماً معيّناً ومبدءاً معيّناً من مبادئ العلم السبعة في المعرفة الايزيدية وقانوناً كونياً من القوانين الـ 72 في العلم الايزيدي كما يقابل هذا الحرف نغمة معيّنة ورمز لكوكب معيّن ورمز لمجرّة معيّنة ورمز لموقع المجرّة قياساً للدهر وبرج تنتمي اليه المجرة في الدهر ..

مثال ..

الحرف الأول .. هو عبارة عن شمعدانين يتجهان الى اليمين ليشيران الى قوة الروح والوعي .. يقابل هذا الحرف الرقم واحد وهو عبارة عن شمعدان أو مسمار رأسه الى الأعلى ويقابل هذا الحرف مبدأ كوني اسمه الخلود ويخضع هذا الحرف الى قانون كوني من القوانين الـ 72 في العين البيضاء وهو (كما في الأعلى كذلك في الأسفل) كما يقابل هذا الحرف النغمة الكونية الأولى في الخلق والمجال الموحد المغناطيسي الأول في الكون والذي له تردد رنيني ومعدل اهتزاز خاص به ، كما يقابل هذا الحرف دائرة ملكية سماوية تعبّر عن أشكال المادة وأنواع الطاقة فيه ، كما يقابل هذا الحرف اللون الأبيض الناصع والمعدن الإلهي الأول في الخلق ويقابله أيضاً مستوى معيّن للحسّ وآخر للحدس ويقابل هذا الحرف شكلاً هندسياً يعبر عن تدرّج للمجرة من الدهر وموقعها فيه ومن خلال جمع كل هذه المعطيات الحرف زائداً الرقم يخرج لدينا ثلاثة شمعدانات لتشير الى الثالوث المقدس لسلطان آدي (الروح والوعي والمادة) كما تشير الى الواحد الأحد الأوحد في الخلق وأيضاً تشير الى التصيّير الذاتي في عملية الخلق والتجلي ..

هنا الحديث يدور في المثال السابق عن حرف واحد في لغة الايزيديين المقدسة التي كانت يتحدث بها عظمائهم والتي تعتبر في المستويات العليا بلغة صفير ولهذا لا يحبذ الايزيديون الصفير خوفاً من مخاطبة العظماء بطريقة خاطئة أو غير لائقة واعتبرها البعض محرّمة تماماً ، فكيف هو الحال عند شرح كل الأحرف الأبجدية في هذه اللغة المقدسة وما يقابلها من رموز وأشكال هندسية وغيرها في المنظومة العليا لمستويات الوعي ، فكان الايزيديون يستخدمون طريقة الحساب الرقمي للأحرف والجمل والمقاطع وهي طريقة معقدة للغاية لا يمكن لنا في عالمنا المادي استيعاب كل معطياتها ببساطة لأنها تنتمي الى مستوى الوعي السببي في الخلق والنشوء ..

وكانت هذه الطريقة في التعليم عند العظماء وأبناءهم وبناتهم سائدة بطريقة يتمكنون من خلالها التخاطب وفهم بعضهم البعض دون أن يتمكن الكائن البشري من فهم أي شيء من طريقة التخاطب هذه ، فمن الممكن كما

أشرت في سطور سابقة أن تتساوى كلمتين في الحروف الرقمية أي في الحسابات الرقمية لناتج الحروف وبالتالي يعبّران عن معنى معيّن لكن كل كلمة بطريقة خاصة وحتى الأشكال الهندسية وطرق البناء كانت تخضع لهذه القياسات الدقيقة ، فكل بناء يعكس شكل هندسي لكلمة أو مفهوم وهذه الكلمة أو المفهوم لها ما يقابلها في المستويات العليا للوعي ، أي انها تخضع لقانون كوني معيّن ولمستوى من مستويات الوعي معيّنة ، فعندما بنى الايزيديون الزقورة في أور بنوها بسبعة مستويات لتشير الى سبعة مبادئ وسبعة مستويات في الخلق وسبعة عوالم وسبعة ملائكة حارسة للشكل الهندسي وتعكس علماً خفياً مقدساً لا يمكن لغير الايزيديون فهمه على الإطلاق مهما علا شأنهم في علم الآثار ..

فالايزيديون كانوا يميّزون بين الملاك و الخاسين من خلال أسماءهم وجمع الأحرف كان يقودهم الى هذا الفهم فكل الملائكة حاصل جمع أسماءهم 701 أي ثمانية وهي درجة أقل من مستوى الرقم 9 التي تشير الى سلطان آدي ، أما الخاسين فكانت عملية جمع أرقام أحرف اسماءهم تشير الى المستوى 7 وهو أدنى من عالم الأسماء المقدسة وحتى نفهم الهرمية في التسلسل والتي عبّرت عنه مقاطع اللغة الأكديه فإن الخالق وسلطانه المقدس يظهر فقط في عالم الأسماء المقدّسة التي يحكمها نور طاوسي ملك العظيم ونور طاوسي ملك وملائكته يظهر في عالم الخاسين أو مستويات الوعي السببية العليا والخاسين في المعرفة الايزيدية السرّية هم أصحاب الطوق المقدس قادرين على الظهور في عالمنا والعيش في عالمهم وهي هرمية في التسلسل لا يمكن لايزيدي تجاهلها وموجودة في صلب التعاليم الايزيدية السرّية الخفية المقدّسة والتي تتلمذ عليها العظماء أمثال نوح وابراهيم الخليل وعدي الهكاري والكوجك سلمان وغيرهم من الذين نقلوا هذا العلم العظيم للبشرية ، فليس هناك حدود للصيغ التي اتبعها الايزيديون في التعبير عن الحقائق النوعية الخفية التي تخص الخلق والنشوء ومن أجل سهوله استيعاب الفكرة قمت بإعطاء المثال السابق عن الحرف الأول كونياً لكننا في الواقع لا يمكن أن نتجاهل أن لكل لغة في عالمنا المادي جانب ظاهر تمثله الأحرف المجرّدة وجانب خفي تعكسه الأرقام المعبّرة وجملة المعطيات التي ترافقها لتشكل الجوانب الخفية في كل لغة من لغاتنا الأرضية وإذا ما تمكنا من فهم هذه الجزئية فإننا بلا أدنى شك سنكون قادرين على اختراق الجوانب السببية التي وقفت خلف خلق الآرامية والسريانية والعبرية والكردية والفارسية والأرمنية والعربية من هذه اللغة المقدسة عند الايزيديين (الأكديه ..)

لذلك كان من الصعب على كل من تصدى لفك رموز هذه اللغة من علماء الآثار فهم شيء من أبجدياتها ، فهذه الشبكة المعقدة والمتداخلة من المتواليات الهندسية للأحرف والمعاني يصعب استيعابها دون فهم العلوم النوعية في الايزيدية ودون الدخول الى ابواب معرفتها المقدسة واعتبرت الايزيدية هذه اللغة المقدسة مربوطة بـ 33 مسلكاً للنور يمثل تاج للمعرفة وفي نفس الوقت نور لسلطان آدي ويعكس سلطانه العظيم بعلم نوعي لا يتمكن الكثيرون من فهمه واستيعابه قبل فهم جوهر الخلق والنشوء في المعرفة الايزيدية الخفية المقدسة ..

فربط الاحرف بالأعداد وربط الكلمات بها ومن ثم ربط الجمل بها أي بالأعداد يخلق لنا متواليات هندسية لغوية تمثل لغة الكون الرمزية في المعرفة الايزيدية ولهذا السبب مثلت القيم الرقمية في العلم الايزيدي مدخلاً بسيطاً للغوص

في اعماق المعاني المقدسة لهذه اللغة ومن خلال اطلاعنا على باقي الاحرف والجمل بشكل عام يتضح لنا تدريجياً كيف كان الايزيديون يقدمون المعاني لنا في المعرفة على شكل رموز مشفرة لا يمكن فهمها قبل العبور الى عتبة الوعي المتفوّق ووضع الايزيديون لغتهم على أربعة أعمدة تمثل أعمدة ومستويات الخلق والوعي الأربعة , فالعمود الأول كان يتخصص بالأحرف والكلمات والمعاني التي تخص عالم المادة والتراب ، أما العمود الثاني في اللغة الأكديه كان يتخصص بالأحرف والكلمات والمعاني والجمل التي تخص العالم القاتاني الأثيري النجمي في المعرفة المقدّسة والعمود الثالث للأحرف والكلمات والجمل كانت تتخصص بالعوالم الشمسانية السببية في الوعي والوجود والعمود الرابع كان مقدساً في أحرفه وكلماته ويستخدم في التعبير عن العوالم الآدانية الإلهية ..

فلو قمنا بترجمة كلمة البدء في العربية وحولناها الى الأكديه مع ما تعنيه من أرقام وأحرف ومعاني سنجد ان كلمة في البدء تعني في بيت آدي ، أي في بداية الخلق والنشوء والكثير من التعابير المشفرة في اللغة الأكديه تأخذ معاني لا يفهمها إلاّ من يمتلك الإلمام الكامل بمحتوى المعاني المقدسة في هذه اللغة وهناك عمود ثانوي خامس فيه بعض الاحرف للارتباط او لربط الجمل لكنه لم يتم التركيز عليه كعمود أساسي والعمود الأول للأحرف الذي أطلقوا عليه عمود عالم المادة الترابي كان يستخدم للتعبير الصوري وهو ما تم التدوين به في أغلب الألواح التي خلفها لنا الأجداد ، أما العمود الثاني القاتاني فكان الايزيديون يطلقون عليه بالعمود المائي والذي يستخدم التعبير الرمزي من خلال رمز واحد فقط كان يتم التعبير عن الفكرة في جوهرها ، أما العمود الثالث للأحرف والذي أطلقوا عليه بالعمود السببي فكان يستخدم فيه طريقة المقاطع اللغوية وهو معقد كثيراً ويخضع للهواء في تعابيره لذلك سميت لغة الصفير المقطعية والمستوى الرابع في الأعمدة اللغوية أطلقوا عليه بالعمود الناري للغة المقدّسة نظراً لخضوعه للنار في تعابيره ويستخدم الجمل الرقمية المقدسة في التعبير عن الأفكار ..

وكانت هناك الكثير من الطرق التي تعتمد على الاجتهاد في التعبير كأن تكون الأحرف معبّرة عن فكرة لكن هذه الأحرف تكتب مضافة ومخفية بين الأحرف في الجمل ويتم البحث عنها لفهم الرسالة أو المعنى من الجمل وكانت هذه الطريقة غالباً ما تحمل رسائل سرية في أحرف مخبأة بين الأشعار والقصائد وشكلت الأحرف التصويرية الأساس المقدّس في اللغة الأكديه من خلال استخدامها بطرق متعددة للحصول على معنى واحد وهذه الطريقة كانت تقتصر على أقلية محدودة من العظماء لا تتجاوز أعدادهم أصابع اليد الواحدة ..

والتعبير عن التعاليم السرّية بطريقة ما من الطرق لم يكن خوفاً من البشر .. بل من أبناء وبنات العظماء فطبيعة التعاليم كانت تنتقل من خلال مدى التطور الروحي والفكري ووقوعها بيد الشباب كان يمثل كارثة في ظل قدرتهم على التحكم بالكثير من القوانين الكونية والتلاعب بنذر الخير والشر ، لذلك كانت العديد من الرموز التعبيرية التصويرية للأحرف في اللغة الأكديه تعبّر في بعض الأحيان عن جملة كاملة أو عنوان عريض يتم مناقشته دون أن يفهم الاتباع شيئاً من تلك النقاشات ، فتم وضع حروف رمزية لتمثل تعاليم شجرة الحياة الايزيدية ومقاماتها العشرة وكان كل حرف يمثل مقام معين ، فعندما كانوا يرغبوا بمناقشة موضوع تاج المعرفة الايزيدية أو مقام التاج في شجرة الحياة كانوا يقولون أن موضوع اليوم هو (س) في اشارة الى الثلاثة رؤوس في الحرف والتي تعني المعنى الرمزي للثالوث

المقدس في الايزيدية ، أما المقامات الأخرى فقد تم وضع لها أحرف رمزية لتعبّر كل منها على موضوع النقاش المطروح بطريقة رمزية نوعية لا يفهمها إلاّ هم أي عظماء الايزيدية الاثنا عشر ..

لذلك عندما أقول أن العلوم الايزيدية تحمل طابعاً نوعياً رمزياً سرّياً لا يفهمه إلاّ القلة القليلة فهذا تعبير دقيق وسليم عن الحقيقة التي تمثل جوهر محتوى العلوم الايزيدية والتي بقيت حتى يومنا عصية على تفسير وتحليل أعظم علماء الآثار ليس لأنهم قاصرين في المعرفة بل لأنهم استخدموا أدوات قياسية تنتمي الى عالم المادة وبما أن هذه العلوم تعلو على عالم المادة يصبح من المستحيل فهمها قبل الولوج الى تلك الأعماق التي حصرتها الايزيدية في شروط روحية وأخلاقية تمكن الباحث من معرفة الحقيقة وإعطاءها حجمها ومكانها الصحيحين في الوجود ، لذلك كانت الألواح السومرية عبارة عن رموز مشفرّة لعلوم لا يمكن تناولها قبل الوصول الى مستوى الوعي المتفوّق والذي يؤهل الباحث لفهم منظومة التشفير التي اتبعها الايزيديون في لالش المقدسة وفي اور واريدو وسيبار والوركاء وغيرها من مدن الحضارة التي بنوها ..

لقد لعب المؤرخون دوراً كبيراً في تشويه وتحقير الحضارة السومرية من خلال أدوات بحثهم القاصرة ومن خلال جهلهم بالعقيدة الحيّة للدولة السومرية والتي كانت الايزيدية تمثل جوهرها العلمي النوعي الخفي المقدّس وسوء الترجمة والتفسير قاد معاهد البحث للنظر الى تلك الحضارة العظيمة على أنها حضارة ألواح طينية مع يقينهم الكامل أن الطين لا يمكنه أن يبقى نصف مليون عام يقاوم الظروف الجوية والمناخية في كوكبنا الجميل ..

ومثلت اللغة الأكديه المجال الواسع لتطبيق العلوم النوعية في المملكة الآدانية بينما بقيت تلك العلوم تطبّق كطقوس في لالش المقدسة والتي كانت تستقبل فقط من يتحلى بالطهارة والنقاء والاستقامة من عموم المملكة الآدانية وهنا يجب أن نفهم أن اللغتين الأساسيّتين في الايزيدية كانت الأكديه والكردية .. الأولى لغة العظماء والثانية لغة الأتباع والذين كانوا يخوضون نضالاً نفسياً وروحياً شاقاً للوصول الى العظمة والتحكم بالقوانين النوعية أي للوصول لمرحلة فهم اللغة المقدّسة ..

لذلك لا يمكن لأحد أن ينكر أن أوّل ولادة للغة جاءت لعالمنا المعاصر من أرض الدولة السومرية ، كما أن هذه اللغة لم تكن في البداية لغة مكتوبة بل مقسّمة الى أربعة أقسام منها المحكية ومنها الرقمية وغيرها وفي نفس الوقت يجب أن نميّز بين من كان يجيد هذه اللغة من عظماء نطلق عليهم بـ الآيريين وبين من كان يتحدث بها من البشر بطريقة مبسطة نطلق عليهم بـ الساميين ، هذا الفصل الدقيق بحاجة الى أن نتوقف عنده طويلاً حتى نتمكن من فهم حضارتنا بشكل سليم يخلو من النرجسية التي اتبعها أغلب علماء الآثار في تقديم الحضارة ورموزها ولغاتها كما كان يحلو لهم ، النقطة المركزية في الموضوع هي تلك التي تنطلق من أن ينوب البشر عن الآلهة في استخراج معادن هذا الكوكب وتنقيتها وتأهيلها وكيفية وقوع الخلاف بين تلك الآلهة على الآلية التي يجب أن يسلكها البشر في تلك العملية والتي أدت بدورها الى ظهور الأقوام والشعوب والقوميات وبالتالي أدت الى ظهور القوانين والأنظمة واللغات من أجل جعل تلك الآلية مشروعة وفي نفس الوقت تبعد الشعوب عن جوهر الهدف الذي أراد الآلهة من خلاله توظيف المعادن في كوكبنا لخدمة الأهداف العليا النبيلة التي جاؤوا من أجلها ..

فاللغة الأكديه كانت لغة صفير بالنسبة للعظماء ولغة محكية للدرجات التي تلو العظماء ولغة أرقام للكهنة وأخيراً لغة محكية للعامة من الذين كانوا يتواصلون مع الآلهة من خلال تلك اللغة وبعد اتساع رقعة الحضارة تم استخدام اللغة الآرامية في مؤسسات الدولة السومرية لتكون لغة المخاطبات الرسمية وفي نفس الوقت تجعل العامة يبتعدون عن تدنيس اللغة المقدّسة أو التطاول على ألفاظها والعبث بها ..

وبين الصور المحسوسة في اللغة الأكديه وبين الخط الأسفيني الذي تم حفره على ألواح اللازورد هناك فواصل زمنية عميقة تتجاوز ما ذكرته المصادر الأكاديمية من حقائق نسبية في التعبير ، فمن خلال دراسة اللغة الأكديه نطل على عالم واسع يجب أن نخضع فيه لتقسيم يقوم على الفترة التي سبقت التعبير عن اللغة بطرق محكية عن تلك التي تم تسميتها بلغة التدوين الأسفينية أي تجسيد الأحرف على ألواح اللازورد بطريقة تمكن البشر من قراءتها وتعلمها وفهمها . وأغلب الكلمات التي تشير معانيها الى المواقع في لالش جاءت من خلال المستويات الأربعة في اللغة الأكديه والتي تم تغيير قسماً منها بمرور الزمن كي تتناسب والدورات الشمسية والقمرية في التعبير عن المناسبات في الايزيدية ، ف لالش تعني في اللغة الغير منطوقة شلال الشفاء وكذلك زمزم الذي يعني طنين المياه لكن المعنى يختلف عند نقله الى المستوى الرقمي ليضاف اليه ظرف زماني (طنين المياه ساعات الصمت الليلي) وعند نقل المعنى الى المستوى الأعلى فإنه يعني المياه التي لا تتوقف ..

هذا مثال بسيط على كيفية وضع المعاني في اللغة الايزيدية في موضعها السليم بعيداً عن السطحية التي يتم تناول المعاني من خلال الأبحاث الأكاديمية التي لم تعد توفي بالغرض الدقيق للتعريف وخاصة تلك المصطلحات التي تتناول أسماء الأماكن المقدسة في الايزيدية والأعياد . ان فهم الايزيديون للغة الكون الرمزية هي التي دفعتهم الى اعتبار فلسفتهم بمثابة لاهوت يقوم على اليقين المطلق المقدس وأهم العناصر والأجزاء في تكوين هذه الفلسفة كانت تعتمد اعتماد دقيق على الوصول للغة الكون الرمزية التي تمثل مفتاح كل لغات الكائنات والمخلوقات والأشياء في الحضارة وبالتالي انتقلوا الى التحكم في هذه الأمور عبر فهمهم لهذه القوانين بشكل سليم ..

فالوصول الى هذه المرحلة كان يدفع كهنتهم لمخاطبة كل المخلوقات وكذلك التحكم في الكثير من الظواهر المادية المتعلقة بعالمنا الأرضي ، كالحديث مع الحيوانات والحشرات ، كالتحكم في هبوط الأمطار من عدمها وغيرها من الطرق التي نتجت عن فهمه السليم للعلوم النوعية التي كانت تمثلها أحرف اللغة الأكديه في ذلك العصر ونتيجة منطقية لهذا التطور في فهم العلوم النوعية فهم الايزيديون أن مهمة الكائنات الآرية الخالدة مهمة تفوق التصوّر البشري ليس لأنهم لم يشاهدوهم بأم أعينهم فقد كانت هناك نخبة أو أقلية بالفعل تتولى هذه المهمة بل لأن الأعمال التي كانوا يقومون بها تعكس هذا التفوّق ..

لذلك اعتبروا أن مخاطبتهم باللغة الأكديه دون فهم جوهري لكل أحرفها تدنيس للمقدس في نظرهم ، أي مخاطبة العظماء والمسئولين عن التحكم في الهواء والماء والتراب والنار ، القادرين على قراءة الأجرام السماوية كما لو كانوا يطلعوا على صفحة عادية في غاية البساطة ، القادرين على تحديد نذر الخير والشر من خلال علمهم ومعرفتهم ، لذلك قدّر الايزيديون الآلهة السبعة أو الملائكة السبعة المتحكمة في المنظومة الكونية عبر النور المقدّس لـ طاوسي

ملك على أنهم صانعي المصائر وهذه المصائر دائما يتم فهمها عبر لغة الكون الرمزية أو حاويات اللغات التي أفرزتها ضرورة خلق الكائن البشري وبداية حضارته على هذا الكوكب ..

لهذا كانت اللغة الأكديه لغة البداية المقدّسة في الايزيدية قبل أن يتم تشفيرها الى لغات أخرى كان آخرها اللغة الكردية التي وضعوا هم أنفسهم أبجديتها وبين ذلك العصر وعصرنا الحديث هناك ما يقرب 113 لغة ولهجة تم تشفير العلوم الايزيدية اليها اختفت أغلبها من التداول لكن الذين يمتلكون القدرة على عبور الوعي المتفوّق وممارسة البرّ (البرخك) او فتح الكتاب السماوي أو فهم السمفونية الكونية الغير معزوفة في عالمنا يعلمون أبجديات تلك اللغات ويتحدثون بها دون أن يعلموا أنها كانت لغات قديمة محكية عندهم ، هنا يجد الباحث الحقيقي أواصر التشابك في التاريخ القديم لعقيدة الدولة السومرية الايزيدية مع ما تلاها من حضارات وممالك نهضت وزالت قبل أن نصل عتبة العصر الحديث الذي شوّه معالم تلك الحضارة ..

لقد استندت الأساليب التي اتبعها الايزيديون القدماء الى لغة مقدّسة لهذا انطلقت هذه الفكرة كالشرارة الى باقي الحضارات وأهم مبدأ تم نشره وأصبح العقيدة السائدة في الشرق الأوسط والأدنى هو القوة الخالقة للكلمة الإلهية أي طاوسي ملك ، هذا الاستنتاج لم يأتي من فراغ بل من فهم سليم متدرّج لعلم نوعي خفي مقدّس شكل علماً تجيده أقلية عبر العصور ولم يكن الايزيديون يسمحوا لأحد بالإطلاع عليه والعبث بقدسيته ، لهذا ظهرت فيما بعد الفلسفات التي حاول الايزيديون ابعاد العلوم المقدسة ولغاتها عن التداول من خلال تشفيرهم لعلوم مبسطة أطلق عليها المثرائية والزاردشتية والمانوية وغيرها من الفلسفات التي أشرف الايزيديون أنفسهم على صعودها وزوالها من الساحة ..

لذلك حتى نتمكن من تقديم ملخص دقيق عن اللغة المقدّسة الاولى التي استخدمها الايزيديون فإننا سنكون أمام وصف اللغة الأكديه كما جاءت في مصادرها الايزيدية وليست المصادر التي اعتمدت على تخمينات بعض المستكشفين او المستشرقين من الذين كانوا يدرسون هذا الجانب من زاوية سياسية تخدم بلدانهم وتعمل على طمس الكثير من الحقائق ..

قسّم الايزيديون اللغة الى مستويات وهي ..

- المرحلة الصورية للتعبير ..
- المستوى الرمزي للتعبير ..
- مستوى المقاطع للتعبير ..
- مستوى الجُمل الرقمية المقدّسة ..

أربعة أعمدة في اللغة الأكديه تعكس مستويات الوعي وعناصر الخلق الأربعة ، بينما وضعوا الأعداد على ستة محاور تشكل أعمدة الخلق المقدّسة وتعكس الأرقام في المستوى الأعلى وكذلك في المستوى السفلي كما يمكن تصوّر الفكرة من خلال النجمة السداسية والمثلثين المعكوسين فيها وهي طريقة كانت متبعة بعمق في التعبير عن الألفاظ في الأكديه ..

هذا الجمع في اللغة بين ما هو صوري ورمزي وصوتي وقف خلف تعقيد فك رموزها بالنسبة للمكتشفين والباحثين في مجال اللغة التي قدم العراقيون والايزيديون بشكل عام علومهم للحضارة عن طريقها ولأن هذا التعقيد كانت تقف خلفه أسباب عدم تدنيسها والعبث برموزها واستخدامها لأغراض أخرى بعيدة عن أهدافها ومنها السحر وتأليف طلاسمه ، وانتشرت بالفعل أعمال من هذا القبيل قبل أن يتمكن الايزيديون من السيطرة عليها وإبعاد الأكديه عن تناول هذه العقول المريضه ..

إذاً تناول الجذر الأول للحضارة كما نرى يبدأ بلغة القوم وطريقة إستخدامهم للتعابير الرمزية التي تشير الى المعاني في طرح الأفكار ولم تكن لغة السومريين لغة سهلة وحتى الأعداد بل كانت منقسمة كما رأينا في الأعلى الى أربعة أعمدة وجوانب تعبّر عن الأفكار بطريقة تصاعدية أو تنازلية حسب ما يقتضيه النصّ المراد التعبير عنه ..

ورغم البحوث المميّزة التي قام بها كل من آدم فلكنشتاين ووثوركلد ياكوبسن إلاّ أن هذه البحوث التي تناولت اللغات السومرية وتفرعاتها لم تكن ترتقي الى المستوى المطلوب وبقيت منقوصة لعدم توفر شروط البحث السليم في أعماق الحضارة السومرية ، كما أن ترجمة أغلب الكلمات جاءت منقوصة ولا تعبّر عن جوهر المعنى أو تمت ترجمتها أساساً بشكل خاطئ نظراً لجهل الباحثين بالمنهج اللغوي الذي استخدمته حضارة وادي الرافدين ، ولم ترافق كل جهود علماء الآثار عملية مهمة للغاية وهي البحث عن الشعب الذي بقي من تراث سومر والشعب الذي بقي يتحدث الأكدية والآرامية للإستعانة به لترجمة هذه الألواح ، كما لم يتم الإستعانة به لشرح العقيدة الحيّة لسومر وكذلك طبيعة العادات والتقاليد والألعاب والمزارات التي كانت تشكل محور الحضارة النوعية التي قامت في جنة عدن (آدان) ..

الفصل الثالث

الشريعة الأولى

من يطلع على التاريخ السومري لا بد له أن يتوقف طويلاً أمام عملية بدء البناء الروحي قبل الجوانب الأخرى في مجرى العملية ، وربما يتسائل البعض عن المغزى الروحي لبناء الحضارة وطبيعته ، لذلك نشرت العديد من الترجمات عن تلك الألواح التي تحدثت عن كائنات تمتلك وعي إلهي يفوق الوعي الإنساني أو البشري على السواء ..

هذا الوعي الإلهي كان مقدمة لشريعة إلهية تشمل مساحة معينة إختارها من نزل من أجل البناء يقوموا بتطبيقها بشكل صارم كي تنجح عملية البحث التي أطلقوها من أجل إعادة الحياة لكوكب الأرض أو بعث الحياة فيه كي يكون كوكباً فاعلاً في مجموعتهِ الشمسية ، بدأت تعاليم الشريعة في سومر بلغة يجزم العلماء بأنها إندثرت ولم تعد ضمن لغات الوجود لأسباب غامضة بعد إنتهاء سلالات اور الثلاث . لهذا تم ترميز أغلب المؤلفات والمخطوطات السومرية باللغة البابلية أو ما تسمى بالمسمارية القديمة التي تطورت فيما بعد الى السريانية الشمالية والجنوبية والتي تجمع أسس الأبجدية الآرامية التي ظهرت كلغة رسمية للحضارة في سومر وبابل وآشور ..

وهنا يجب أن نُميّز بين الشريعة التي وضعها العظماء الذين أسسوا الحضارة لمنظومتهم الاجتماعية التي تشمل عناصر كما ذكرت تمتلك وعي إلهي وبين منظومة إجتماعية أدنى كانت تعمل تحت إمرتهم من أجل بناء ما كان العظماء يخططون لهُ لبناء وبعث الحضارة على الأرض ، وتطرقت في كتاب ملحمة اسرار الوجود البشري بشيء من التفصل للبداية في سومر وكيفية انشاء دولة الكهنة السومرية التي سميت بجنة آدان (عدن) ، وفشل اغلب علماء الاثار البريطانيون والغربيون من فهم أجزاء واسعة من الواح تلك الحضارة بسبب انتماءها لعلوم نوعية اعمق بكثير من العلم الأكاديمي الذي كان يُميّز عملية البحث وأي عالم كان يخرج عن الإطار الذي تضعه الإدارة البريطانية في عملية البحث كان يُستبعد ويتعرض لحملات تشويه شرسة تنتهي بمحي إسمه من قائمة الباحثين وعلماء الاثار ..

ومن قائمة الأسماء الأولى التي ساهمت في إستخراج القسم الكبير من الألواح التي تتحدث عن شكل البداية في كوكبنا كان كل من (ليون ليغراين) و (وديفيد مارمن) و (جورج بارلتون) حيث قاموا باستخراج اكثر من مائة لوح سومري وتم ارسالها الى المتحف الملكي البريطاني ومن ثم تم إيداعها في متحف جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة اليوم ، وجاء بعدهم من درس الأدب السومري بعمق وهو الباحث هوغو رادو لكن هؤلاء جميعاً رفضوا أولاً مخالفة الحقيقة المتمثلة بأن الألواح المستخرجة كانت ألواح عليها مدونات باللغة المسمارية والسومرية والأكدية كلها كانت من اللازورد الخالص ومعادن ثمينة أخرى لا نعلم شيئاً عنها لليوم والقول أنها وجدت على الواح طينية !! طبعاً كان يُطلب من علماء الآثار جميعاً تحويل ما هو مكتوب على ألواح اللازورد الى ألواح من الطين أو الفخار ووضعها في المتاحف بينما كانت تضع الحكومة يدها على الألواح الأصلية من اللازورد والألماس وغيرها من المعادن في أماكن سرّية للغاية ، بالإضافة الى أن اغلب هؤلاء رفضوا مبدأ تحريف الحقيقة ، فقد كانت الترجمات التي يقدمونها لجامعاتهم

وللحكومة تتحدث عن حضارات متفوقة افتتحت الحياة على كوكبنا كان يُطلب منهم التعتيم على تلك الأجزاء أو منع الحديث عنها بأي شكل من الأشكال ..

هنا نكون أمام حالة نادرة من التعتيم المتعمّد على الحقيقة وتدفعنا الأمانة العلمية للتطرق الى كل تفاصيل الشريعة الأولى في سومر بشيء من السعة والتمدد في البحث قد تتجاوز مفردات العلم الكمي الأكاديمي المنهجي القاصر الذي وضعت بريطانيا أسسه في الجامعات العالمية ووضعت في نفس الوقت حدوده بحيث أن كل من يتجاوز تلك الحدود كان يتم إقصاءه من الجامعات العالمية بأمر منها ..

رفضت هذه النخبة من العلماء الاستجابة للضغوط وتم إقصاءها من ساحات البحث على الرغم من أن أهم أربعين لوحاً في الحضارة السومرية خرجت للنور على أياديهم قبل أن يأتي زكريا سيتشن ليقوم بترجمتها حرفياً متحدياً كل أنواع الضغوط مما عرضهُ لحملة شرسة من التشويه لم تتمكن في نهاية المطاف من النيل منه بل أن كل ترجماته للألواح السومرية تدرّس اليوم للنخبة الحاكمة في كوكبنا وأبناءهم وبناتهم لأن ترجماته كانت دقيقة بما يكفي لتعبّر عن الروح العظيمة التي سيطرت على تلك الحقيقة في كل تفاصيلها لتشمله برعايتها ..

نموذج للألواح التي رفض علماء الآثار تحريف مضمونها وكلماتها وهي 12 لوحاً من مجموع أربعين لوحاً تمت ترجمتها واخفي الجزء الأكبر منها بما فيها تلك التي ترجمها عالم الآثار زكريا سيتشن ..

في اللوح الأول .. كتاب أنكي المفقود

قبل الأزمنة السابقة كانت البداية ، وبعد الأزمنة السابقة كانت الأزمنة الخوالي .

في الأزمنة السابقة جاءت الآلهة الى الأرض وخلقت أبناء الأرض ..

في الأزمنة السابقة لم يكن أحد من الآلهة على الأرض ، كما أن أبناء الأرض لم يُخلقوا بعد ..

في الأزمنة السابقة كان مسكن الآلهة على كوكبهم وأسمه نيبيرو .

كوكب عظيم ، ضارب الى الحمرة في اشراقه .. حول الشمس يدور نيبيرو

لبعض الوقت اجتاح البرد نيبيرو وسخنت الشمس الشديدة جزءاً من دورانه

شكل نيبيرو غلافه الجوي السميك بسبب الثورات البركانية التي تغذيه باستمرار

احتوى الغلاف الجوي كل أنواع الحياة وبدونه لن يكون سوى الهلاك

في الفترة الباردة الحرارة الداخلية لنيبيرو تحافظ على الكوكب ، مثل معطف دافئ يتجدد باستمرار .

في الفترة الساخنة يحمي نيبيرو من أشعة الشمس الحارقة .

وخلال الأمطار تستوعب وتسرّب وترفع مستوى البحيرات ومجاري المياه .

يغذي ويحمي غلافنا الجوي النباتات المورقة ، وكل أنواع الحياة في المياه والأرض تنبت .

بعد عصور من الزمان ظهر جنسنا وعن طريق جوهرنا وبذرتنا الأبدية تناسلنا .
وبزيادة أعدادنا في مناطق كثيرة من نيبيرو انتشر أجدادنا .
البعض حرث الأرض والبعض الآخر رعوا مخلوقات تدّب على أربع .
عاش بعضهم على الجبال وبعضهم الآخر في الوديان بنى مسكنه .
حدثت منافسات وحدثت تعدّيات واشتباكات وقعت وأصبحت العصي أسلحة .
تجمعت عشائر لتصبح قبائل ، ثم واجهت أمتين عظيمتين بعضهما البعض .
حملت الأمة الشمالية السلاح ضد الأمة الجنوبية .
ما كان يُحمل باليد تحوّل الى صواريخ طائرة وأسلحة من الرعد النور زادت من الدمار .
اجتاحت حرب طويلة وشرسة الكوكب ، حشد الأخ ضد أخيه .
كان هناك موت ودمار في كل من الشمال والجنوب .
لمدارات كثيرة (المدار يساوي عشرة شار) ساد الخراب وتضاءلت الحياة كلها .
ثم أعلنت هدنة .. ثم أجريت عملية السلام .
فلتتحد الأمم قال المبعوثون لبعضهم البعض .
فليكن عرش واحد لنيبيرو وملك واحد يحكم الجميع .
فلنختار قائداً من الشمال أو من الجنوب عن طريق الأغلبية وليكن ملكاً علينا .
إذا كان من الشمال .. دعوا الجنوب يختار امرأة لتكون زوجته ، وتكون ملكة سماوية جنباً لجنبه .
وإذا اختير رجل من الجنوب ، اختاروا امرأة شمالية تكون زوجته .
ويكونان زوجان كالجسد الواحد ..
وليكن أبنهما البكر هو الخلف ولتشكل سلسلة الاتحاد وتؤسس وحدة الى نيبيرو الى الأبد .
في خضم الانقاض بدأ السلام ، اتحد الشمال والجنوب بالزواج .
اتحد العرش الملكي في جسد واحد ، وأسست سلسلة ملكية غير منقطعة .
اختير الملك الأول بعد السلام ، وكان محارباً من الشمال قائداً عظيماً .
عن طريق الاقتراع الصحيح والعادل ، كان اختياره وفي الوحدة قبلت مراسيمه .
بنى مدينة رائعة لتكون مسكنه ، كان اسمها أكد وتعني الوحدة .
منح لعهده لقب ملكي وكان معناه ملكوت السموات ..
ضاعت الوحدة في البلاد وتذمر الكثيرون بشأن الملك .
هاج الأمراء في القصر وفي المجلس كان المستشارون مذهولون .
من الأب الى الابن واصلت الخلافة ، من آن على العرش .
حتى لاهما الثامن عن طريق التبني اعلان ملكاً .

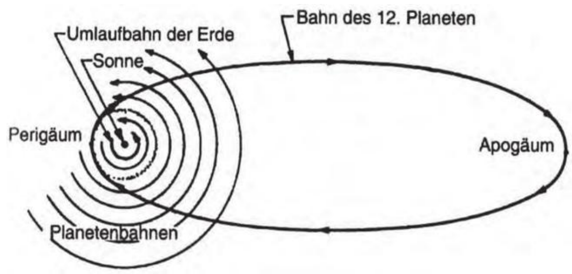
من كان الالو ؟ هل كان وريثاً شرعياً ؟ هل كان ملكاً ؟
بأي حق اغتصب ؟ ألم يكن قاتل الملوك ؟
أستدعي الالو أمام القضاة السبعة ليواجه مصيره ..
أمام السبع قضاة شرح الالو أمره .
على الرغم من أنه ليس وريثاً شرعياً ولا النجل الأول لكنه من نسل ملكي
أنا من نسل آن شار جال ، هذا ما ادعاه أمام القضاة .
ولد جدي من خليلة وكان أسمهُ ألمْ ..
بحسب عدد الشار كان ألمْ البكر وبالتالي العرش عرشه .
ولتواطؤ الملكة وضعت حقوقه جانباً .
وضعت قانون النسل من العدم ، ليحصل المُلكْ لولدها .
حرم ألم من الملك واعتلى ولدها العرش .
بحسب النسب أنا من ذرية ألمْ وبذرة آن شار جال داخلي .
استمع السبعة قضاة لكلمات الالو ..
أحالوا الموضوع لمجلس المستشارين ، للتأكد سواء كان ذلك حقيقة أو كذب
جلبت السجلات الملكية من بيت السجلات ، قرأت بعناية فائقة ..
كان آن وأنتو أول زوجين ملكيين .. ولد لهما ثلاثة أبناء دون البنات .
كان النجل البكر أنكي ومات على العرش وليس له ذرية ..
الابن الأوسط في مكانه على العرش جلس ، كان اسمه آن اب .
وكان آن شار جال ابنه بكره وأعتلى العرش
وبعده على عرش الملك لم يستمر اعتلاء العرش من بكر .
وقد حل محل قانون الخلافة قانون النسل
كان الابن البكر ولد الخليلة وبموجب قانون النسل تم حرمانه
منح الملك بدلاً من ذلك الى ابن كي شاي جال ، كون السبب انها اخت الملك الغير شقيقة .
لم يُسجل في السجلات الملكية ذكر لولد الخليلة البكر
أنا من نسلهِ ! صرخ الالو للمستشارين !
بموجب قانون الخلافة العرش يكون لهُ وبموجب قانون الخلافة يحق لي الملك الآن .
بتردد .. طالب المستشارين من الالو اليمين .
أقسم الالو يمين حياة أو موت وكملك اعتبره المجلس .
استدعوا الشيوخ والأمراء وأعلن القرار أمامهم .

من بين الأمراء تقدم أمير شباب أراد التحدث عن الملك .
يجب اعادة النظر في الخلافة ، هذا ما قاله للجمع .
على الرغم من أني ليس النجل البكر ، أو ولد ملكة ولست من نسل نقي
إلاّ أن جوهر آن موجود بداخلي ولا وجود لدماء الخليلات
سمع المستشارون كلماته باستغراب ، وطلبوا من الأمير الشاب الاقتراب
سألوا عن اسمه .. اسمي آنو سميت باسم جدي آن .
استفسروا عن نسبه ، ذكر ثلاثة أبناء من ابناء آن .
كان أنكي البكر ومات دون أبن أو بنت .
كان آن اب النجل الوسط واعتلى العرش بدلاً من أنكي
اتخذ آن اب ابنة شقيقه الأصغر زوجة له ومنهم صاعداً كانت الخلافة في السجلات مدوّنة .
من كان الشقيق الأصغر ، ابن آن وأنتو ، واحدة من أنقى الذرية .
نظر المستشارون بانبهار الى بعضهم البعض
كان اسمه انورو هذا ما قاله لهم انو وكان جداً عظيماً !
كانت زوجته نينورو ، اخته غير الشقيقة وكان ابنها هو البكر واسمه أناما
كانت زوجته أخت غير شقيقة ، بموجب قوانين النسل والخلافة ولدت له ولد
استمرت الاجيال من اصل نقي ، بموجب القانون والنسل كانت مثالية .
آنو على اسم جدنا آن سماني والدي
أزلنا عن عرش الملك ولكن من نسل آن النقي لم نزل
فليكن آنو ملكاً .. صاح بذلك الكثير من المستشارين ، فلنزيل الالو
حذر آخرون المستشارين ، فلنمنع الفتنة ودعوا الوحدة تسود .
استدعوا الالو لأخباره بالنتائج التي تم اكتشافها !
قدم الالو يده للسلام على الامير آنو وقال لآنو
على الرغم من قبل اختلاف الذرية إلاّ أننا ننحدر من نسل واحد
دعونا نعيش في سلام وتعود علينا نيبيرو بالوفرة
اسمحوا لي بالاحتفاظ بالعرش وتكون الخلافة لك من بعدي
أمر المجلس بكلمات ، فليكن آنو ولياً للعهد وتكون الخلافة لك من بعدي
وليتزوج ابنه ابنتي ولتتحد الخلافة
انحنى آنو أمام المجلس وأعلن للجميع التالي ..
سأكون ساقي الالو وخليفته المنتظر ويختار ابن لي وابنة له كعروسة

كان هذا قرار المجلس ودون في السجلات الملكية
بهذه الطريقة ظل الالو على العرش جالساً
استدعي الحكماء والعلماء والقادة للتشاور معه للبت في المعرفة الكثيرة التي اكتسبها
فلننشأ مراكب .. هكذا قرر للبحث عن الذهب في حزام الكويكبات ، هكذا قرر
سحقت المراكب في حزام الكويكبات ولم يعد منهم أحد
فلنفتح بطن نيبيرو بأسلحة الدمار ونفجر البراكين مرة أخرى هكذا أمر
سلحت المراكب بالأسلحة المدمرة وأطلقت صواريخ الدمار من السماء على البراكين ..
اهتزت الجبال ارتجفت الوديان وانفجرت كنوز رعدٍ عظيم
كان في البلاد كثير من الابتهاج وكانوا يتوقعون خيراً كثيراً
في القصر كان آنو ساقي الالو
كان يركع عند قدم الالو ويضع كوب الشرب في يد الالو
كان الالو هو الملك ، كان آنو يُعامل كخادم لهُ
انحسر الابتهاج في البلاد وحبست الأمطار وهبت الرياح بشكل أقوى
لم تزد ثورات البراكين والخرق في الغلاف الجوي لم يلتئم
في السماوات حافظت نيبيرو على مدارها ، من مدار لمدار ازدادت الحرارة والبرودة صعوبة .
توقف شعب نيبيرو عن تقديس ملكهم وبدلاً من الاغاثة ، تسبب في البؤس
ظل الالو جالساً على العرش .
وقف آنو القوي الحكيم من بين الأمراء أمامه .
كان يركع تحت قدم الالو ويضع كوب الشراب في يد الالو
لمدة تسع دورات كان الالو الملك على نيبيرو
في الشار التاسع صارع آنو الالو
قتال باليد بأجساد عارية ، هكذا تحدى آنو الالو وليكن الفائز ملكاً قال آنو
تصارعا مع بعضهما البعض في الساحة العامة ، ارتعدت قوائم الأبواب وهزت الجدران
ثنى الالو ركبته وعلى الارض سقط على صدره .
هزم الالو في القتال ، بالهتاف و الاشادة أصبح آنو ملكاً ..
اصطحب آنو الى القصر ولم يعد الالو الى القصر
وهرب خلسة من الحشود ، لأنه كان خائفاً من حدوث مصير لاهما له .
ودون معرفة الآخرين .. ذهب الى مكان المركبات الفضائية على عجل .
صعد الالو الى مركبة راجمة للصواريخ وأغلق غطاء القمرة وراءه

دخل الجزء الأمامي للقمرة وجلس على مقعد القائد
أضاء ما يدله على الطريق ، فأضاء القمرة بلون أزرق مائي
حرّك حجارة الحريق وهمهمة مثل الموسيقى الآسرة
مكينة المركبة العظيمة التي شغلها ، القت نوراً محمراً
ودون معرفة الاخرين ، هرب الالو بالمركبة الفضائية من نيبيرو .
اتجه الالو الى الأرض المغطاة بالثلوج ، من البداية سراً اختار وجهته ..
انتهى الاقتباس .. (ص 15 الى ص 27) .. كتاب أنكي المفقود

ومُرفق في هذه الألواح الكثير من الخرائط الدقيقة للغاية والتي تبيّن بوضوح شرح بعض ما جاء في اللوح السومري من معلومات دقيقة تعبّر عن الأفكار الواردة وشكل المعلومات التي يراد ايصالها للأجيال ، وجاء إسم أكد في أولى هذه الألواح على أنها عاصمة للوحدة كما هو مذكور في اللوح أعلاه ومنها وضع الإسم في الحضارة السومرية ومن المعلوم أن الواح أخرى تناولت الإسم على أنه إسم مقدّس لمدينة مقدّسة سأتناولها في هذه السلسلة من تعاليم سومر في الأجزاء المقبلة بشكل واضح ودقيق يعكس الحقيقة من مصادرها ..



رسم توضيحي لدوران نيبيرو (الكوكب الثاني عشر) حول الشمس واقترابه من المجموعة الشمسية للأرض ..

ومن الجدير بالإشارة أن فهم الحضارة السومرية بشكل سليم ودقيق يقودنا لفهم أوسع لطبيعة الحياة التي نعيشها في العصر الحديث ، فالبداية تشكل الأساس النوعي الرصين لطبيعة جعل منظومة الوعي لدينا تمتلك السعة التي تؤهلها لإستيعاب الحقائق الجوهرية التي تجعلنا مدركين لأهداف الحياة التي نعيشها سواء أكانت مرسومة لنا أم أنها تمثل المصير والقدر معاً للبشرية جمعاء ..

وعندما نضع هذه الألواح تحت المجهر يظهر لنا أن شكل المنظومة التي كانت تحكمهم هي أقرب لمنظومة من المتنوّرين الذين يمتلكون العقل الكوني أو الوعي الإلهي الطابع كما نسميه في لغات عصرنا الحديث ..

من الضروري ملاحظة أن الخلافات التي كانت تعصف بين الأشخاص على القيادة تختلف عن الخلافات التي تحدث في عصرنا ، فقد كانت الطبقة الحاكمة لنيبيرو طبقة متنورة تسمح فقط لمن يمتلك صفات معينة الوصول إليها ..

عندما يتم الحديث عن ضعف أو وهن في حكم ملك فذلك يعني عدم قدرته على تحدي القوانين الكونية أو تفسيرها بالشكل اللازم وعندما كان يتم تعيين ملكاً فإن أول اجراء كان اخضاعه لاختبارات المعرفة الكونية والقدرات الروحية والفكرية والعلمية المكتسبة عنده ..

عندما هرب الالو الى كوكب الأرض كانت الأرض تخضع لاختبارات مستمرة من القواعد الفضائية المحيطة بها وعند رؤيتهم لمركبة الالو الفضائية أثار ذلك استغرابهم بشدة لأنه لم يتم ابلاغهم من قبل القيادة بإطلاق أكبر مركبة فضائية على نيبيرو باتجاه الأرض ولم يكن أحداً يعلم أن هذه المركبة التي يمكنها حمل ألف رائد فضاء كانت تحمل واحداً فقط . كانت رحلته مليئة بالمخاطر لأن آلاف المركبات الفضائية تحطمت في هذا الطريق ولقي روادها مصرعهم ، لكن الالو كان ملكاً ويتحلى بقدرات الهية لا يستهان بها ، عندما انطلقت مركبته من نيبيرو ، كانت تلك المركبة أحدث التقنيات العلمية التي توصل اليها نيبيرو ، مركبة فضاء مصنوعة من سبعة طبقات من المعادن والأحجار الكريمة ويتم تحريكها بطريقة استغلال الطاقة الحيوية في الكون عن طريق ألماسات مرسومة بطرق هندسية مختلفة تقوم بهذه المهمة وهي رفد المركبة بالوقود دون توقف ، كما أنها كانت تحوي جهاز مخزون فيه كل المجاميع الشمسية وتعريفات دقيقة لكل الطرق السماوية وكذلك المجرات الكونية ، ابتعد عن كوكبه وهو يعلم ان العودة له تعني المحاكمة ..

نيبيرو يبتعد عن الارض ملايين السنوات الضوئية لكنه وضع الهدف أمامه وهو يمتلك أرقى مركبة فضاء صنعتها أيادي أبناء الشمس . وما أن دخل المجموعة الشمسية المحيطة بالأرض حتى شعر بالأمان ، راح الالو يتمتع برؤية الكواكب المحيطة بالأرض وتلتقط المركبة صوراً دقيقة لها وتخزنها في الجهاز الأم وما يمكن تسميته في عصرنا الحالي بالصندوق الأسود . وعندما دخل حزام الكويكبات كانت الاحجار العملاقة للكوكب المدمَّر تعيق سير مركبته وراح يطلق أشعة النار باتجاهها لإبعادها عن طريقه ، كان عبور هذا الحزام يعني قطع الطريق بنجاح وتمكن بجدارة من عبوره ، المعلومات المخزونة في مركبته الفضائية وأجهزتها تقول أن اختراق الغلاف الجوي للأرض صعب للغاية وأن نسبة النجاح في هذه المهمة لا تتجاوز العشرة في المائة ...

مركبة فضائية عملاقة تفوق في حجمها ألف طائرة ركاب عصرية في يومنا دخلت الغلاف الجوي للأرض وراح يلتهمها كما يلتهم الأسد فريسته ورغم أنها كانت أحدث تكنولوجيا تمكنت الكائنات الذكية من صناعتها ، إلاّ أنها تهاوت ولكن ذكاء سكان نيبيرو وضع الجزء الأم من المركبة والذي كان يضم الأجهزة والقائد في صحن طائر يمثل نواة المركبة مصنوع من الذهب الخالص وزجاجه من الألماس والكوارتز العالي الدقة محاط بأحجار كريمة مرصعة بألوان مضادة لكل أنواع الحرارة التي يبعثها الغلاف الجوي لأي كوكب ..

تحطمت مركبة الفضاء ولم يبق منها سوى النواة أو الصحن الطائر الذي كان يقود الالو المركبة منه ، كان حجمه كبيراً للغاية ويعادل مائة طائرة مدنية ، نجا فيه الالو وهبط في الاهوار العملاقة في جنوب العراق .. (في ألواح أخرى تشير المخطوطات الى هبوطها في خليج البصرة والكويت) ..

عندما هبط الى أرض الكوكب كان يمتلك بعض المعلومات البسيطة التي كانت تصله من قواعد نيبيرو الفضائية في الكواكب المحيطة بالأرض عن الحيوانات والحشرات وأنواع الطيور التي يتم إرسالها الى كوكب الأرض ، لكنه لم يكن متأكداً تماماً من الهواء والماء على سطح الأرض ..

هبط الألو على سطح كوكب الأرض لم يكن متأكداً من نجاحه ، الدمار الذي لحق بالمركبة العملاقة أفقده وعيه لبعض الوقت وأصيب بالهذيان والتعب ، كان شكل التربة يميل الى الاحمرار والسبب هو أنها كانت تحوي كميّات كبيرة من الذهب وباقي المعادن التي يبحثون عنها ، يجب أن يكون معلوماً لدينا أن هذه الرحلة كانت الاولى لكائن عاقل يهبط على كوكبنا . الطعام والشراب لملك مثل الالو كان عبارة عن عصير مستخلص من المعادن الثمينة كالذهب والألماس وأن جرعة صغيرة كانت تكفيه أشهراً في تقويمنا الأرضي وربما سنوات . بالإضافة الى هذا الطعام النوعي كان طعاماً كمياً آخراً كانوا يتناولوه على سطح نيبيرو وهو الخبز المرصع بزيوت الذهب والماء القادم من جبال الألماس ، أو الجبال التي تحوي كميات هائلة منه في كل كواكب المجرات ..

يبقى أن نشير الى أن أغلب الكتابات التي تصف لنا الحالات هذه مشفرة ومكتوبة بطرق رمزية وحتى طريقة شرح خلق كوكب الأرض وارتباطه بقمرهِ المدمر تيامات مثلت أسرار لا يمكن فهمها دون الإلمام بالعلوم الهندسية الخفية التي أحضرها سكان نيبيرو الى كوكبنا . الهواء والماء كانا من أوائل العناصر التي أراد الالو اختبارها في الكوكب وثبت له انهما تتمتعان بنفس الخصائص الكيميائية للماء والهواء على سطح نيبيرو ، كان الالو يرتدي ثوب رواد الفضاء الذي هو عبارة عن قماش معيّن مطرز بالفضة وخوذة الرأس التي تمثل جهاز كمبيوتر متقدم للغاية وكذلك يحمل في صحنه الطائر ثوب احتياط للإبحار في أعماق المياه ..

وكذلك نظارة مشعة تعمل عمل الكاشف على كل المواد التي تقع تحت أشعتها وتقوم بالتعريف عنها لمن يضعها على عينيه ، كانت الاجهزة التي بعهدته هي آخر ثمرة التطور التكنولوجي في نيبيرو ، قام بفحص كل شيء في محيطه الى أن وصل الى مصدر مياه طبيعية يمكن شربها وكذلك شاهد سحلية تطلق صوتاً غريباً لم يسمعه من قبل ، اعتقد أنهُ مخلوق من عالم آخر ، لكنه لم يتمكن من فهم طبيعة تكوين ذلك المخلوق الذي نتج عن تدمير عرق الزواحف والديناصورات على الكوكب قبل ملايين السنين من زيارته لهذا الكوكب . لاحظ سرعة دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها فحلول الليل بسرعة لم يكن معهوداً عنده بهذه السرعة والنهار في يوم واحد من أيام نيبيرو يعادل شهراً على الأرض وربما أكثر من ذلك . ارتدى ثياب البحر وحمل معه الجهاز المتخصص في فحص محتويات المياه كانت شاشة البحث تضيء بكل محتويات الأهوار وما تحتها ومن بين تلك المحتويات الذهب !! لقد وجد الذهب !!

كان غلاف نيبيرو الجوي هو الآخر بحاجة الى الذهب ومعالجة الشق في طبقاته حيث كان يتم تحضيره بطريقة معينة وضخه في الغلاف لسد الشقوق فيه ، كانت فرحة الالو لا توصف باكتشافه الذهب في الكوكب رغم أن كل أبحاث نيبيرو وتجاربه أكدت أن كوكب الأرض معجون من الذهب ومترابط في كل جزء من الكوكب ، لكن أن تجده بأم العين فهذا يعني أن ثمار كل التجارب بدأت تظهر كنور الشمس . رجع الالو الى سطح المركبة ونزع

ثوب البحار وأشعل مفاتيح القدر (أجهزة الاتصال) مع نيبيرو وفتح السماعة وراح يرسل رسالة صوتية من كوكب الأرض الى كوكب يبعد ملايين السنوات الضوئية عنه ..

لم يصدق أحد في بادئ الأمر هذه الرسالة وراحوا يتفحصوا مكان بثها في الكون ؟ أم خارجه ؟ كانت الاشارة تدل على انها قادمة من وراء حزام الكويكبات ومن الكوكب السابع بالتحديد ! حل الذهول عند حكماء القيادة في نيبيرو وكذلك زاد استغرابهم في كيفية وصول الالو الى الكوكب السابع متجاوزاً كل المخاطر ودون الخضوع لرأي علماء الفلك في تحديد الوقت والمكان المناسبين للانطلاق ..

شخصية الالو كانت تثير الحكماء في الكوكب قبل وبعد حكمه لنيبيرو فهو عالم متنور جليل كان يأخذ أسرار الهندسة الكونية الايزيدية الخفية المقدسة عن طريق الاتصال بالبعد التجاوزي بمستوى أعلى كان جده ان شار جال يمثل حلقة الوصل بينه وبين مستوى آدي ، هذا التخاطر الذي كان يستغرق سنوات طويلة لإمداده بأسرار الوجود لم يكن من السهل القيام به إلاّ لأشخاص كانوا يعملوا بجد للوصول الى حالة الايزيدا ..

ايزيدا .. في نيبيرو كانت تعني أقصى درجات التحكم بالإرادة والعقل والعاطفة وكانت تتضمن أقصى درجات الطهارة والنقاء والاستقامة ، هذه القيم تحلى بها الالو وحكم الكوكب مستخدماً علومه لبناء كل جديد ، للسيطرة على حركة الأفلاك والمجرات واستخدامها أفضل استخدام لتوسيع المعارف العلمية في كوكبه . في عهده تمكن من إجراء أكبر تجربة كونية بضرب الأرض بتيامات وكذلك إرسال آلاف البعثات الفضائية الى مختلف الكواكب واكتشاف مكوناتها وكذلك تلك التي تنبض بالحياة وإخضاعها لنيبيرو وفي عهده تمكن من سبر سرّ البداية وأصبح فوق الجميع في معارفه وراح الجميع يحسدونه على مصادره التجاوزية التي جعلت منه سيد العلماء ووصفوا عصرهِ بالعصر الذهبي لأن الذهب أصبح في متناول سكان الشمال والجنوب على حد سواء وراح الجميع يستقي علومه بشكل أسرع من خلال توفر ذلك الزيت المستخرج من الذهب ..

ذكرت في الفصل السابق طبيعة البداية التي تلت رحلة الآلو الى الأرض وبعد ذهابهِ بعقوبة بقي العظماء الإثنا عشر الذين وضعوا البرنامج الكوني الذي يمكن من خلاله إدارة الكوكب الجديد بالنسبة لهم وهو كوكبنا الأرضي اليوم .. وهؤلاء العظماء هم ..

أنليل .. وأنكي .. ونينماه .. ونينجيشيزيدا .. ونينورتا .. وننار .. وآشور .. وأنانا .. وتموز .. ومردوخ .. وشماش .. ونيناجال .. بعد موت تموز تم وضع نابو نجل مردوخ مكانه في قائمة العظماء الإثنا عشر ..

لا يتناول العلم الأكاديمي الجانب التاريخي لهذه المواضيع بالشكل السليم الذي تعكسه الحقائق في المخطوطات التاريخية لأن تناولها من هذه الزاوية يضع حجج البحث العلمي أمام جدار لا يمكن تجاوزه مهما كانت المبرّرات ، جدار قد يعني تحطيم كل الأكاذيب والأوهام التي حاولت مراكز البحث العلمي البريطانية تلقينها لنا على انها حقائق لكن في الحقيقة واستناداً للمخطوطات التاريخية المستخرجة من العراق او مناطق الشرق الأوسط لم تكن تلك المعطيات البريطانية سوى أوهام تحطمت عند جدران الحقيقة السومرية ..

الفصل الرابع

بقايا الروحانية في الديانة البابلية

لا يتطلب الأمر معرفة عميقة للوصول إلى استنتاج مفاده أن الوقت لم يحن بعد لكتابة أطروحة شاملة عن ديانة بابل وآشور . ولكن حتى لو كانت معرفتنا بهذا الدين أكثر تقدماً مما هي عليه ، فلا يزال من الممكن التشكيك في فائدة المعالجة الشاملة . من المرجح أن تكون الأطروحات الشاملة مرهقة للقارئ والمؤلف على حد سواء ومهما كانت هذه الأطروحة شاملة (أو مرهقة) ، فلا يمكن أن تكون نهائية إلا في خيال الكاتب المحب . طالما يسود النشاط في أي فرع من فروع العلم ، فإن جميع النتائج مؤقتة لا سيما وأن هناك آلاف المخطوطات لم تترجم بعد أو لأنها بقيت طي الكتمان والسرية ، تؤدي المعرفة المتزايدة بالضرورة إلى تغيير المنظور وإعادة تعديل وجهات النظر . السبب الرئيسي لكتابة كتاب هو تمهيد الطريق للكتاب التالي حول نفس الموضوع وهذا ما فعلته بالتحديد وفقاً للخطة العامة لسلسلة الكتب هذه ، كان هدفي الرئيسي هو جمع ما هو معروف حالياً عن ديانة البابليين والآشوريين في ترتيب مناسب وشكل قابل للقراءة لا سيما وأن الطرح جديد على القارئ بكل معنى الكلمة . إن تحقيقات العلماء متناثرة في مجموعة كبيرة ومتنوعة من الدوريات والدراسات المضطربة المليئة بالمغالطات . لقد حان الوقت لتركيز النتائج التي تم التوصل إليها ، وغربلة المؤكد من غير المؤكد ، وغير المؤكد من الزائف الذي أضافه البريطانيون ، إن هذا العمل المتمثل في جمع أعضاء من علم الآشوريات ضروري للتقدم في المستقبل . إذا نجحت في تحقيق هدفي الرئيسي ، فسوف أشعر بالمكافأة الكافية للعمل المبذول وتنقية الحقيقة وتقديمها للقارئ ..

لكي يكون الكتاب بمثابة دليل للطلاب ، فقد تم تقديم أسماء أولئك الذين يرجع الفضل في معرفتنا الحالية بالموضوع إلى أبحاثهم ، وأعتقد أنني سأجد أنني كنت منصفاً للجميع . في الوقت نفسه ، لم أتردد بطبيعة الحال في الإشارة إلى اختلافي مع الآراء التي طرحها هذا العالم أو ذاك ، وسأجد أيضاً ، كما أعتقد ، أنني في سياق دراستي تقدمت في تفسير الموضوع العام أو الحقائق المحددة في نقاط مختلفة . وعلى هذا فإن هذا الكتاب ، وإن كان قد قدم كمساهمة أصلية بدرجة ثانوية ، فإن مناقشة النقاط التي أثارها هذا الكتاب سوف تزيد من قيمته ، كما آمل بالنسبة للمتخصص ، وكذلك بالنسبة للقارئ العام والطالب الذي تستهدفه في المقام الأول مجلدات هذه السلسلة .

إن ترتيب الموضوع يتطلب كلمة من الشرح . فبعد الفصلين التمهيديين (المشتركين بين جميع مجلدات السلسلة) ، تناولت البانثيون باعتباره الوسيلة الطبيعية لمسح هذا المجال . وقد تناولت البانثيون ، على أساس النصوص التاريخية، في أربعة أقسام هي .. الفترة البابلية القديمة ، والفترة الوسطى ، والبانثيون في أيام حمورابي ، والبانثيون الآشوري، والفترة البابلية الحديثة ، ومن الطبيعي أن تكون المرحلة الأكثر صعوبة هي البانثيون البابلي القديم . وهناك الكثير من الأمور غير المؤكدة هنا ، إنني لا أتحدث هنا عن التسلسل الزمني الذي لا يزال إلى حد كبير مجرد تخمينات ، بل إن تحديد هوية العديد من الآلهة التي وردت في أقدم النقوش وأغلبها آلهة إيزيدية ، مع ما يعادلها من آلهة لاحقة

وتسميات مختلفة ، لابد وأن يؤجل إلى أن تزيل الاكتشافات المستقبلية العقبات العديدة التي تعترض طريق الباحث . لقد أدت الاكتشافات التي حدثت في تلوه ونيبور إلى إعادة صياغة آرائنا ، ولكن المشاكل الجديدة نشأت بسرعة بقدر سرعة حل المشاكل القديمة . ولقد حرصت بشكل خاص في هذا القسم على عدم تجاوز نطاق ما هو معروف على وجه اليقين ، أو على الأكثر ما يمكن اعتباره مؤكداً إلى حد ما . ولقد سعيت طوال الفصول التي تناولت البانثيون إلى الحفاظ على موقف الانفتاح على الإقناع وهو الموقف الذي لا يمكن التركيز عليه كثيراً في الوقت الحاضر . أما القسم الثاني من الموضوع فيمثله الأدب الديني الايزيدي . وباستخدام هذا الأدب كمرشد ، تم توضيح وجهات نظر البابليين والآشوريين فيما يتعلق بالسحر والعرافة ، وفيما يتعلق بالعلاقة بالآلهة ، وخلق العالم ، ووجهات نظر الحياة بعد الموت من خلال ترجمات وفيرة، إلى جانب مناقشة العينات المختارة . وأود أن أضيف أن الترجمات قد تمت مباشرة من النصوص الأصلية ، وتهدف إلى أن تكون حرفية قدر الإمكان بما يتوافق مع العرض باللغة الإنجليزية الاصطلاحية . وتشكل العمارة الدينية، وتاريخ المعابد ، والعبادة موضوع القسم الثالث . وهنا مرة أخرى هناك الكثير مما لا يزال غير مؤكد ، وهذا الغموض يفسر التقسيمات الفرعية غير المتساوية للموضوع والتي لن تفلت من القارئ ..

وبموجب الخطة العامة للسلسلة ، فإن الفصل الأخير من الكتاب مخصص لتقدير عام ودراسة للتأثير الذي مارسته ديانة بابل وآشور . في ترجمة الأسماء الصحيحة ، اتبعت الطرق التقليدية للأسماء المعروفة (مثل نبوخذ نصر) ، والاستخدام العام للعلماء في حالة الأسماء الأخرى . في بعض الحالات ، قدمت ترجمة خاصة بي وبالنسبة للملك الآشوري الشهير ، الذي ندين له بالكثير من المواد لدراسة الديانة البابلية والآشورية ..

لقد كانت بابل في نظر آبائنا حتى ما يقرب من قرن مضى مجرد اسم عظيم ، هيكل عظمي ضخم تبرز أضلاعه هنا وهناك من رمال العراق في خراب هائل لبرج ومعبد . ولكن الآن تم سحب الكفن الرمادي الذي كان يخفي عن الأنظار بقايا بريق وتألق روعتها القديمة إلى حد ما وبفضل جهود مجموعة من العلماء والمستكشفين الذين يجب تصنيف حياتهم وأعمالهم ضمن أكثر المقاطع رومانسية في تاريخ الجهد البشري ، أصبحنا الآن قادرين على رؤية بانوراما رائعة للحضارة الإنسانية كما تطورت في وديان دجلة والفرات . إن اسم بابل يحمل معه صوت تعويذة عميقة غامضة ، مثل التعويذة التي قد تنطق في أعماق المعابد السرية . إنه يوقظ آلاف الأصداء في الخيال إنه يحمل موسيقى أغنى من موسيقى مصر . بابل سحر الكلمة الرنان يشبه سطراً من ملحمة عظيمة . إنها تهبط على أذن المؤرخ كالرعد البعيد . فخلف عظمة روما وجمال اليونان تلوح في الأفق كظلام عظيم كثيف تتلألأ فوقه على فترات متباعدة تيارات من الضوء غير المؤكد ، حيث يمر الملوك والكهنة ، الفاتحون والطغاة ، أنصاف الآلهة والبناؤون الأقوياء ، من الظلام إلى الظلام أحياناً في ضوء الإدراك التاريخي الكامل ولكن في أغلب الأحيان في ضوء خافت وغسق من عدم اليقين يخفف جزئياً .

إن الأشكال الأخرى ، مرة أخرى ، تتحرك مثل الأشباح في ظلام دامس ، وهي أكثرها عدداً على الإطلاق . لكن روح بابل ليست شيئاً ناعماً وجذاباً يروي عجائب الشرق أو مشحوناً بسحر الشرق اللذيذ . بل إنها شيء صارخ

وقوي ، مستمد من القدر وملحمي في إدراكه الشديد للمصير . في التاريخ البابلي لا يوجد سوى شخصيتين مهمتين الجندي والكاهن . نحن نتعامل مع عِرق صارم وصارم في دينه وعقيدته ، عِرق من المتدينين الصارمين والفاتحين ، الرومان في الشرق ولكن ليس عِرقاً عديم الخيال ، لأن البابليين والآشوريين جاءوا من ذلك العرق الذي أعطى للعالم أعظم دياناته ، وهو عرق لا يخلو من الشعور بالغموض والعلم العميق ، لأن بابل كانت أم علم التنجيم والسحر المعرفي وأغلب العلوم النوعية ، وأسست بدايات دراسة النجوم وأخيراً التجارة ، حيث تأسست أولى العمليات المالية الحقيقية وأولى بيوت التبادل في ظلال معابدها وقصورها ..

إن حدود الأرض التي نشأت فيها إحدى أعراق بابل وآشور والتي كانت من أكثر الحضارات أصالة وتميزاً في تاريخ العالم ، هي النهرين العظيمين في غرب آسيا دجلة والفرات ، حيث كانت آشور هي نفسها الجزء الشمالي الجبلي وكانت بابل هي نفسها الجزء الجنوبي ، الذي كان يميل إلى أن يكون مسطحاً ومستنقعياً . كانت كلتا المنطقتين من البلاد مأهولة بأشخاص من نفس العرق ، باستثناء أن الآشوريين اكتسبوا خصائص السكان الذين يسكنون بلداً جبلياً وأصبحوا إلى حد ما مختلطين بعناصر الشمساني والأداني .

الأكاديون من هم إذاً الأكاديون الذين جاء البابليون ليحلوا محلهم ؟ ولكنهم اختلطوا بهم في النهاية فالديانة الايزيدية واحدة لكن تسميات المدن والحضارات تتغيّر ، لقد كان الجدل الذي احتدم حول الانتماءات العرقية لهذا الشعب عظيماً ومريراً . فقد زعم البعض أنهم كانوا من أصل أداني طالما أن أولى جنات الحضارة سميت بآدان ، بينما زعم آخرون أنهم كانوا من عرق أقرب إلى الشمساني . في كتاب مثل هذا ، والذي يهدف إلى تقديم وصف للديانة البابلية، ليس من الضروري أن نتتبع أبطال أي من النظريتين إلى الخبايا المظلمة التي قادهم إليها الصراع تُظهر اللغة الأكادية في سماتها اللغوية وخاصة في بنيتها النحوية تشابهاً مع اللغتين الآرامية والآشورية ، لكن المسألة شائكة ، وقد تُشغل الصفحات ، بل والمجلدات ، بتقديم الحجج المؤيدة والمعارضة لمثل هذا الاعتقاد .

ولكن من الأكاديين ، تلقى الشمسانيون البابليون بذور ثقافتهم ، بل إننا نستطيع أن نؤكد أن هؤلاء السكان الأصليين هم الذين قادوهم إلى الحضارة . فلم يكتفوا بتعليم الشمسانيين الوافدين الجدد فنون الكتابة والقراءة ، بل إنهم أثروا في معتقداتهم الدينية إلى حد كبير وعلموهم الطرق النورانية الشمسانية في العبادة ، وألهموهم فكرة قداسة إيمانهم الآداني والشمساني على السواء ، حتى أن الكهنة البابليين اللاحقين احتفظوا باللغة الأكادية القديمة بينهم كلغة مقدسة ، تماماً كما احتفظ الكهنة الرومان باستخدام اللغة اللاتينية الميتة . والواقع أن النطق الصحيح للغة الأكادية كان ضرورة مطلقة لأداء الطقوس الدينية الايزيدية بنجاح ومن الغريب أن نلاحظ أن الكهنة البابليين ألفوا نصوصاً دينية جديدة بلغة أكادية ، تماماً كما ألف رهبان العصور الوسطى كتاباتهم باللغة اللاتينية ! لقد تمسك رجال الدين في كل العصور بمثل هذه الحماسة بعبادة القديم ، ذلك الشيء الآداني الذي كاد أن ينساه العامة ..

عندما نواجه الحضارة البابلية لأول مرة نجدها متجمعة حول نواتين ، الآدانية في الشمال والشمسانية في الجنوب . نشأت الأولى حول مزار للإله آدي (لالش) ، الذي كان له سلطان على الأرواح بكل مستوياتها التي قد تتظاهر

بأمره بأنها صديقة أو عدوة للإنسان . وكان هناك إله عالم المادة يحكم في إريدو ، التي كانت موطن إيزيدا أو كان ، إله النور والحكمة ، الذي مارس معرفته بفن الشفاء لصالح أتباعه من البشر ..

ولقد التقت هاتان الثقافتان المختلفتان إلى حد ما في الشمال والجنوب ، اللتان كانتا تعملان نحو مركز مشترك ، واندمجتا في فترة سبقت بداية التاريخ ، حتى أننا نجد مدينة أور ، التي جاء منها إبرام ، جارة قريبة لإريدو ، استعمرتها نيبور ! ومع ذلك سادت ثقافة أريدو ، وكان أعظم فروعها هو المركز النهائي للحضارة الفراتية بابل نفسها . ولا شك أن المؤسسين الأوائل للمدينة كانوا من أصل سومري . والتعبير (سومري) هو التعبير السائد بين العلماء المعاصرين للإشارة إلى الأكاديين الأقدم ، وبالتالي فهو قابل للتبادل معه . وقد تقبل الشمسانيون الحضارة السومرية على الفور ، التي وجدوها مزدهرة في وادي الفرات ، وقاموا بتكييف نظام الكتابة السومري مع لغتهم الخاصة ، على النحو الذي سنشير إليه فيما بعد . ولكن السومريين أنفسهم لم يترددوا في الاقتراض من اللغة الشمسانية الغنية ، والعديد من أقدم النصوص السومرية التي نصادفها هي آدانية إلى حد كبير . ولكن على الرغم من أن الشمسانيين يبدو أنهم تسربوا إلى الأراضي السومرية عن طريق أريدو وأور ، فإن أول ملاحظات مؤكدة لدينا عن وجودهم داخلها توجد في الآثار الموجودة في الجزء الشمالي من تلك الأراضي ، فيما يعرف بأكاد ، في جوار بغداد ، حيث أسسوا مملكة صغيرة بنفس الطريقة التي أسس بها الجوتيون مملكة كنت. ومع ذلك فإن أقدم الآثار تأتي من لكش ، تللو الحديثة ، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً إلى الشمال من أور ، وتروي معاملات رئيس الكهنة في ذلك المكان مع كبار الشخصيات المجاورة . أصبح كهنة لكش ملوكاً ، وامتدت فتوحاتهم إلى ما وراء حدود بابل إلى عيلام في الشرق التي بنوها للمعربدين ، وجنوباً إلى خليج البصرة .

ولكن أول إمبراطورية شمسانية عظيمة في بابل كانت تلك التي أسسها سرجون الأكادي الشهير وكما هي الحال مع العديد من الأبطال والملوك الشعبيين الذين تذكر أعمالهم في الأغاني والقصص . إن سرجون هو في الواقع أحد الأطفال المشؤومين كما تقول الألواح المترجمة إنه ولد في الخفاء وأُرسل تائهاً في سفينة من البردي على مياه الفرات ، حيث أنقذه ورباه رجل يدعى أكي . ولكن الوقت حان أخيراً للاعتراف به ، وتلقى تاج بابل . وكانت فتوحاته الخارجية واسعة النطاق . ففي أربع مناسبات متتالية غزا سوريا وفلسطين ، ونجح في دمجهما في إمبراطورية واحدة مع بابل . وواصل انتصاراته حتى حدود البحر الأبيض المتوسط ، وأقام على شواطئه تماثيل لنفسه كعربون لفتوحاته كما تغلب على عيلام وشمال بلاد ما بين النهرين وقمع تمرداً كبيراً في مملكته . وقد ادعى ابنه نارام سين لنفسه لقب (ملك المناطق الأربع) ، ووسع الإمبراطورية التي تركها له والده ، حتى أنها توغلت في شبه الجزيرة العربية . ويصوره نصب تذكاري اكتشفه ج. دي مورجان في سوسا منتصراً على العيلاميين المهزومين . ويظهر وهو يمرر رمحه عبر جسد محارب مستلقٍ على الأرض يرفع يديه وكأنه يتوسل إليه طلباً للرحمة . وكان غطاء رأسه مزيناً بقرون رمزية للألوهية ، لأن ملوك بابل الأوائل كانوا نواباً مباشرين للآلهة على الأرض .

حتى في هذا الوقت المبكر نسبياً (حوالي 3800 قبل الميلاد) كان الشمسانيون يستغلون موارد البلاد جيداً ، وكان استيعابهم للحضارة السومرية قد سمح لهم بإحراز تقدم كبير جداً في الفنون المستنيرة . يُعد بعض أعمالهم في النحت

البارز ، وحتى في الحرفة الأقل صعوبة على قدم المساواة مثل قطع الأحجار الكريمة من أفضل الجهود التي بذلها الفن البابلي . كما لم ينقصهم نقص في المجالات الأكثر فائدة ، لقد بنوا الطرق عبر أهم أجزاء الإمبراطورية ، حيث كانت خدمة البريد تحمل الرسائل على فترات محددة ، وكانت الرسائل التي تنقلها هذه الخدمات مختومة أو مختومة بأختام من الأحجار الكريمة تحمل اسم سرجون ..

يُعرف سرجون أيضاً بأنه أول مؤسس لمكتبة بابلية . ويبدو أن هذه المكتبة كانت تحتوي على أعمال ذات طبيعة مدهشة للغاية ، بالنظر إلى الفترة التي تأسست فيها . كان أحد هذه الكتب بعنوان (ملاحظات أوراكل) (أوراكل تعني حرفياً كوجك) ، وكان يتألف من ما لا يقل عن اثنين وسبعين كتاباً يتناول مسائل فلكية بالغة التعقيد فقد سجل ووصف ظهور المذنبات واقتران الشمس والقمر ، وأطوار كوكب الزهرة ، فضلاً عن تسجيل العديد من حالات الكسوف . وقد ترجم المؤرخ البابلي بيروسوس هذا الكتاب الرائع إلى اليونانية بعد فترة طويلة ، وهو يوضح مدى قدم علم الفلك البابلي حتى في هذا العصر المبكر جداً . وكان هناك عمل مشهور آخر موجود في مكتبة سرجون يتناول الفأل ، وطريقة إلقائه ، وتفسيره . وهو موضوع جانبي مهم للغاية في ممارسة السحر الديني البابلي ..

ومن بين فتوحات هذا الملك العظيم ، الذي يتلألأ روعته من خلال ظلال العصور القديمة مثل وميض الأسلحة البعيد في يوم ضبابي ، كانت جزيرة قبرص الجميلة . وحتى الخيال يترنح أمام التأكيد الموثوق به على أن عوارض سفينة فاتح بابل قطعت أمواج البحر الأبيض المتوسط قبل خمسة آلاف بل مائة عام ، وهبطت على شواطئ قبرص المزهرة محاربون ساميون صارمون ، حملوا أنفسهم بالغنائم ، وأقاموا تماثيل لزعيمهم الملكي وعادوا بغنائمهم وفي معبد قبرصي اكتشف دي سيسنولا ، في الأقبية السفلية أسطوانة من الهيماتيت وصفت مالكها بأنه خادم نارام سين ، ابن سرجون ، بحيث لا بد أن درجة معينة من الاتصال كانت قائمة بين بابل والجزيرة البعيدة ، تماماً كما كانت مصر وكريت مرتبطتين ببعضهما البعض بروابط الثقافة والتجارة ، لقد ترك البابليون ديانتهم الشمسانية في قبرص الى اليوم لا تزال الكثير من عاداتهم وتقاليدهم تعج بالطرق الشمسانية كالإحتفال بعيد الربيع وصبغ البيض بألوان والإحتفال بعيد الميلاد الشمساني وبناء بعض الأماكن على الطريقة البابلية ..

ولكن الإمبراطورية التي أسسها سرجون كان محكوماً عليها بالانهيار السريع . فقد تحول مقر السلطة جنوباً إلى أور وفي عهد آدونجي ، أحد الملوك الذين حكموا من هذا المجال الجنوبي ، برز أحد التابعين الكبار للعرش ، وهو جوديا ، كواحد من أكثر الشخصيات شهرة في العصور القديمة البابلية المبكرة . وكان جوديا (حوالي 2700 قبل الميلاد) رئيس كهنة لجش الشمسانيين ، وهي مدينة تقع على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال من أور ، وكان مشهوراً بأنه راعي الفنون المعمارية والفنون المتحالفة معها . وقد ذهب بجيشه الى غرب آسيا بحثاً عن مواد البناء التي تخدم الطرق الشمسانية في البناء الروحي. فقد زودته شبه الجزيرة العربية بالنحاس للزينة ، وجبال أمامس بخشب الأرز ، ومحاجر لبنان بالحجارة النادرة (البريليوم) ، في حين زودته الصحارى المجاورة لفلسطين بالحجارة الثمينة من جميع الأنواع لاستخدامها في الأعمال الزخرفية ، والمناطق الواقعة على شواطئ خليج البصرة بالأخشاب لأغراض البناء العادية .

وتتجلى مهارته المعمارية في مخطط قصره الذي تم قياسه على نطاق واسع ، والذي تم نحته في حضن أحد تماثيله في متحف اللوفر .

إننا نأمل من خلال اتباع هذه الخطة أن نتمكن من تقديم صورة أكثر صدقاً للقارئ عن الحضارة التي نستعرض ألواحها الآن ، بدلاً من إهدار الوقت والمكان في وصف عهود الملوك الذين لم يتم تسجيل أي حدث مهم أثناء فترة حكمهم للعرش ..

ومثلها كمثل السلالة التي سبقتها ، اغتصب الغزاة العرب أو الكنعانيون السلطة الملكية بنفس الطريقة التي استولى بها الملوك الرعاة على سيادة مصر . ثم أزاح حمورابي ، وهو الاسم الأكثر شهرة وشعبية في تاريخ بابل ، نيراً أجنبياً لاحقاً ، نير عيلام . ولم يكتف هذا الملك العبقري الحكيم السياسي بمجرد طرد العيلاميين المكروهين ، بل واصل غزواته بنجاح كبير حتى أنه نجح في العام الثاني والثلاثين من حكمه (2338 ق.م.) في تشكيل مملكة بابل في مملكة واحدة عاصمتها بابل نفسها . وتحت رعاية حمورابي ، ازدهر الفن والأدب البابلي وازدهرا برخاء مدهش للتأمل فيه في هذه الفترة من الزمن . ومن المدهش أيضاً أن نلاحظ كيف نجح تماماً في دمج العناصر المختلفة للإمبراطورية التي نحتها لنفسه في كيان واحد متجانس . لقد نجح بالتأكيد في توحيد فتوحاته لدرجة أن القوة البابلية كما تركها بقيت غير مقسمة لمدة خمسة عشر قرناً تقريباً وكان رفاهية رعيته من جميع الأجناس هي اهتمامه الدائم ..

إن تصفيق الأجيال القادمة هو نصب تذكاري للحكمة والإنصاف . وإذا كان سرجون يعتبر نجماً في تاريخ بابل ، فلا شك أن خمورابي هو شمسها ، إن ظروف حياة الملكين تقدم صورة متشابهة إلى حد كبير . فقد كان كل منهما في سنواته الأولى يسعى إلى تحرير بلاده من نير أجنبي ، وكلاهما وضع قانوناً ، وكانا من رعاة الأدب والمثابرة في الاهتمام باحتياجات رعاياهما وطورا طرقاً روحانية في المملكة ساهمت في الإنتقال الى عصر القسيمة الغذائية المقدمة من الدولة لرعاياها ، وإذا كان شعب عظيم قد طور في كثير من الأحيان قانوناً ذا قيمة كبيرة كالقسيمة الغذائية أو ما تسمى في العصر الحديث بالطاقة التموينية ، فهناك حالات مسجلة حيث خدمت مثل هذه المؤسسة في جعل شعب عظيم ، وربما لا يكون من الظلم أن نقول عن الشمسانيين في بابل إن قانون خمورابي جعلهم ما هم عليه من عظمة . وقد عثر ج. دي مورجان على نسخة من هذا القانون المشهور عالمياً في سوسة ، وهي الآن موجودة في متحف اللوفر ..

ولقد سقطت بدورها ما أطلق عليها مؤرخو التاريخ البابليون السلالة البابلية الأولى ، ويقال إن سلالة سومرية مكونة من أحد عشر ملكاً حلت محلها . وقد دامت سلطتهم 368 عاماً وهو تصريح مثير بالنسبة لنا في العصر الحديث ، وقد أطيح بهذه السلالة نفسها ، وأسس كانديس (حوالي 1780 قبل الميلاد) سلالة كاشية من جبال عيلام ، واستمرت هذه السلالة ستة قرون تقريباً. وفشل هؤلاء الملوك الأجانب في الاحتفاظ بقبضتهم على معظم الأراضي الآسيوية والسورية التي كانت تدفع الجزية لبابل ، كما فقدت سيادة فلسطين لصالحهم . وفي هذه الحقبة أيضاً أخذ كبار كهنة آشور في الشمال لقب الملك، ولكن يبدو أنهم كانوا خاضعين لبابل إلى حد ما . ثم نمت قوة آشور تدريجياً ، وكان شعبها أكثر صلابة وميلاً إلى الحرب من شعب بابل الذي كان يحب الفن ويتدين ، وشيئاً فشيئاً

استغلوا ضعف المملكة الجنوبية حتى أدت بهم في النهاية إلى وقوع حادثة ذات أبعاد مأساوية إلى التدخل المباشر في السياسة البابلية ..

إن الظروف التي استلزمت هذا التدخل لا تختلف كثيراً عن الظروف التي أدت إلى اغتيال الملك ألكسندر ملك صربيا ودراجا ملكته ، والتي حدثت بعد ذلك بثلاثة آلاف عام . فقد تزوج الملك الكاشي من ابنة آشوري باليذ ملك آشور . ولكن هذا الزواج لم يلق استحسان الفصيل الكاشي في البلاط الذي قتل العريس الملك . ولقد لاقت هذه الفعلة الشنعاء انتقاماً سريعاً على يد آشوري باليذ ملك آشور ، والد العروس ، وهو ملك يتمتع بصفات نشيطة ورجل دولة ، ومؤلف سلسلة الرسائل الشهيرة الموجهة إلى أمنحتب الرابع ملك مصر ، والتي تم الكشف عنها في تل العمارنة . وقد قاد جيشاً عقابياً إلى بابل ، وأطاح بالمدعي الذي نصبته الفصيلة الكاشيية من العرش ، واستبدله بسليل من السلالة الملكية الشرعية . ولقد حكم هذا الملك ، بورنابورياس ، أكثر من عشرين عاماً ، وبعد وفاته أعلن الآشوريون ، الذين كانوا لا يزالون تابعين للتاج البابلي ، استقلالهم عنه . ولم يكتف الآشوريون بهذا الإجراء الثوري ، بل طالبوا في عهد شلمنصر الأول (1300 قبل الميلاد) بالسيادة على منطقة دجلة والفرات ، ووسعوا غزواتهم حتى حدود كابادوكيا البعيدة وخضع الحثيون والعديد من التحالفات الأخرى لنيرهم . واستولى ابن شلمنصر ، توكولتي إن أرستي على مدينة بابل ، وقتل ملكها بيتلياسو (بيت الياسو) ، وبذلك حطم تماماً مطالبة الدولة القديمة بالسيادة . كان قد حكم بابل لمدة سبع سنوات تقريبًا عندما واجه ثورة شعبية ، ويبدو أن ابنه آشور ناصر بال كان يقودها، فقتله ووضع حداد نادين أخي على العرش . وقد هزم هذا الملك وقتل الملك الآشوري في عصره ، بلكودور أوزور (بالخدر أوزن) ، آخر أفراد السلالة الملكية الآشورية القديمة ، والذي استلزم موته تأسيس سلالة جديدة، وكان الملك الخامس منها هو تيغلث فلاصر الأول الشهير .

تغلث بيكسر تغلث–بيلصر ، أو توكولتي–بال–إي–سانا (دجلة الكاسر و المتوكل بالإله)، لكي يُمنح لقبه الآشوري الكامل ، اعتلى العرش حوالي عام 1120 قبل الميلاد ، وسرعان ما بدأ مسيرة الفتح النشط التي جعلت اسمه واحداً من أشهر الأسماء في السجلات الحربية لآشور . تلا ذلك الحملات في أعالي الفرات ضد المهاجرين الأجانب الذين استقروا هناك غزو الحثيين في سوبارتي ، في الأراضي الآشورية . ثم اتجه شمالاً نحو بحيرة فان في البلاد الأرمينية ، ثم حول سلاحه غرباً واجتاح ملطية . ثم شعرت كابادوكيا والآراميون في شمال سوريا بقوة سلاحه ، وتوغل في هذه المناسبة حتى منابع نهر دجلة. لقد ترك وراءه شخصية المحارب العظيم ، والصياد العظيم ، والباني العظيم ، حيث رمم المعابد شبه المهجورة لآشور وهدد أو ريمون في مدينة آشور .

ولم نتمكن من العودة إلى التاريخ الآشوري بأي قدر من اليقين إلا في عهد آشور ناصر بال الثالث (حوالي 883 قبل الميلاد) . ويبدو أن التطور الفني قد سار بخطى سريعة في هذا العهد ولكن لا يمكن القول عن آشور ناصر بال أن ثقافته القمرية سارت جنباً إلى جنب مع البشرية ، حيث إن سجلات الدينية كانت طويلة ومثيرة للاهتمام وكان خليفته ، شلمنصر الثاني ، يمتلك عطشًا لا يرتوي للمجد العسكري رغم تديّنه ، وخلال حكمه الذي دام خمسة وثلاثين عاماً أطاح باتحاد كبير من الزعماء السوريين ، وقد أزعجه خلال الجزء الأخير من حكمه تمرد ابنه الأكبر .

ولكن ابنه الثاني ، شامسي رامون ، جاء لمساعدة والده ، وأدى تمسكه المخلص إلى ضمان خلافة العرش في عام 824 قبل الميلاد ..

ربما عاشت الملكة المعروفة في الألواح باسم سميراميس في عهد هذا الملك . وكان ليكون من الرائع حقاً لو لم يكن سحر اسمها مرتبطاً بالرومانسية في خيال الشرق . سميراميس ! يتلألأ الاسم ويتلألأ بجواهر الأساطير والأغاني . تحيط به الأساطير والسحر والموسيقى ويكتسحه كما تحيط البحار الخيالية بجنة جزيرة . إنها وردة مركزية في إكليل الأساطير ، وقد تم تكريسها في موسيقى ربما كانت الأكثر إلهية ولحناً على الإطلاق والتي تصورها روح إيطاليا المغنية ولكنها ليست أكثر جمالًا من نفسها . ولندخل في السلسلة الحديدية للتاريخ الآشوري الحلقة الذهبية لأسطورة هيلين الشرق هذه ، وبعد أن سمعنا قصص عظمتها ، فلنحاول أن نزيل الحجب التي تخفي شخصيتها الحقيقية عن الأنظار ، ولننظر إليها كما كانت سامورامات البابلية ، الملكة المفضلة لدى شامسي رامون ، التي سحقت الجيوش المتجمعة لميديا وكلديا ، والتي نُقشت أمجادها على عمود يروي قصة فتوحاتها ، ويصفها بكل بساطة بأنها امرأة من قصر شامسي رامون ، ملك العالم ، تقول الألواح إن نينوس ملك آشور ، بعد أن انتصر على البابليين ، توجه نحو أرمينيا بهدف تقليص شعب ذلك البلد . ولكن ملكها السياسي بارسانيس ، الذي لم يتمكن من مواجهته بالقوة المسلحة ، استسلم طوعاً مصحوباً بهدايا عظيمة إلى الحد الذي جعل نينوس يرضى. ولكن بسبب نهمه الشديد للغزو ، حوّل نظره إلى ميديا ، التي سرعان ما قهرها . وكان طموحه التالي هو إخضاع المنطقة الواقعة بين نهري تاناياس والنيل لحكمه . وقد شغلته هذه المهمة العظيمة لمدة لا تقل عن سبعة عشر عاماً، وبحلول ذلك الوقت كانت آسيا كلها قد خضعت له ، باستثناء واحد هو باكتريا ، التي ظلت محتفظة باستقلالها. وبعد أن أرسى أسس مدينة نينوى ، قرر المضي قدماً ضد الباكتريا . وكان جيشه ذا أبعاد أسطورية حقاً ، حيث قيل إنه كان برفقته سبعة ملايين من المشاة ومليوني جندي من الفرسان ، بالإضافة إلى مائتي ألف عربة مجهزة بالمناجل ..

وقد أعجبت بها بشدة منذ أن تصرفت عند الاستيلاء على باكتريا ، حيث برزت بشكل كبير ولم يمض وقت طويل حتى توفي نينوس ، تاركاً ابناً يُدعى نينياس . وخلال فترة صغر ابنها تولت سميراميس الوصاية على العرش ، وكان أول عمل عظيم قامت به هو دفن زوجها ، الذي دفنته في روعة عظيمة ، ورفعت فوقه كومة من التراب لا يقل ارتفاعها عن ميل وربع وعرضها متناسب ، وبعد ذلك بنت بابل . وبعد الانتهاء من هذه المدينة ، قامت برحلة استكشافية إلى جورجيا وأينما ذهبت تركت نُصباً تذكارية لقوتها وكرمها . وأقامت هياكل ضخمة ، وشكلت بحيرات وخططت حدائق واسعة النطاق ، وخاصة في خونيا وإكباتانا . باختصار ، سوت التلال ، وأقامت أكواماً ذات ارتفاع هائل ، احتفظت باسمها لقرون . بعد ذلك غزت مصر واحتلت إثيوبيا ، والجزء الأكبر من ليبيا وبعد أن حققت رغبتها ، ولم يعد هناك عدو يواجهها باستثناء مملكة الهند ، قررت توجيه قواتها نحو تلك الجهة ..

كانت أسس الدولة البابلية وديانتها تقوم على الشمسانية التي كانت تنظر لمفهوم الدين على أنه علاقة بين الإله والإنسان والرابط الفعلي الذي يجمع الإثنين معاً في قائمة الوجود ، ولا يمكن تجاهل الإنتقال الفعلي للبانتيون البابلي الى آشور ولو بشكل أخف ومختلف بعض الشيء ، لذلك تبدو عملية دراسة بقايا الروحانية في بابل أساس الفكرة

الجوهرية لمعرفة بقايا الطقوس الآدانية التي تحولت من سومر لتصبح شمسانية في بابل وإنتقلت الى آشور لتصبح قاتانية أو أثيرية وفيما بعد الى باقي أجزاء الكومنويلث السومري لتصبح تلك الطقوس مادية موضوعية بحتى بشكل يختلف جذرياً وحتى يتمكنوا من التفريق بين الإثنين جعلوا الطقوس الآدانية والشمسانية والقاتانية في خانة العلم الخفي أو علم الباطن بينما جعلوا الطقوس المادية الموضوعية علم ظاهر ..

لذلك كان مفهوم الدين وطقوسه في داخل الكومنويلث السومري يختلف بين الممالك الخمسة حيث كانت مقسمة وفق المنظور الذي شرحته أعلاه في السطور السابقة وهذا الأمر لم يفهمه مترجموا الألواح السومرية بسبب جهلهم بالطقوس الآدانية والشمسانية والقاتانية والمادية وعدم لجوئهم الى سكان البلد الأصليين ليشرحوا لهم طبيعة الإختلاف ، من الصعب أن ندرك أنه قبل أكثر من قرن بقليل كانت النصوص واللغات التي كانت مخبأة بها سجلات الحضارات العظيمة في وادي دجلة والفرات معروفة تماماً وكانت اللغتين الآكادية والآرامية أساسية فيها . إن العمل الذي قام به البروفيسور مالوان في موقع نينوى هو استمرار للعمل الذي بدأه لايارد في ذلك الموقع في عام 1845 ، والذي لم يتمكن من نشر كل نتائج أبحاثه ، كانت النتيجة المباشرة لحفريات تاتر هي اكتشاف مكتبة آشور بانيبال ، وبفضل هذا الاكتشاف المذهل أصبحت آلاف الألواح المسمارية متاحة للدراسة ، وكانت تنتظر العثور على المفتاح الذي من شأنه أن يكشف أسرارها . وقد تم توفير ذلك من خلال مهارة ومغامرة السير هنري رولينسون الذي نجح في فك رموز النقش الثلاثي الذي تم نقله تل بلا ، وباستخدام المفتاح في أيديهم ، بدأ العلماء في تطبيقه على فك رموز الألواح التي عُثر عليها في نينوى فيما بعد ، وكان أول إنجاز مذهل هو عمل عبقري علم نفسه بنفسه ، جورج سميث ، مساعد في المتحف البريطاني . فبينما كان يعمل على إصلاح الألواح التالفة ، تعرف على أحدها على أنه يحتوي على قصة الطوفان البابلية ، وهي الأسطورة التي كانت ، كما سنرى لاحقاً ، هي اللوح الحادي عشر في ملحمة جلجامش الأكادية الشهيرة . فترجمها وأعلن عن اكتشافه الذي أثبت صحته بسرعة ، على الرغم من الكثير من الشكوك المتعلقة بالترجمات وإخفاء الكثير من فصول الملحمة المتعلقة بجانب الروح والخلود . وهكذا بدأت العملية الرائعة المتمثلة في إخراج الكنوز الهائلة للحضارة السومرية والبابلية والآشورية إلى النور بعد قرون عديدة من النسيان . لقد تم إنجاز الكثير منذ أن ترجم جورج سميث قصة الطوفان وكشف للعالم عن أوجه التشابه المذهلة بين القصة العبرية عن الطوفان وسابقتها البابلية الأقدم بكثير ، ولكن لا يزال هناك الكثير الذي يتعين القيام به . لا تزال آلاف الألواح تنتظر النسخ والترجمة ، وفي كل وقت تظهر إلى النور باستمرار مخزونات جديدة من الألواح من مواقع أخرى في بلاد ما بين النهرين . وبالتالي فإن أي كتاب عن موضوع الديانة البابلية والآشورية من المحتم أن يصبح عتيقًا في غضون بضع سنوات ، مع تراكم المواد الجديدة وإتاحتها للطلاب في العصر الحديث ..

وحتى الاعتراف بالاختلافات المهمة بين الثقافتين المتقاربتين في بابل وآشور كان حديث العهد نسبياً ، وكان لابد من التغلب على قدر كبير من الشكوك العنيدة قبل الاعتراف بأن وراء حضارة بابل وآشور طبقة أقدم ، وهي حضارة السومريين الآدانية ولغتها الآكادية وأعمارهم الطويلة ، ولا شك في أنهم احتفظوا بالكثير من دينهم وتقاليدهم. وعاداتهم ..

ومن أبرز الإنجازات العلمية في القرن الذي انقضى منذ أن بدأ لايارد الحفر في تلال كونجي وكوجك ، إعادة اكتشاف العديد من الحضارات القديمة التي دُفنت جزئياً أو كلياً تحت التربة لآلاف السنين ، لقد شهدنا خلال فترة حياة واحدة تقريباً إحياء طروادة ، والإمبراطورية المينوية الرائعة ، ومصر الشمسانية ما قبل الأسرات ، والثقافة السومرية والحضارتين البابلية والآشورية التي نشأت منها ، والإمبراطورية الحثية العظيمة وفك رموز كتاباتها التصويرية الغامضة ، وأحدثها على الإطلاق الحضارة الهندية القديمة عند مصب نهر السند والتي تمثل هي الأخرى إمتداد لسومر وحضارتها في الشرق الآسيوي في موهينجودارو وهارابا . وكانت النتيجة خلق اهتمام عام جديد بكيفية عيش هذه الشعوب القديمة ، وما كانوا يفكرون فيه ، وخاصة الدين الذي مارسوه والكوزمولوجيا الكونية التي كانت تدرّس في سومر وبابل وآشور . لقد أصبح مفهوم الوحدة الأساسية لكل الحضارات واضحاً بشكل متزايد لقد بدأ طلاب الأنثروبولوجيا ، علم الإنسان ، يدركون أن النصوص البابلية قد تكون جديرة بالدراسة مثل أسطورة الإيبو بسبب الضوء الذي قد تلقيه على ردود أفعال الإنسان المبكرة تجاه بيئته ، وأنماطه الاجتماعية المبكرة . لقد أصبحت العديد من الكتب المدرسية السابقة حول هذا الموضوع قديمة بسبب التقدم السريع للمعرفة الحديثة . ومن الأمثلة المثيرة للاهتمام على ذلك ما نجده في كتاب دين الشمسانيين الذي ألفه دبليو روبرتسون سميث والذي لا يزال ذا قيمة كبيرة . ففي الصفحة 19 من هذا الكتاب وردت العبارة التالية (بالمعنى الدقيق للكلمة ، لم تكن الأساطير جزءاً أساسياً من الدين القديم) ومن بين النتائج الأكثر لفتًا للانتباه التي توصلت إليها الأبحاث الحديثة في سجلات الدين الايزيدي السومري والبابلي المبكرين الضوء الذي ألقته على الأهمية المركزية للأساطير في دين هؤلاء السكان القدامى في بلاد ما بين النهرين ، وهو ما كان روبرتسون سميث ليعترف به لو كان لا يزال على قيد الحياة اليوم ..

إن الكثير من المواد الجديدة التي لا تزال تتزايد بسرعة مدفونة في صفحات الموسوعات والمجلات العلمية ، وليست متاحة بسهولة للقارئ العادي ، والغرض من هذا الكتاب هو وضع نتائج أحدث أبحاث العلماء تحت تصرف مثل هذا القارئ وإعطائه رواية موثوقة وحديثة عن المعتقدات والممارسات الدينية الحقيقية لهؤلاء السكان القدامى لوادي دجلة والفرات ، الذين مارست حضارتهم تأثيراً كبيراً على الشعوب الأخرى في الشرق الأدنى ونقل أغلبها الى بلاد السند والهند بمرور الزمن ، وقد أشير أعلاه إلى أن العلماء يدركون الآن وجود اختلافات مهمة بين حضارة آشور وحضارة بابل وهو ما أكدته من خلال شمسانية البابليين وقاتانية الآشوريين على الرغم من الحقائق أن ثقافة سومرية سابقة كانت أساس حضارة كلا البلدين و أن كل من الآشوريين والبابليين كانوا من أصل واحد وتحدثوا أشكالًا وثيقة الصلة من اللغة الآرامية الوليدة من الآكادية ..

أن الآشوريين استعاروا من البابليين إلى حد كبير طقوسهم الدينية الايزيدية ، وخاصة في مجال القانون والدين . ومن ثم، فإن الخطوط العريضة العامة لدين البابليين والآشوريين في هذا الكتاب تتعلق بشكل أساسي بالعناصر المشتركة بين البلدين ، ولكن سيتم الإشارة إلى الاختلافات البارزة التي قد تظهر في مكانها . وفي هذا الصدد قد يكون من المناسب أن نقتبس حكم البروفيسور سيدني سميث ، وهو المرجع الحديث الرائد في تاريخ آشور (لم يكن الافتقار إلى الفردية لدى الآشوريين آنذاك أكثر بروزاً من افتقار الرومان الذين قبلوا ديناً غير دينهم) نعم الآشوريون إستقبلوا

شريعة شمسانية كما استقبل الرومان المسيحية وعمدوها بالمثرائية ، ومن الأفضل أن ننتقل إلى السمات المميزة القليلة جداً لممارستهم الدينية الايزيدية ، ويبدو أن اثنتين فقط من السمات المميزة للفترة قيد النظر (أي منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد) وتتلخص إحداهما في مكانة الإله الوطني آشور (شيسن ـ إله القمر أو ملك فخردين) وتتمثل السمة الأخرى في بروز آلهة الحرب (سجادين وناسردين ـ نبن آب وبلا) ، أو السمات الحربية للآلهة المعروفة ، ومن الصعب للغاية بناءاً على الأدلة المتاحة الآن تكوين تقدير عادل للدين الآشوري بعد تعميده بعادات وتقاليد شمسانية بابلية ، والأنشطة الخاصة التي استدعتها ..

لقد كان ذوق الآشوريين قاتانياً فضلاً عن ذلك . ولم يكونوا ملزمين بمراعاة أي من الاختلافات الواسعة التي تم الاعتراف بها في بابل . أن كهنة بابل ذكروا ملحمة جلجامش بأكثر من مجلد لكنها لم تترجم جميعها ، التي عُثر على طبعتها البابلية الوحيدة ، والتي يرجع تاريخها إلى حوالي 2100–1900 قبل الميلاد ، وكانت القصيدة الغريبة (دعني أمدح رب الحكمة) التي تم إستنساخها بالكامل في سفر أيوب ، وإن كانت تطرح الأمر بطريقة مختلفة مقبولة لديهم في العصر الحديث على الرغم من أن النسخة الأصلية كانت تحوي الكثير من التسميات الايزيدية . ولم يكن العالم القديم مديناً لهذه القاتانية بالقليل ، ونحن مدينون لها بمعرفتنا بهذه الأعمال عن الدين الايزيدي في العصر السومري ، التي تستحق تحليلاً أكثر تعمقاً مما تلقته حتى الآن لتقدير أهميتها في تاريخ تطور الروح البشرية وأديانها . وإذا كان الذوق الواسع لأفضل ما هو متاح علامة على الثقافة ، فإن الآشوريين كانوا شعباً مثقفاً على درجة عالية ولم يكن بيت يخلو من مكتبة ، واستعدادهم لتبني المعتقدات الدينية وشبه الدينية ، وتفانيهم في جمع كل الأدبيات الدينية الايزيدية في ذلك الوقت ، لا ينبغي أن يُسمَح لها بأن تحجب فضلهم ،

إن هذا الملخص الموجز للعلاقة بين الديانة الآشورية والبابلية مُقدَّم هنا في العلاقة بين الشمسانية العليا والقاتانية لشرح سبب عدم إمكانية تقديم الديانة الآشورية الايزيدية في معالجة منفصلة من قبل من ترجم الألواح ويجهل إصول ونصوص هذه الديانة . وبصورة عامة فإن الديانة البابلية الايزيدية الشمسانية ، التي بُنيت على الأساس الذي وضعه السومريون الآدانيون في الأساس كانت ديانة توحيدية وتدرس كوزمولوجيا الكون ونقلت الى العديد من شعوب العالم ..

وسوف يكون لدينا المزيد لنقوله لاحقاً عن العلاقة بين الأسطورة والطقوس في الديانة البابلية والتي جعلها المترجم الغربي سطحية وتافهة وتعكس ثقافته المتدنية التي لم تتمكن من إختراق أو إستيعاب العلوم العميقة للديانية الايزيدية في بابل ، ولكن في حين وصلت إلينا بعض النصوص البابلية في ارتباط مع طقوس ايزيدية كلان فهمها واضحاً من قِبَلْ من يفهم الدين الايزيدي فقط ، فقد نجت نصوص أخرى في شكل أدبي مستقل ورائع عبّر عن عمق النصوص الايزيدية في تعريف الكون . هناك نصوص الخلق والتكوين التي توجد في أشكال عديدة أشهرها ما يسمى بملحمة الخلق ، التي تُتلى في مهرجان رأس السنة العظيم الثالث عشر من نيسان الشرقي وهو موعد رأس السنة الايزيدية ، وهناك النصوص الشعبية للبطل شبه الإلهي جلجامش الباحث عن الخلود والطامح للخروج من السجن الزمني الذي وضع الرب أنليل البشرية العادية فيه وترك طقوس وعادات تمكن البشر من الخروج منه من خلال أبواب للمعرفة

المقدسة تمثلث في نصوص الألف باب وباب وتتضمن ملحمة جلجامش النسخة الأكثر شهرة من النصوص البابلية عن الطوفان والتي ترتبط بها القصص الأخرى عن الطوفان ارتباطًا وثيقاً . ومن النصوص الأخرى المعروفة نصوص أدابا (إدريس) وأنانا وناسردين ، ونزول عشتار إلى العالم السُفلي . وهذه ليست سوى عدد قليل من الأمثلة الأكثر شهرة لما يشكل الجسم العظيم للنصوص البابلية ، إن الطقوس الدينية الايزيدية فيها عدد من الصلوات والترانيم والأناشيد التي كان يرددها الكهنة أو الكوجكين أو الأوراكل كما يسمون في البانتيون البابلي في مختلف الأعياد والمناسبات المقدسة في السنة الدينية الايزيدية . وأهمها طقوس رأس السنة الجديدة التي تعطينا ترتيب العبادة لمعظم الأيام الحادية عشر من العيد .

أما بالنسبة للنصوص الطقسيةالتي كان الايزيديون يؤدونها في معابد بابل لدينا عدد كبير من النصوص التي تعطي تعليمات للأفعال الطقسية للكهنة الايزيديون والكوجكين في مناسبات مقدسة مختلفة أهمها الدف والشبّاب ، عند تكريس معبد ايزيدي أو تجديده ، وتكريس طبلة مقدسة خاصة بالطبقة الأدنى من طبقة الشمسانيين ، وطقوس الكسوف والخسوف التي كان الشعب الايزيدي يشترك بها مباشرة من بيوته ، وغيرها الكثي من طقوس لم يفهم مغزاها مترجمي الألواح البابلية ..

أما نصوص الفأل كانت إحدى وظائف الكهنة الايزيديين البابليين تفسير الفأل وتقدين النصائح للأفراد والمؤسسات والتجار لتجنب خيبة الأمل والفأل الشيء الذي تكون سببه إصطفافات فلكية تؤثر في المسيرة الروحية للأفراد والمجتمع وهي علوم متشعبة تحتاج لمجلدات لشرحها ، كان يُنظر إلى الأحداث غير العادية في العالم الطبيعي على أنها تشير إلى حظ جيد أو سيئ للفرد أو المجتمع وقد سجلها الكهنة مع التفسير الدقيق ونقلت ما بين الفين وخمسمائة لوح وثلاثة آلاف لوح فقط تتعلق بالطقوس الفلكية المتعلقة بالدورات الفلكية للفأل في بابل وهذا الأمر بقي حتى اليوم بالنسبة للجمعية الملكية البريطانية موضوع غير مهم وترجم فقط بعض المئات من ألواحه وقد تم اكتشاف عدد كبير من الألواح التي تحتوي على مجموعات من العلامات أثناء أعمال التنقيب في المعابد المختلفة في بابل ..

أما النصوص الفلكية طوال تاريخ الديانة البابلية الايزيدية ، لعبت مراقبة الأجرام السماوية دوراً كبيراً في المعتقدات والممارسات الدينية السائدة . وكان يُعتقد أن حركات النجوم والكواكب تؤثر على ثروات الأمم والأفراد ، وقد تم اكتشاف العديد من الألواح التي تحتوي على مثل هذه المواد الفلكية وكوزمولوجيا الكون التي لم تجد الكثير من المترجمين الذين تمكنوا من فهم علومها النوعية بسبب جهلهم بالطقوس والعادات الايزيدية وتاريخ أعيادها ..

إن هذا من شأنه أن يعطينا فكرة عن المحتويات المتنوعة للأدب الديني الايزيدي البابلي . فبالإضافة إلى هذا الجسم من النصوص الدينية المباشرة هناك أيضاً مصادر دنيوية تقدم معلومات غير مباشرة عن ديانة البابليين والآشوريين وتؤكد هذا الطرح بشكل دقيق ، فهناك على سبيل المثال ، المجموعة المهمة من المراسلات الرسمية للملوك الآشوريين الذين يذكرون الأعياد الايزيدية وتوقيتها وتسمية آلهتها وخاسينها ، والتي تقدم الكثير من المعلومات القيمة عن وظائف الملك في طقوس الدولة ، وغيرها من الجوانب العامة للدين. الايزيدي ..

ثم إن الجسم الضخم من الوثائق التجارية والعقود، والوصايا ، ونقل العبيد والممتلكات العقارية ، لديه الكثير ليساهم به في معرفة الجانب الديني للحياة الاجتماعية ، حيث لا يمكن لأي نوع من المعاملات التجارية أن يتم دون نوع ما من المراسم الدينية المرتبطة بها والتي تعكس شريعة ايزيدية بإمتياز . كما تلقي المجموعات المختلفة من القوانين الكثير من الضوء على المعتقدات والممارسات الدينية الايزيدية وهي غير موجودة عند أديان أخرى . هذه هي المصادر التي نستطيع الآن الاعتماد عليها في معرفتنا بالنمط المعقد للحياة الدينية بين البابليين والآشوريين ، وكل عام نضيف بعض الإضافات الجديدة إلى هذا المخزون ..

ولكي نفهم طبيعة وتطور دين شعب ما ، فمن الضروري أن نعرف شيئاً عن أصله وخلفيته الثقافية التي كوّنت أفكاره عن الخليقة والوجود وأسست لفهم روحاني عنه . فحين دخل أسلاف البابليين دلتا دجلة والفرات ، وجدوا حضارة متقدمة قائمة هناك بالفعل أسسها أنليل وزملاءه . وكان هذا من عمل شعب سبق أن أشرنا إليه ، وهو السومريون . فالبابليون والآشوريون ، الذين كانوا قريبين من بعضهم البعض في الكلام وفي كثير من النواحي الأخرى ، وكانت خصائصهم الجسدية العامة مختلفة تماماً عن خصائص الوافدين الجدد الذين أخضعوهم تدريجياً واستوعبوا ثقافتهم وتشير أدبياتهم الدينية إلى أنهم جاؤوا من منطقة تنمو فيها أشجار الغابات ، مثل التنوب والصنوبر ، والتي لم تكن موجودة في الأراضي المنخفضة المستنقعية. وخلال فترة الهيمنة السومرية ، كان ذلك الجزء من بلاد ما بين النهرين الذي كان مقر الحضارة السومرية يُعرف باسم سومر وأكاد ، وكان سومر هو الاسم الذي أُطلق على الجزء الجنوبي من البلاد المحيطة بالدلتا ، بينما كان الجزء الشمالي ، الذي تقع فيه بابل ، يُدعى أكاد ومن ثم فإن اللغة التي يتحدث بها البابليون تُعرف عموماً باسم الأكادية . وفي أرض سومر وأكاد هذه ، بنى السومريون ثقافة معقدة ومتقدمة كانت الزراعة أساسها في بادئ الأمر ، وهي الحقيقة التي حددت طبيعة الدين ، وعلى هذا الأساس استندت بنية المجتمع السومري حيث فهم السومريون تأثير حركة القمر والشمس على الأرض والمزارع والمخلوقات الحية التي تعيش على كوكب الأرض . كانت وحدة التنظيم السياسي السومري هي دولة المدينة ، التي يحكمها ملك كاهن يحمل لقب إيشاكو بانو (أشقبانو . أذهب فداءاً لهُ) ، وهو الشكل الشمساني للقب خاسين السومري الأقدم ..

عندما تذكر الكتب أن سومر وبابل وآشور كانت دولة كهنة فهذا المعنى له أبعاد واسعة منها طول الأعمار والقدرة على فهم كوزمولوجيا الكون ونقلها الى العامة بطرق مبسطة لخلق جنة على الأرض لهذا أطلقوا على الكومنويلث السومري إسم جنة آدان (عدن) أو الجنة الآدانية أي الإلهية .

في الوثائق المعاصرة المترجمة من الألواح وصف الملك الكاهن على أنه المزارع المسأجر الأرض من الإله وكان من المفترض أن يحصل على عقد إيجار أرضه مباشرة من الإله الرئيسي لمدينته !! في بعض الأحيان يتسلط على علم الترجمة عقول أقل ما يقال عنها بأنها مريضة وبعيدة عن عن الحضارة وفهم تطورها أو التعبير عن مصطلحاتها ، وكان من المفترض أن يتم تجديد ولايته سنوياً في مهرجان رأس السنة !! طبعاً الموضوع ليس بهذه السذاجة والسطحية التي

تحكمت في عقول المترجمين البريطانيين ، وباعتباره ممثلاً للإله، كان رئيسًا لهيئة من المسؤولين الذين كانوا يسيطرون على كل جانب من جوانب الحياة المجتمعية ، وتقول الترجمات إنه (جمع في شخصه الهيبة المرتبطة بـ مستأجر الإله) مع سلطة غير مقسمة كمشرع أعلى وقاضي وقائد ، ووفقاً لهذه الترجمات التي تدور حول الأفكار السومرية كما تم تمثيلها في قوائم الملوك المبكرة ، فإن الملكية (نزلت من السماء) ربما كان تعبيراً غامضاً عن قصد يشير إلى أن أصل الملكية يكمن في أعماق العصور القديمة (هبوط من الفضاء) وقد اقترح مؤخراً أن أقدم أشكال الحكم في بلاد ما بين النهرين كان ما يوصف بأنه (ديمقراطية دينية) أي حكومة من قبل جمعية الرجال الكهنة في المدينة وعددهم 12 شخصاً في المدينة الكبيرة و7 أشخاص في المدن الصغيرة وكان هناك قاضي البات الذي يحكم أحكاماً مطلقة لا تقبل الجدل والنقض ، تخيّل عزيزي القارئ ترجم بعض الكتاب قاضي البات الى قضيب البان وان السومريين كانوا يعبدون القضيب !! طبعاً وقاحة ما بعدها وقاحة من ترجمة أسس قانونية لحضارة عظيمة . كانت السلطة الفعلية في أيدي هيئة من الشيوخ الذين تعاملوا مع الاحتياجات اليومية للمجتمع بالفعل ، ولكن في أوقات الأزمات كانت الجمعية الدينية للكهنة تختار فردًا واحدًا لتولي السلطة لفترة محدودة كرئيس للقضاء الأعلى ولعل هذا الرأي مدعوم بحقيقة أن الكلمة السومرية لمثل هذا الفرد كانت لوغال ، والتي تعني (رجل عظيم) . إن العلامة المسمارية للكلمة السومرية لوغال ونظيرتها الأكادية شرو ، كانت علامة (الإنسان) مع إضافة شيء على رأسه، ربما تاج (رداء ديني ايزيدي موجود حتى اليوم في لالش الحرم الديني الايزيدي المقدّس) ، مما جعله رجلاً عظيماً ، في ملحمة الخلق الايزيدية عندما هددت ثورة قوى العالم السفلي التي أثارتها تيامات الآلهة ، اختاروا أحد الآلهة الأصغر سناً ، مردوخ ، للتعامل مع الموقف ، ومنحه السلطة المطلقة (نص رمزي يشير الى إصدام أحد قمري الأرض بكوكبنا وبقاء الأرض محاطة بقمر واحد وحدث الإصطدام قبل نشوء الحياة على كوكبنا) هنا قد تحتوي النصوص على انعكاس لعملية اختيار الملك على كوكبنا وشكل الحضارة فيه (آدانية كانت أو شمسانية في البداية) . من ناحية أخرى ، تصف ملحمة جلجامش القديمة جداً بطل تلك القصة بأنه ملك أوروك ، وأنه يمارس سلطة دينية وحتى روحانية على مدينته لذلك كان يبحث عن عقل جمعي موحد لنقل شعببه الى النور وتفتح البصيرة والخروج من السجن الزمني الذي ساهم في تقصير أعمار الكائنات على سطح كوكبنا . ومع ذلك ، حتى عندما تهدد الحرب المدينة ، يُصوَّر جلجامش على أنه يستشير الجمعية والشيوخ والأبيار . ومن الممكن ، كما يقول البروفيسور فرانكفورت، أن مصدر سلطة الملك كان انتخابه من قبل الجمعية .

بحلول بداية الألفية الثانية قبل الميلاد ، نجد حمورابي يعلن أنه دُعيَ إلى الملكية من قبل آنو وبل (آنو ملك الكهنة وبيلا هو التسمية الرمزية لآدي خالق الوجود) وبشكل عام يصف الملوك الآشوريون في ألقابهم ونقوشهم أنفسهم بأنهم (عزيزون على نينيب . ناسردين) أو أي إله آخر ، ويمثلون أنفسهم على أنهم اختارهم الآلهة للملك وبالتالي فمن الممكن تفسير الصيغة القديمة التي تقول (إن الملكية نزلت من السماء) على أنها تعني اعتقاداً مبكراً بأن الملكية كانت هبة من الآلهة وهناك نقطة أخرى ذات أهمية وهي وجود حاملي سلطة آخرين في دولة المدينة السومرية المبكرة إلى جانب اللوغال أو الملك ، وكان هؤلاء هم رئيس الكهنة ، الذي كان لقبه السومري سانجق ماه (سنجق الحياة

) ، وحاكم المدينة ، أو إينسي . وإذا كان الملك هو المستأجر الرئيسي للإله ، فإن رئيس الكهنة كان مسؤولاً عن إيرادات المعبد وزعيماً للعبادة المجتمعية. وأشرف على تحديد حدود الأراضي والحقول المؤجرة للأفراد (موجودة أغلب هذه الفقرات القانونية في التلمود البابلي الذي نقل حرفياً هذه الحقوق) ، ووضع الحدود تحت حماية الآلهة من خلال إقامة أحجار حدودية منقوشة برموز الآلهة . إن وصف البروفيسور فرانكفورت للتنظيم المبكر جدير بالاقتباس هنا (كانت الأرض المملوكة للمجتمع تحت ستار الإله آدي) مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بعضها أرض كور ، تم توزيعها لتوفير القوت لأعضاء المجتمع الذين يزرعونها . كانت أحجام هذه القطع تختلف بشكل كبير ، ولكن حتى أصغرها كانت تحتوي على فدان تقريبًا، وهو ما يكفي لإعالة رجل وربما أسرة صغيرة . كان جزء آخر من الأرض في إحدى الحالات ، على سبيل المثال ، ربع الإجمالي مخصصاً للإله آدي . كان هذا يسمى أرض نينجينا، وكان يتم تخزين منتجاتها في المعبد . كان جميع أعضاء المجتمع ، بغض النظر عن رتبهم أو وظائفهم ، ملزمين بزراعة هذه الأرض والقيام بالسخرة على السدود والقنوات لضمان ريها ، كانت الأدوات وفرق الثيران والخيل المستخدمة لهذه المهام الجماعية محفوظة في الإسطبلات ومخازن المعبد ، من الواضح أنها كانت مملوكة للمجتمع كشركة تابعة (دار أوقاف) ، كان المعبد يوفر أيضاً الحبوب اللازمة للزراعة . ولم تكن المحاصيل التي تنتجها الحقول فقط ، بل كانت الأدوات والمعدات الطقسية والحيوانات اللازمة للتضحية أو تقديم المؤن للناس أيضاً من ممتلكات المعبد . وعلاوة على ذلك ، كان أعضاء المجتمع يعترفون بالتزامهم بممارسة مهاراتهم الخاصة في خدمة الإله .

كان عمال المعادن ، وقاطعي الحجارة ، والنجارين ، ورجال القوارب والصيادين ، والبستانيين والرعاة ، يعملون جميعاً لفترة زمنية محددة عمل جزئي ، أو ينتجون قدراً معيناً من العمل ، من أجل المعبد . وكان أولئك الذين لديهم مهارات خاصة يمارسونها ليس فقط من أجل المجتمع ولكن أيضاً من أجل التجارة الخاصة والمقايضة. وبالتالي ، وجدت المشاريع الفردية نطاقاً معيناً . في الواقع، كان هناك نوع ثالث من أراضي المعابد (أرض أولو - أرض الآلهة) يؤجر للزراعة من قبل الأفراد . أما الشخص الرسمي الآخر ، الحاكم أو إينسي (خاسين) ، فكان يشغل منصباً دائماً في المدينة ونجد أن رئيس كهنة الإله الذي يملك المدينة كان يُدعى إينسي ويعمل حاكماً للمدينة ..

ومن ثم ، في الفترة المبكرة من التطور السياسي كان هناك ثلاثة أشخاص رسميين قد تنتقل إليهم السيطرة على دولة المدينة ، وكما يلاحظ البروفيسور فرانكفورت ، (بحلول العصور المبكرة للأسر، كان أحد هؤلاء المسؤولين أو الآخر قد نصب نفسه حاكماً في كل من مدن بلاد ما بين النهرين) (فرانكفورت، المصدر السابق، ص 223) .

من وقت لآخر خلال فترة الأسر المبكرة ، اكتسبت واحدة أو أخرى من هذه المدن أو الدول زعامة البلاد أو زعامة الكومنويلث السومري ، وأطلقت الاسم على واحدة من السلالات المختلفة التي تتألف منها قوائم الملوك المبكرة ، وبالتالي نجد كيش ، وإيريك، وأور ، وإسين ، ولارسا ، تتولى الزعامة في فترات مختلفة ، واستمرت السلالات التي أعطت لها أسماءها ، بعضها لفترة قصيرة جداً، والبعض الآخر لمدة 200 عام أو أكثر من ذلك بكثير ..

لكن النمط العام للثقافة لم يتغير مع تغير السلالات فالفلسفة كانت تسيطر على المجتمع الى درجة أن أبحاثاً كبيرة ونقاشات كانت تدور حول معاني الكلمات فهناك عشرة ألواح سومرية تشرح معنى الخاطر عند الإنسان والخاطر

عند الإلهة وطبيعة الفرق بينهما ، وهناك ألواح تشرح طبيعة الفرق بين التديّن وبين الإيمان وبين اليقين ! بينما كان لكل مدينة إله حارس خاص به يحمل معاني باطنية عميقة في التعريف ، شمش (شيشمس ـ إله الشمس) في سيبار، وسين في أور (إله القمر ـ ملك فخردين) ، ومردوخ في بابل (وكيل إيزيد في عالم المادة) ، كانت الخطة العامة لمباني المعابد ، وتنظيم الكهنوت ، وبنية المجتمع ، هي نفسها عملياً في جميع أنحاء سومر وأكاد تقسم المجتمع الى آداني وشمساني وقاتاني . فيما يتعلق بمباني المعابد والكهنوت ، سيتم قول المزيد في فصل لاحق ، ولكن لا بد من ذكر بضع كلمات هنا عن البنية الدينية للسومريين والتي كانت تقسم الكهنة الى ثلاث طبقات هم البير والشيخ والمريد ، والجمعية التي كانت تختار الملك أو الكاهن الأعلى كانت مؤلفة من سبعة بيار آدانيين وإثنا عشر شيخ شمساني وتسعة شيوخ قاتانيين ليشكلوا جمعية الكهنة المقدّسة ..

أما المريد فقد كان يمثل العامة من الشعب ومتلقي العلم من الكهنة وهو أيضاً كان المجتمع مقسماً إلى ثلاث طبقات أولاً الأرستقراطية والتي تتألف من تجار ومهنيين وأصحاب الجمعيات الزراعية الدينية ، أما الطبقة الثانية فتتألف من التجار العاديين ، وصانعي المروحة ، والحرفيين ، وغيرهم من الأحرار من مختلف المهن ، وكانوا يُعرفون باسم موشكينو (المساكين) وهي ترجمت الى كلمة الميلو في ألواح بابل أو ملو والتي تعني الملّة أو الشعب المسكين

أما الطبقة الثالثة ، التي استند إليها هيكل المجتمع ، كما حدث في اليونان وروما فيما بعد ، فكانت تتألف من العبيد أو الغرباء ، سواء أولئك الذين وقعوا في الأسر أثناء الحرب ، أو أولئك الذين تم شراؤهم أو أصبحوا عبيداً بسبب الديون أو لأسباب أخرى . وكانت هذه الطبقات بعيدة كل البعد عن المساواة أمام القانون ، وكان معدل العقوبة يختلف اختلافاً كبيراً بين الطبقات . ومن المحتمل أن تكون هذه الفوارق الطبقية ذات أصل عسكري ، وكانت أقسى العقوبات القانونية تتجسّد في النفي من الكومنويلث الى مدن مخصصة للعقوبات كانت سومر قد بنتها لغرض إيواء المعربدين ومخالفي القانون وكانت هذه المدن عيلام ويزد ..

كان السومريون بارعين للغاية في الفنون والحرف اليدوية والإبتكارات ، بلغ السومريون مستوى عالياً جداً من التميز لدرجة أن الكثير من الإبتكارات والنظريات تم التعتيم عليها وتم اسنادها الى بشر في العصر الحديث ولم يتفوق حتى أفضل الحرفيين المصريين على تقنية صاغتهم وصاغتهم . واخترع الكهنة السومريون وطوروا نظام الكتابة على الألواح المؤلفة من اللازورد والأحجار الكريمة وإستخدام تقنيات حتى اليوم يجهل العلم الأكاديمي طريقة إدخالها في هذه الأحجار ، وإستخدموا النظام اللغوي المعروف باسم المسمارية ، والذي تبناه ليس فقط البابليون والآشوريون ، بل الايزيديون بشكل عام بعد إكتشاف نقوش لالش ونصوصها ، لم يكن هذا النظام أبجدياً بل كان مقطعياً وإيديوغرافياً أي أن العلامات التي يتكون منها النص تمثل كلًا من الأفكار والمقاطع ، ولكن ليس الحروف أو الأصوات المفردة . وبما أن النظام قد اخترع للتعبير عن اللغة السومرية ، فقد نشأت تعقيدات عندما تبناه البابليون للتعبير عن خطابهم الخاص الذي كان سومرياً . وقد أعطى البابليون قيماً جديدة للعلامات في عملية تكييف النظام مع لغتهم الخاصة ، وبالتالي فقد تمتلك العلامة الواحدة ما يصل إلى خمس أو ست قيم مختلفة ، مما يجعل مشكلة فك الرموز صعبة للغاية . وعلاوة على ذلك ، منذ أن استولوا البابليون من السومريين على بانثيونهم وتنظيمهم الديني بأكمله مع

طقوسه وتعاويذه ، فقد استمرت اللغة السومرية في الاستخدام لأغراض دينية حتى العصر السلوقي ، تماماً كما استمرت اللاتينية في كونها لغة الكنيسة والمحاكم القانونية خلال العصور الوسطى . وقد وصلت إلينا ألواح عديدة تحتوي على قوائم علامات تورد في أعمدة متوازية القيم السومرية والبابلية للعلامات المسمارية ، مما يدل على أن الكتبة البابليين كانوا في حاجة إلى مساعدة المعاجم في استخدام النصوص السومرية القديمة ..

الفصل الخامس

الصناعة الهندسية والعسكرية

عند مراجعة عادات الآشوريين وعاداتهم ، بقدر ما تسمح به المواد المتاحة لدينا ، سيكون من المناسب أن ندرس بشكل منفصل عاداتهم الحربية والسلمية . تقدم المنحوتات توضيحاً كاملاً للأولى ، بينما تلقي الضوء على الثانية بشكل أكثر اقتصاداً . قاتل الآشوريون في عربات ، وعلى ظهور الخيل ، وعلى الأقدام . مثل معظم الأمم القديمة ، فضل الآشوريون العربة لأنها الأكثر شرفاً ، وربما الأكثر أماناً . كان الملك يخرج دائمًا للحرب في عربة ، ويقاتل دائماً من خلالها ، باستثناء حصار المدينة ، حيث كان ينزل أحياناً ويطلق سهامه على قدميه . اتبع كبار ضباط الدولة وغيرهم من الشخصيات ذات الرتبة العالية نفس الممارسة . خدم الأشخاص الأدنى إما كفرسان أو كجنود مشاة ، يُعتقد أن عربة الحرب الآشورية كانت مصنوعة من الخشب . يبدو أنه تم تركيبه من الخلف حيث كان مفتوحاً تماماً ، أو مغلقًا فقط بواسطة درع ، والذي (كما يبدو) يمكن تعليقه عبر الفتحة . كان مُغطى بالكامل على الجانبين ، وغالباً ما كان مزخرفاً للغاية . كان عدد العجلات اثنتين ، وتم وضعها في الخلف ، عند الطرف الأقصى للجسم أو بالقرب منه ، بحيث يضغط الوزن بشكل كبير على العمود . كان لديهم فيلو عريضة بشكل ملحوظ ، وأسلاك رفيعة ودقيقة ، ومحاور صغيرة أو متوسطة الحجم . وكان عدد الأسلاك إما ستة أو ثمانية . ويبدو أن فيلو كانت مكونة من ثلاث دوائر مميزة من الخشب ، والوسطى هي الأرق ، والخارجية هي الأكثر سمكاً من الثلاثة . في بعض الأحيان كانت هذه الدوائر مثبتة معاً خارجياً بأشرطة من الخشب على شكل فأس . في حالة أو حالتين نجد الدائرة الخارجية مقسمة بقضبان عرضية ، كما لو كانت مكونة من أربع قطع مختلفة . في بعض الأحيان توجد دائرة رابعة ، تبدو وكأنها تمثل إطاراً معدنياً خارج الفلو ، حيث تم حمايته من الإصابة . هذا الإطار إما عادي أو مزخرف ..

كانت العجلات مثبتة بمحور ، تدور حوله بالطريقة المعتادة. وكان الجسم يوضع مباشرة على المحور وعلى العمود ، دون تدخل أي نوابض . وكان العمود يبدأ من منتصف المحور ، ويمر أسفل أرضية الجسم في اتجاه أفقي ، ثم ينحني عادة إلى الأعلى حتى يرتفع إلى حوالي نصف ارتفاع الجسم ، ثم يعود إلى الوضع الأفقي لفترة من الوقت ، ثم ينحني مرة أخرى إلى الأعلى عند النهاية . وكان ينتهي عادة بزخرفة ، كانت أحياناً رأس حيوان ، ثور أو حصان أو بطة وأحياناً عمل فني أكثر تفصيلاً وتعقيداً ، وفي بعض الأحيان كان العمود يستمر في مستوى الجزء السفلي من الجسم حتى يصل إلى بروزه الكامل ، ثم يرتفع فجأة إلى ارتفاع الجزء العلوي من العربة . وكان غالباً ما يتم تقويته بقضيب أو أكثر رفيع ، ربما من المعدن ، والذي كان يوحده بالجزء العلوي من مقدمة العربة . كانت العربات تجرها حصانان

أو ثلاثة ، ولم تكن تجرها أربعة خيول قط . ويبدو أنها كانت ذات عمود واحد فقط. وحيثما كانت تستخدم ثلاثة خيول ، فلابد إذن أن يكون أحدها مربوطاً بحبل أو رباط ، مثل الخيول الجانبية عند الإغريق ، ولا يمكن أن يكون مفيداً في جر العربة . ويبدو أنه من الصحيح اعتباره حصاناً إضافياً ، يهدف إلى أن يحل محل أحد الخيول الأخرى ، إذا أصيب بجرح أو حادث . وليس من السهل تحديد كيفية ربط حصاني الجر بالعمود من المنحوتات . وحيثما تُصوَّر العربات بدون خيول ، نجد أنها تحتوي دائماً على قضيب أو نير ؛ ولكن حيث تُصوَّر الخيول في عملية جر العربة ، فإن القضيب يختفي تماماً عادةً. يبدو أن الفنانين الآشوريين ، الذين فقدوا قدرتهم على تصوير النير بشكل صحيح عندما يُعرض على العين من نهايته ، فضلوا في أغلب الأحيان إخفاءه تماماً عن تصويره بطريقة غير مرضية . ربما كان النير يمر في كل الأحوال فوق كتفي الحصانين اللذين يجران الجر ، وكان يُربط بأشرطة في الياقة التي تُرى دائمًا حول أعناقهما ..

كانت هذه النير أو القضبان المتقاطعة من أنواع مختلفة . في بعض الأحيان يبدو أنها كانت تتكون من قضيب دائري بسيط ، ربما من المعدن ، يمر عبر العمود؛ وفي بعض الأحيان من سارية أكثر سمكاً ، يمر من خلالها العمود نفسه . في هذه الحالة الأخيرة ، كانت الأطراف مزينة أحياناً برؤوس حيوانات. يظهر النوع الأكثر شيوعاً من النير انحناءاً مزدوجاً ، بحيث يشبه نوعاً من القوس غير المربوط ، بين الحين والآخر، يتم العثور على عينة معقدة بشكل غريب للغاية ، تتكون من قضيب منحني بقوة عند كل طرف ، ويظهر على طول مساره أربع انحناءات مميزة أخرى لها فتحات متقابلة تشبه العيون ، مع جفن علوي وسفلي. اقترح البعض أن هذا النير كان ينتمي إلى عربة تجرها أربعة خيول ، وأن كل عين من العيون الأربعة كان بها حصان متصل ، ولكن نظراً لعدم العثور على أي تمثيل

لعربة تجرها أربعة خيول ، فيجب اعتبار هذا الاقتراح غير مقبول . يبدو أن الاحتمال هو أن هذا النير ، مثل غيره ، كان لحصانين ، كان يرتكز على أعناقهما عند النقاط المحددة والفتحات تقع على جانبي أعناق الحيوانات وتوفر الوسائل التي تم بها ربطه بالطوق ، من الممكن أن يكون لدينا في المنحوتات التي تعود إلى الفترة اللاحقة تمثيل لأطراف هذا النوع من النير ، حيث يظهر فيها أحياناً منحنى غريب على أعناق خيول العربات ، أعلى الطرف العلوي للطوق مباشرة ..

كانت العربات الآشورية قصيرة للغاية ولكن ، على ما يبدو ، كان لابد أن تكون ذات عرض كبير . تحتوي على شخصين على الأقل ، وإن كان نادراً يُرى أربعة أشخاص في عربة الملك أو الرئيس ، والسائق ، وحارسان يحميان الملك من كلا الجانبين بدروع دائرية أو دروع واقية . يقف السائق دائماً بجانب المحارب ، وليس في كثير من الأحيان مع الإغريق ، خلفه يقف الحراس في الخلف ، وبسبب قِصَر العربة ، لا بد أنهم واجهوا بعض الصعوبة في الحفاظ على أماكنهم من الواضح أنهم مجبرون على الانحناء إلى الخلف بسبب نقص المساحة ، وربما كانوا ليسقطوا كثيراً ، لو لم يمسكو بيد واحدة بحبل أو حزام مثبت بإحكام في مقدمة العربة ..

هناك نوعان رئيسيان من العربات في المنحوتات الآشورية ، ويمكن التمييز بينهما باعتبارهما أقدم وأحدث . فالأقدم منخفض نسبياً وقصير . والعجلات ذات ستة قضبان وقطرها صغير ، والجسم بسيط أو مزين فقط بحافة ، ومستدير من الأمام ، مثل العربات المصرية والكلاسيكية . وتعلق جعبتان قطرياً على جانب الجسم ، بينما يشغل مسند الرمح ، المصمم عادةً على شكل رأس بشري ، الزاوية العلوية في الخلف . من مقدمة الجسم إلى الطرف البعيد من العمود ، والذي يكون عادةً منقوشًا وينتهي برأس وعنق كرة أو بطة ، يمتد هيكل مزخرف ، يُعتقد أنه كان من الكتان أو الحرير مخيطاً على إطار من الخشب ، وهو واضح جداً في التمثيل ، وعادة ما يتدلى درع خلف هذه العربات ، ربما يغلق المدخل وأحياناً يتم تثبيت راية فيها باتجاه الأمام ، متصلة بنهاية العمود بحبل أو قضيب ..

كانت العربات الأحدث أطول وأكبر حجمًا من السابقة . كانت العجلة ذات ثمانية قضبان ، ويصل ارتفاعها إلى ارتفاع أكتاف الخيول ، مما يعني أن قطرها يبلغ حوالي خمسة أقدام يرتفع الجسم قدماً أو أكثر فوق هذا ، وبالتالي يسيطر الفرسان من وضعهم المرتفع على ساحة المعركة بأكملها ، الجسم ليس مستديراً ، بل مربعاً من الأمام ليس به جعبة متصلة به من الخارج ، ولكن له بدلاً من ذلك نتوء في إحدى الزوايا أو كلتا الزاويتين يبدو أنه كان بمثابة حافظة للسهم . هذا النتوء منقوش بشكل عام ، كما هو الحال في كثير من الحالات في جسم العربة بالكامل ، على الرغم من أن الزخرفة تقتصر أحياناً على حافة أنيقة ولكنها هزيلة إلى حد ما . الأعمدة بسيطة ، وليست منقوشة ، ومع ذلك، تنتهي أحياناً برأس حصان ، لا يوجد إطار زخرفي يربطها بالمركبة ، ولكن بدلاً من ذلك نرى قضيباً رفيعاً متصلاً به ، إما أعلاه أو أسفله ، توجد في معظم الحالات حلقة ، حيث يمكننا أن نفترض أن اللجام كان مثبتاً من حين لآخر . لا يوجد درع معلق خلف هذه العربات ، لكننا نلاحظ أحياناً ستارة مطرزة معلقة على الظهر، بطريقة تبدو وكأنها تعني أنها كانت مغلقة من الخلف ، على الأقل بواسطة قضيب عرضي

لا تختلف زخارف خيول العربات التي تنتمي إلى الفترتين كثيراً . تتكون بشكل أساسي من حزام رأس ، وياقة ، وزخرفة صدرية ، ونوع من الشرابة الضخمة على جانب الحصان . يتكون حزام الرأس عادةً من ثلاثة أحزمة يتم ربط أحدها باللجام من كلا الطرفين ، ويمر خلف الأذنين فوق الرقبة ، وآخر، متصل بهذا أعلاه ، يحيط بأصغر جزء من الرقبة ، كان الحزام الأول يتقاطع مع الأول بزاوية قائمة ، وكان يُحمل حول الجبهة وعظام الخد . وعند النقطة التي يلتقي فيها الحزام الأول والثاني ، أو أمامهما بقليل ، كان يرتفع غالباً ريشة متماوجة ، أو قمة مكونة من ثلاث شرابات ضخمة ، واحدة فوق الأخرى ؛ بينما توضع وريدة أو زخرفة مناسبة أخرى عند تقاطع الحزام الثاني والثالث . وكان الحزام الأول ينقسم عند اقترابه من اللجام إلى حزامين أو ثلاثة أحزمة أصغر ، كانت تُربط باللجام في أماكن مختلفة . وكان الحزام الرابع يمر أحياناً عبر الأنف من النقطة التي انقسم عندها الحزام الأول . وكانت جميع الأحزمة غالباً ما تكون منقوشة ، وكان اللجام أحياناً على شكل حيوان ، وكانت الشرائط تطفو أحياناً من الريشة المتماوجة أو القمة التي تتوج رؤوس جياد الحرب ..

يُصوَّر الطوق عادةً على أنه شريط عريض يمر حول الرقبة ، وليس حول الكتفين (كما هو الحال بالنسبة لنا) ، بل أعلى بكثير ، في منتصف المسافة تقريباً بين الكتفين وعظم الخد . أحياناً يكون عرضه موحدًا بينما يضيق كثيراً

كلما اقترب من مؤخرة الرقبة . يكون عادةً منقوشاً ، ويبدو أنه كان مجرد شريط جلدي مسطح . من المستحيل أن نقول بالطريقة الدقيقة التي تم بها ربط العمود به ، على الرغم من أننا في المنحوتات اللاحقة لدينا تمثيلات مفصلة للربط . يبدو أن المنحوتات السابقة تلحق بالطوق شريطاً أو أكثر من الأشرطة المنقوشة ، والتي تمر حول بطن الحصان خلف الأرجل الأمامية مباشرة ، وتعمل على تثبيته في مكانه ، بينما كانت في نفس الوقت تعتبر زخرفية على الأرجح ولكن في عهد الملوك اللاحقين ، تم تقليص أراضي البطن هذه إلى حزام واحد ، أو تم الاستغناء عنها تماماً ..

تتكون زينة الصدر عادة من هامش ، أكثر أو أقل تعقيداً . أبسط شكل، وهو شكل العصور القديمة ، يعرض حزاماً منقوشاً مع صف واحد من الشرابات الطويلة المتدلية منه ، كما هو الحال في التمثيل المرفق . في تاريخ لاحق نجد صفاً مزدوجاً وحتى ثلاثياً من الشرابات الزخرفة الجانبية المتدلية هي جزء واضح جداً من الزخارف ، يتم ربطها بالياقة إما بحزام مستقيم طويل أو بشريط دائري يسقط على جانبي الرقبة . غالباً ما يكون الطرف العلوي على شكل رأس حيوان ، ويأتي أسفله غالباً دائرة أو قرص مزين بوردة أو صليب مالطي أو ثور مجنح أو رمز مقدس آخر ، بينما تتدلى أسفل الدائرة شرابات ضخمة في صف واحد أو شرابات أصغر مرتبة في عدة صفوف . في منحوتات سرجون في خورساباد ، كانت الشرابات في كل من زينة الصدر والجوانب ملونة ، وكانت الألوان في أغلب الحالات حمراء وزرقاء بالتناوب وفي بعض الأحيان كانت خيول العربات تُغطى من الأذنين إلى الذيل تقريباً بأقمشة غنية ، مطرزة بشكل رائع على سطحها بالكامل . وكانت هذه الأقمشة تحيط بالرقبة ، التي كانت تلائمها بإحكام ، وتسقط على جانبي الجسم ، ثم تُثبت في مكانها بواسطة حزام عريض حول الردف وحزام تحت البطن ووجدنا أسلوباً أبسط من الملابس التي كانت ترتديها خيول العربات نحو نهاية الفترة اللاحقة ، حيث نلاحظ أسفل الياقة نوعاً من درع الصدر الثلاثي ، وفوق بقية الجسم قماش عادي، مقطوع بشكل مربع ، مع أغطية تنزل عند الذراعين والأربا ع ، والتي يتم تثبيتها في مكانها بثلاثة أحزمة ضيقة مثبتة من الخارج . ويبدو أن النوع السابق من الملابس كان مخصصاً للزينة ، لكن هذا يبدو وكأنه كان مخصصاً للحماية فقط ..

وإلى جانب الزخارف التي لاحظناها بالفعل ، كانت خيول العربات الآشورية تُعلّق حول أعناقها حبات من الخرز بين الأذنين والياقة ، وكانت تُعلّق أيضا ، في كثير من الأحيان ، شرابات أو أجراس متصلة بأجزاء مختلفة من غطاء الرأس ، وأخيراً ، كانت تُعلّق في الفترة اللاحقة زينة غريبة على الجبهة ، تغطي المساحة بالكامل تقريباً بين الأذنين والعينين ، وتتكون من عدد من النتوءات الصغيرة الملونة ، مثل شرابات زينة الصدر ، بالتناوب بين الأحمر والأزرق ويبدو أن كل حصان كان يُقاد بزمامين أحدهما متصل بكل طرف من طرفي اللجام بالطريقة العادية ، وكل منهما يمر عبر حلقة أو حلقة في السرج ، حيث يُثبَّت اللجام لأسفل ويتم تثبيت زمام أقوى للسائق . وكان شكل اللجام

داخل الفم ، إذا جاز لنا الحكم من خلال المثال الوحيد للزمام الفعلي الذي بقي لدينا ، يشبه إلى حد كبير اللجام الحديث . كان اللجام من الخارج كبيراً ، وفي أغلب الحالات كان أخرقاً وهو عبارة عن نوع من العارضة المستعرضة الممتدة عبر جانب وجه الحصان بالكامل ، والتي تشبه عادةً رأس فأس مزدوج ، أو مطرقة . وفي بعض الأحيان كان الشكل متنوعاً ، حيث كان يتم استبدال الفأس أو المطرقة بأشكال مماثلة لتلك الملحقة ، أو بشكل حصان في عدو كامل ، ويبدو أن اللجام ، في العصور المبكرة، كان مثبتاً في منتصف العارضة المستعرضة تقريباً ، بينما أصبح من المعتاد بعد ذلك تثبيته بالقرب من الطرف السفلي ، ربما وجد أن هذا الترتيب الأخير يزيد من قوة السائق ..

كان استخدام لجام الحمل ، الذي ساد في مصر ، غير معروف لدى الآشوريين أو مستهجن من قبلهم . كانت لجام القيادة منفصلة ، غير مخيطة أو مثبتة معاً ، وكانت تُحمل في اليدين بشكل منفصل . تمسك اليد اليمنى باللجام ، مهما كان عددها ، والتي كانت متصلة بالخدين الأيمنين للخيول ، بينما تؤدي اليد اليسرى نفس الوظيفة مع اللجام المتبقي . يحث سائق المركبة خيوله على المضي قدمًا بسوط قوي ، له مقبض قصير، وسوط سميك مضفر أو ملتوي ، متصل مثل سوط الحصان الحديث، أحياناً بحلقة وأحياناً بدونها ، وغالباً ما يكون مقسمًا في النهاية إلى ذيلين أو ثلاثة ذيول استخدام لجام الحمل، الذي كان معروفًا لدى الآشوريين . كانت لجام القيادة منفصلة ، غير مخيطة أو مثبتة معاً، وكانت تُحمل في اليدين بشكل منفصل. كانت اليد اليمنى تمسك باللجام ، أياً كان عدده ، والذي كان مربوطاً بخدود الخيول اليمنى ، بينما كانت اليد اليسرى تؤدي نفس الوظيفة مع اللجام المتبقي . كان سائق العربة يحث خيوله على المضي قدماً باستخدام سوط قوي ، ذو مقبض قصير ، وسوط سميك مضفر أو ملتوي ، مربوط مثل سوط الخيل الحديث ، أحياناً بحلقة وأحياناً بدونها ، وكثيراً ما كان مقسماً في النهاية إلى ذيلين أو ثلاثة ..

كانت خيول العربة مدربة على ثلاث خطوات ، المشي، الهرولة، والعدو . في القطع القتالية ، يتم تمثيلها عادةً بأقصى سرعة ، في المسيرات الهرولة ، في المواكب تمشي بطريقة مهيبة . كانت أعرافها غالباً ما تكون مقصوصة ، على الرغم من أنها كانت في أغلب الأحيان مستلقية على الرقبة ، تسقط (على ما يبدو) على أي من الجانبين بلا مبالاة . في بعض الأحيان كان يتم قص جزء فقط ، بينما ظل الجزء الأكبر في حالته الطبيعية. كان الذيل غير مقطوع ، وكان يكاد يجتاح الأرض عمومًا، ولكنه كان مقيدًا بخيط أو شريط مربوط بإحكام حوله في منتصفه تقريباً وفي بعض الأحيان ، وخاصة في المنحوتات اللاحقة ، كان النصف السفلي من الذيل مضفراً ومربوطاً في حلقة أو حزمة ..

كان المحارب الذي يقاتل من عربة يرتدي أحياناً سترة قصيرة ، مقيدة عند الخصر بحزام ؛ ومع ذلك ، كان يرتدي أحياناً درعاً من الدروع ، يشبه إلى حد كبير المصريين ، يتكون من نوع من القميص المغطى بصفائح صغيرة أو قشور من المعدن . يصل هذا القميص إلى الركبتين على الأقل ، حيث كانت العربة نفسها توفر الحماية الكافية تحته . كان له أكمام قصيرة ، تغطي الكتف والجزء العلوي من الذراع ، لكنها تترك الكوع والساعد غير محميين تماماً . كان

السلاح الرئيسي للمحارب هو القوس ، والذي يُرى دائماً في يديه ، وعادةً ما يكون السهم على الوتر ، يرتدي ، بالإضافة إلى ذلك، سيفاً قصيراً معلقاً على جانبه الأيسر بحزام ، وعادة ما يكون لديه رمح في متناول يده ؛ لكننا لا نراه أبداً يستخدم أياً من هذين السلاحين . فإما أن يطلق سهامه على العدو من على لوح عربته ، أو يأمر سائق العربة بالتوقف ، ثم ينزل ، ويتقدم بضع خطوات أمام رؤوس خيوله ، ويصوب سهامه من على الأرض . وفي هذه الحالة، يدافع عنه مرافقه من الصواريخ بمد درع أمامه ، يحمله بيده اليسرى ، وفي الوقت نفسه يستعد لصد أي مهاجم قريب بواسطة رمح أو سيف يمسكه بقوة بيده اليمنى . ويكون وجه المحارب وذراعاه عاريين دائماً ، وأحيانًا يكون الرأس بالكامل غير محمي ، وإن كان في أغلب الأحيان يتمتع بحماية الخوذة ومع ذلك ، يكون الرأس بدون قناع ، وغالباً ما لا يغطي الأذنين . وفي بعض الحالات القليلة يكون مزوداً بغطاء أو أغطية ، والتي، حيثما وجدت ، تبدو وكأنها مصنوعة من قشور معدنية ، وتسقط على الكتفين ، وتخفي الأذنين تماماً ، ومؤخرة الرأس ، والرقبة ، وحتى الذقن ..

خلال فترة الأسرة العليا ، يبدو أن سلاح الفرسان لم يكن مستخدمًا إلا قليلاً . لا يوجد ذكر واحد لسلاح الفرسان في نقشه الطويل بالكامل ، على الرغم من أنه يتحدث عن عرباته باستمرار . في منحوتات آشور إزير بال ، والد ملك المسلة السوداء ، بينما تكثر العربات ، لا يظهر الفرسان إلا في حالات نادرة . بعد ذلك ، في عهد سرجون وسنحاريب ، نلاحظ تغييراً كبيراً في هذا الصدد . أصبحت العربة مقتصرة تقريباً على الملك ، بينما كان الفرسان متكررين في مشاهد المعركة ..

في الفترة الأولى ، كانت زينة الخيول تتكون من طوق رأس وقلادة وخيط أو أكثر من الخرز . وكان طوق الرأس ثقيلاً إلى حد ما ، ويشبه إلى حد كبير طوق خيول العربات في ذلك الوقت ، والذي تم تقديم تمثيلات له بالفعل وكان له نفس اللجام الثقيل على شكل فأس ، ونفس ترتيب الأشرطة ، ونفس الزخارف تقريباً . وكان الاختلاف الملحوظ الوحيد هو حذف التاج أو الريشة ، مع مرافقته العرضية للشرائط . وكان الطوق غريبًا جداً . كان يتكون من رفرف عريض ، ربما من الجلد ، على شكل نصف قمر تقريباً ، يوضع على الرقبة في منتصف المسافة تقريباً بين الأذنين والكتفين ، ومن ثم يعتمد على الصدر ، حيث يتم توسيعه وتزيينه بشرابات كبيرة متدلية ، كان الطوق في بعض الأحيان عادياً ، ولكن في أغلب الأحيان كان منقوشًا بشكل متقن . في بعض الأحيان كانت الرمان تتدلى منه بالتناوب مع الشرابات . كان جنود الفرسان في هذه الفترة يركبون خيولهم دون أي سرج . وكانت أرجلهم وأقدامهم عارية ، وكان مقعدهم مميزاً للغاية . فبدلاً من السماح لأرجلهم بالتدلي بشكل طبيعي على جانبي الخيول ، كانوا يرفعونها حتى تصبح ركبتيهم على مستوى ظهور الفرسان ، وكان الهدف (على ما يبدو) الحصول على مقعد ثابت بالضغط على قاعدة عنق الحصان بين الركبتين . ويبدو أن الأرجل العارية تشير إلى أنه كان من الضروري الحصول على أقصى قدر من اللعب الحر للعضلات لتجنب إزعاج السقوط . وكان السلاح الرئيسي لسلاح الفرسان في هذا الوقت هو القوس . وكانوا يرتدون السيف والدرع بالفعل ، ولكننا لم نراهم يستخدمونهما في أي حال من الأحوال

. وكان جنود الفرسان إما رماة أو مجرد مرافقين لا يحملون أسلحة هجومية . وكان أحد هؤلاء المرافقين يرافق كل رامي سهام في المعركة ، بغرض حمل جواده وتوجيهه أثناء إطلاق سهامه . يرتدي المرافق قبعة وقميصاً بسيطاً ، ويرتدي الرامي قميصاً مطرزاً وحزاماً يثبت عليه سيفه وخوذة مدببة عادية ..

في الفترة الثانية ، كان سلاح الفرسان يتألف جزئياً من الرماة ، وجزئياً من حاملي الرماح . لم يعد هناك مرافقون غير مسلحين ، ويبدو أن حاملي الرماح والرماة قادرون على إدارة خيولهم . أصبحت السروج الآن شائعة الاستخدام فهي تتكون من قطعة قماش بسيطة أو رفرف من الجلد ، إما مقطوعة بشكل مربع ، أو على شكل يشبه إلى حد ما أقمشة السروج الخاصة بسلاح الفرسان لدينا . حزام واحد أسفل البطن هو التثبيت العادي لهم ، ولكن في بعض الأحيان يتم تأمينها بشكل أكبر عن طريق حزام أو شريط يمرر حول الصدر ، وتحدث حالات قليلة لحزام ثان يمرر حول الأرباع . حزام الصدر عادة ما يكون من النوع المزخرف للغاية . إن طوق الرأس في هذه الفترة لا يختلف عن سابقه ، والذي يختلف عنه بشكل رئيسي في وجود تاج ، وكذلك زخرفة للجبهة تتكون من عدد من النتوءات الصغيرة . كما أنه يحتوي عادةً على حزام حول الأنف ، ولكن لا يوجد حزام تحت عظام الخد وغالباً ما يكون مزيناً بزخارف غنية ، وخاصة بالورود والأجراس والشراشيب . يتم استبدال القلادة القديمة بقلادة تحيط بالرقبة في منتصف الطريق تقريباً ، أو يتم الاستغناء عنها تماماً في بعض الأحيان . عندما يحدث ذلك ، يكون عادةً بعرض موحد ، ومزيناً بالورود أو الشرابات . لم يتم تكوين أي تخمين حول أي استخدام يمكن أن يخدمه أي شكل من أشكال الطوق ، والاحتمال هو أنه كان مخصصاً للزينة فقط ..

إننا نلاحظ تغييراً كبيراً في المنحوتات التي تعود إلى الفترة الثانية فيما يتصل بملابس الفرسان ، فالآن يرتدي جندي الفرسان ملابسه كاملة ، باستثناء ذراعيه ، اللتين تظهران من أسفل الكتف بقليل . وهو يرتدي في أغلب الأحيان سترة تلائم جسده ، ولكن أسفل الخصر يتسع إلى تنورة فضفاضة أو تنورة داخلية ، أطول كثيراً من الخلف منها من الأمام ، والتي تكون أحياناً منقوشة ، وتنتهي دائماً بهامش . ويرتدي حول خصره حزاماً عريضاً ، وحزام آخر أقل عرضاً ، يتدلى منه سيف ، ويمر فوق كتفه الأيسر . كانت ساقاه مغطاة بسروال ضيق ، يرتدي فوقه حذاءاً برباط أو ساقاً ، يصل عموماً إلى الركبة تقريباً ، على الرغم من أنه يغطي أحياناً نصف الساق فقط . ربما يمكن اعتبار هذا الزي ، الذي تم العثور عليه لأول مرة في زمن سرجون ، واستمر حتى عهد آشور بانيبال ، ابن أسرحدون ، الزي الرسمي المعتاد لسلاح الفرسان في عهد ملوك الإمبراطورية السفلى . في عهد سنحاريب ، يوجد بالتزامن مع هذا الزي زي آخر ، غير معروف للمنحوتات السابقة . يتكون هذا الزي من ثوب يناسب الجسم بالكامل ، ويتألف على ما يبدو من معطف من الدرع أو الجلد أو اللباد ، وساقاً عالية أو حذاء طويل . يرتدي هذا الزي رماة الرماح أو الرماة بشكل غير مبال . يحمل الأول سلاحاً طويلاً ، يكون رأسه صغيراً بشكل عام ، ويُمسك به أسفل العمود . إن قوس الأخير إما أن يكون مقوساً أو زاوياً ، ويبدو أنه لا يزيد طوله عن أربعة أقدام ، أما السهام فيبلغ طولها أقل من ثلاثة أقدام ، وهي معلقة في جعبة على ظهر الرامي . وعادة ما يحمل كل من الرماة والرماة السيوف ، التي

تُعلَّق على الجانب الأيسر ، في وضع قطري ، وأحياناً في وضع أفقي تقريباً . وفي بعض الحالات القليلة يكون الرامي أيضاً رامياً ، ويحمل قوسه على ذراعه اليمنى ، على ما يبدو كاحتياطي في حالة كسر رمحه أو فقده إن مقعد الفارس أكثر رشاقة في الفترة الثانية مما كانت عليه في الفترة الأولى ، حيث تبدو أطرافه وكأنها تتحرك بحرية ، وسيطرته على جواده لدرجة أنه لا يحتاج إلى مرافق . يمسك الرامي باللجام في يده اليسرى ، ويضعه الرامي بجرأة على رقبة جواده ، الذي يتم تدريبه إما على مواصلة هجومه ، أو على الوقوف بثبات أثناء التصويب الثابت في تماثيل ابن وخليفة أسرحدون ، تحمل خيول الفرسان في كثير من الأحيان ، بالإضافة إلى السرج العادي أو الوسادة ، قطعة قماش كبيرة تشبه إلى حد كبير تلك التي ترتديها أحياناً خيول العربات ، والتي تم تقديم تمثيل لها بالفعل . يتم قطعها مربعة مع اثنين من الأجنحة المتدلية ، وتغطي الجزء الأكبر من الجسم . في بعض الأحيان يتم ربطها بنوع من درع الصدر الذي يحمي الرقبة ، وينزل إلى نصف الصدر تقريباً يمكن افتراض أن المادة كانت من اللباد السميك أو الجلد ، وكلاهما كان ليشكل حماية كبيرة ضد الأسلحة ..

ورغم أن سلاح الفرسان والعربات كانا يعتبران من أهم أجزاء القوة العسكرية ، وكانا من الخدمات المفضلة لدى الأغنياء والأقوياء ، إلا أن هناك أسباباً كثيرة للاعتقاد بأن الجيوش الآشورية ، مثل أغلب الجيوش الأخرى ، كانت تتألف في الأساس من المشاة ويذكر كتسياس أن مينيس كان يتألف من 1.7 مليون من المشاة و210 آلاف من الفرسان و10.600 من العربات . ويقارن زينوفون بين كثرة المشاة الآشوريين والأعداد الضئيلة نسبياً للخدمتين الأخريين فيذكر هيرودوت أن الآشوريين خدموا في جيش زركسيس على الأقدام فقط . إن مؤلف كتاب يهوديت ينسب إلى هولوفرنيس قوة مشاة تعادل عشرة أضعاف عدد فرسانه . وتؤكد الآثار الآشورية بالكامل الحقيقة العامة التي تنطوي عليها كل هذه التأكيدات ، حيث تظهر لنا ، كما تفعل ، ما لا يقل عن عشرة محاربين آشوريين على الأقدام لكل واحد يمتطي جوادًا ، وما لا يقل عن مائة لكل واحد يركب عربة . ومهما كانت الصدمة التي أحدثتها عرباتهم واندفاع فرسانهم مروعة بالنسبة لأعداء الآشوريين ، فمن المحتمل أن الإمبراطورية كانت مدينة في المقام الأول لسلسلة انتصاراتها الطويلة إلى صلابة المشاة وبسالتهم ومعداتهم وانضباطهم ..

في زمن أقدم المنحوتات ، يبدو أن جميع جنود المشاة الآشوريين كانوا يرتدون نفس الزي تقريباً . كان هذا يتألف من سترة قصيرة لا تصل إلى الركبتين تماماً ، محصورة حول الخصر بحزام عريض ، مزين بأهداب ، ومفتوحة بشكل عام من الأمام ، جنبًا إلى جنب مع خوذة مدببة ، ربما من المعدن. كانت الذراعان والساقان والرقبة وحتى القدمين ، عارية عادةً ، على الرغم من أن هذه الأخيرة كانت تتمتع أحياناً بحماية صندل بسيط للغاية . استخدم المبارزون سيفاً مستقيماً صغيراً أو خنجراً يرتدونه على جانبهم الأيسر في غمد مزخرف ، ودرعاً إما محدباً وربما مصنوعاً من المعدن ، أو مستطيلاً مربعاً ومكوناً من القش كان لدى الرماة دروع ذات شكل وبناء مماثلين ، وكانوا يحملون في أيديهم اليمنى رمحاً قصيراً أو رمحاً ، لا يتجاوز طوله بالتأكيد خمسة أقدام . في بعض الأحيان ، ولكن ليس دائماً ، كانوا يحملون ، إلى جانب الرمح ، سيفاً قصيراً . كان لدى الرماة أقواس مستديرة يبلغ طولها حوالي أربعة أقدام ،

وسهاماً يزيد طولها قليلاً عن ثلاثة أقدام . كانت جعبتهم ، التي كانت مزخرفة بشكل كبير في كثير من الأحيان ، معلقة على ظهورهم ، إما على الكتف الأيمن أو الأيسر . وكانوا يعلقون سيوفهم على جانبهم الأيسر بحزام متقاطع ، وكثيراً ما كانوا يحملون صولجانات ، ربما من البرونز أو الحديد، تحمل وريدة أو زخرفة أخرى في أحد طرفيها ، وحلقة أو حزام في الطرف الآخر . وكانت سترات الرماة مطرزة بشكل متقن في بعض الأحيان ، ويبدو أنهم كانوا يعتبرون بشكل عام زهرة جنود المشاة . وعادة ما يتم تمثيلهم في أزواج ، ويكون الاثنان في معظم الحالات مسلحين ومجهزين على حد سواء ، ولكن في بعض الأحيان ، يعمل أحد الزوجين كحارس بينما يصوب الآخر . في هذه الحالة يركع كلاهما على ركبة واحدة ، ويتقدم الحارس بدرعه الخوص الطويل ، ويحمي نفسه ورفيقه من القذائف ، بينما يسحب سيفه في نفس الوقت لصد جميع المهاجمين باليد ..

في الجزء الأول من الفترة الثانية ، والذي تزامن مع حكم سرجون، أصبح الاختلاف في أزياء جنود المشاة أكثر وضوحاً . يتكون سلاح المشاة الآشوري الآن من فئتين كبيرتين ، الرماة ورجال الرماح . الرماة إما خفيفو السلاح أو ثقيلو السلاح ، ومن الأخير نوعان متميزان بوضوح . لا يرتدي خفيفو السلاح خوذة ، لكنهم يرتدون على رؤوسهم مجرد شريط أو شريط ، إما عادي أو منقوش . باستثناء حزام متقاطع يدعم الجعبة ، فإنهم عراة تماماً حتى المنتصف . لباسهم الوحيد هو سترة بأحجام ضئيلة ، تبدأ من الخصر ، ويربط حولها حزام عريض أو حزام ، وينزل إلى ما يزيد قليلاً عن نصف المسافة إلى أسفل الفخذ . في صنعه ، يشبه أحياناً سترة الفترة الأولى عن كثب ، ولكن في أغلب الأحيان يكون به زخرفة معلقة غريبة قورنت بفيليبج الاسكتلندي ، والتي سنطلق عليها هذا الاسم هنا . غالباً ما تكون منقوشة بمربعات وتدرجات . عادةً ما يكون الرامي ذو السلاح الخفيف حافي القدمين ومع ذلك ، في بعض الأحيان ، يرتدي الصندل الخفيف من هذه الفترة ، والذي لا يزيد عن غطاء للكعب مثبتاً في مكانه بخيطين أو ثلاثة خيوط تمر عبر مشط القدم . لا يوجد شيء ملحوظ في ذراعيه ، مما يشبه أذرع الفترة السابقة ولكن يمكن ملاحظة أنه أثناء الرماية، غالباً ما يحمل سهمين في يده اليمنى إلى جانب السهم الموجود على الخيط . يطلق إما راكعاً أو واقفاً ، وعادة ما يكون الأخير . يكون موقعه المعتاد في عربة المعركة ، على الرغم من أن جزءاً من القوات المسلحة الثقيلة تسبقه أحياناً . ليس لديه درع ، ولا يحميه مرافق ، وبالتالي يتعرض لمخاطر أكبر من أي فرد آخر من الجيش . أما الرماة الذين يستخدمون أسلحة ثقيلة ، والذين يتسمون بالبساطة في تجهيزهم ، فيرتدون درعاً من الدروع يمتد من رقبتهم إلى وسطهم ، ويغطي الذراعين جزئياً . ويرتدون تحت هذا الدرع سترة مزينة بأهداب تصل إلى الركبتين ، ويحيط بها حزام عريض من النوع العادي عند الخصر . وتحمي أقدامهم في أغلب الأحوال الصندل ، ويرتدون على رؤوسهم خوذة عادية أو مدببة . وعادة ما يطلقون سهامهم راكعين على الركبة اليسرى ، مع وضع القدم اليمنى أمامهم . وإذا ما أقدموا على هذه العملية ، فإنهم يحمون بواسطة مرافق ، يرتدي أحياناً ملابس تشبه ملابسهم ، وأحياناً يرتدي سترة فقط ، دون درع . ومثلهم ، يرتدي المرافق خوذة مدببة ، وفي حين يحمل في إحدى يديه رمحاً ، يحمل في الأخرى درعاً ، إما أن يكون مستدير الشكل من المعدن المنقوش بأشكال أو

مستطيل الشكل مربع الشكل ، ومن الواضح أنه مصنوع من القش . الرماة من هذه الفئة هم الأقل شيوعاً ، ونادراً ما يحدثون إلا عند دمجهم مع بعض أفراد الفئة التي تحتوي على أثقل المعدات ..

إن السمة الرئيسية للفئة الثالثة أو الأكثر تسليحاً من الرماة هي الثوب الطويل ، ذو الحواف الغنية ، والذي ينزل تقريباً إلى أقدامهم ، وبالتالي يحمي الجزء السفلي من شخصهم بالكامل . وفوق هذا الثوب ، يرتدون درعاً يشبه تماماً درع الرماة من الطبقة المتوسطة ، والذي يتقاطع أحياناً مع حزام مزين بقضبان عرضية . ويغطي رأسهم الخوذة المدببة المعتادة ، وأقدامهم محمية دائماً بالصندل . وأحياناً يتم تصويرهم بدون سيف أو جعبة ، ولكن في أغلب الأحيان يكون لديهم سيف قصير على جانبهم الأيسر ، والذي يبدو أنه قد تم تمريره من خلال درعهم ، بين صفائح الدروع ، وفي حالات قليلة يكون لديهم أيضاً جعبة على ظهورهم . وفي حالة عدم وجود هذه السهام ، فإنهم عادة ما يحملون سهمين إضافيين في أيديهم اليمنى ، أو يحمل لهم مرافق نفس العدد .

ولا يُرى هؤلاء مطلقاً دون حراسة في بعض الأحيان يكون لديهم مرافق واحد ، وأحياناً مرافقان ، يرافقونهم ويحرسونهم من الهجوم . ويحمل أحد هذين الصنفين تقريباً دائماً الدرع الطويل المصنوع من الخيزران ، والذي أطلق عليه الإغريق اسم والذي يضعه بثبات على الأرض أمام نفسه ورفيقه . أما الصنف الثاني ، حيث يوجد صنف ثانٍ ، فيقف قليلًا في الخلف، ويحرس رأس الرامي بدرع دائري أو درع . ويرتدي كلا الصنفين سترة قصيرة ، وقبعة ، وحزامًا ، وخوذة مدببة . ويرتديان عموماً أيضاً درعاً من الدروع والصنادل ، مثل دروع الرامي . ويحملان سيوفاً على جانبيهما الأيسر ، ويحمي الصنف الرئيسي ، باستثناء الحالات التي يحمل فيها سهام الرامي ، الرامي من الهجوم من خلال حمل رمح قصير في المقدمة . ولا يركع رماة هذه الفئة أبداً ، بل يطلقون سهامهم دائماً وهم واقفون . ويبدو أنهم يُعَدون أهم جنود المشاة ، حيث تكون خدماتهم أكثر قيمة بشكل خاص في حصار الأماكن المحصنة ..

إن رماة الرماح في هذه الفترة لم يكونوا مسلحين بشكل أفضل من الرماة من الدرجة الثانية أو المتوسطة ، وباستثناء حالات نادرة للغاية ، لم يكن لديهم درع، وكان قميصهم ، الذي كان إما سادة أو مغطى بمربعات صغيرة ، بالكاد يصل إلى الركبة . وأكثر ما يلفت انتباههم هو خوذتهم ، التي لم تكن مدببة أو مخروطية الشكل ، بل كانت تعلوها دائماً قمة من نوع أو آخر . ومن السمات المميزة الأخرى التي كانت شائعة جداً ترتيب أحزمتهم المتقاطعة ، التي تلتقي على الظهر والصدر ، وتزين عند نقاط التقاطع بقرص دائري ، ربما من المعدن وكان درع الرامي دائرياً أيضاً ، ويتكون عموماً ، إن لم يكن دائماً ، من القش ، مع نتوء مركزي من الخشب أو المعدن (أحيانا) . وفي معظم الحالات كانت أرجلهم عارية تماماً ، لكنهم يرتدون أحياناً صنادل ، وفي حالة أو حالتين يرتدون حذاءاً منخفضاً أو ساقاً مربوطة من الأمام ، ويشبه حذاء الفرسان . إن الرمح الذي يحملونه يختلف طوله من حوالي أربعة إلى ستة أقدام . يتم إمساكه بالقرب من الطرف السفلي ، حيث يتم تثبيت وزن عليه أحياناً ، من أجل الحفاظ على التوازن بشكل أفضل ، بالإضافة إلى هذا السلاح لديهم السيف القصير العادي ، يلعب حاملو الرماح دوراً مهماً في الحروب الآشورية ، وخاصة في الحصار ، حيث يشكلون دائماً قوة الفريق المهاجم يبدو أن بعض التغييرات المهمة قد أجريت

في عهد سنحاريب في معدات وتنظيم قوة المشاة . تتكون هذه التغييرات بشكل رئيسي في إنشاء عدد أكبر من الفيلق المتميز المسلح بشكل مختلف ، وفي تحسين معدات أهمها. يبدو أن سنحاريب كان أول من أنشأ فيلقاً من الرماة ، الذين يظهرون على أي حال لأول مرة في منحوتاته . كانوا نوعاً من الجنود المعروفين جيداً لدى المصريين ، وربما أدت معرفة سنحاريب بالحرب المصرية إلى تقديمهم بين قوات آشور كان الرامي في أغلب البلدان التي كانت تستخدم فيها خدماته يرتدي ملابس خفيفة ، وكان يُعَد من العناصر الإضافية . ومن اللافت للنظر أنه في آشور كان مسلحاً في البداية بالكامل وفقاً للأفكار الآشورية عن الكمال ، فكان يرتدي خوذة ، ودرعاً معدنياً حتى الخصر ، وقميصاً حتى الركبتين ، وسروالاً ضيقاً ، وحذاءً قصيراً أو ساقاً . ويبدو أن السلاح الذي يميزه كان يتكون من قطعتين من الحبل أو الخيط ، مربوطتين بحزام جلدي قصير كان يعلق عليه الحجر . وقبل أن يرمي ، كان الرامي يدور بالسلاح حول رأسه مرتين أو ثلاث مرات ، من أجل الحصول على زخم متزايد وهي ممارسة كانت معروفة أيضاً لدى المصريين والرومان . وفيما يتعلق بالذخيرة ، لا يتضح بوضوح كيف كان الرامي الآشوري يزود بالذخيرة . فهو لا يملك كيساً مثل الرامي العبري ، ولا جيباً أنفياً مثل الرومان. وكثيراً ما نراه مزوداً بحجر إضافي واحد فقط ، يحمله في يده اليسرى . في بعض الأحيان ، بالإضافة إلى هذا الاحتياطي ، يكون لديه كومة صغيرة من الحجارة عند قدميه ، ولكن ما إذا كان قد جمعها من الحقل ، أو أحضرها معه وأودعها حيث تقع ، فهذا ليس واضحاً ..

ينقسم رماة سنحاريب إلى أربع فئات، اثنتان منها يمكن أن نطلق عليهما ذوي الأسلحة الثقيلة واثنتان ذوي الأسلحة الخفيفة . ولا يشبه أي منهم رماة سرجون تماماً . يرتدي الأكثر تجهيزاً سترة ، ودرعاً يصل إلى الخصر ، وخوذة مدببة ، وبنطالاً ضيقاً ، وحذاءاً قصيراً أو ساقاً . ويرافقه مرافق (أو أحياناً مرافقان) يرتديان ملابس مماثلة ، ويقاتل خلف درع كبير من الخيزران أو الجرهون . ويرتدي الرماة من الفئة الثانية تعديلاً لهذا الزي ، حيث يكون رماة الفئة الثانية عراة الساقين ، ويرتدون سترة تبدو مفتوحة من الجانب ، وقبعة فيليبج يقاتلون دون حماية الدرع ، وعادة ما يكونون في أزواج ، ويطلقون النار معاً ..

الفصل السادس

مملكة قوية

إن سبب سقوط سلالة الخالتيين العظيمة غير معروف لنا . وربما كان ذلك بسبب انتفاضة البابليين ضد الهيمنة الأجنبية ، مع صرخة الحرب (بابل للبابليين) ، وهي الصرخة التي ترددت في لغات مختلفة بين الرجال وحققت انتصارات وطنية عديدة . وتسمي قائمة الملوك البابليين السلالة الجديدة ، سلالة إيسن ، ولكن أصلها لا يزال مشكوكاً فيه . وقد قيل إنها بدأت في بابل وسميت على اسم قسم من المدينة يُعرف باسم إيسن ، ولكن لا يزال من الممكن أن تكون نشأتها في مدينة إيسن ، التي كان نفوذها ملحوظاً في فترة سابقة من التاريخ . حكمت هذه السلالة في بابل لمدة مائة واثنين وثلاثين عاماً . والقائمة مكسورة للغاية لدرجة أنه لم يتم الاحتفاظ إلا بأسماء قليلة ، ونحن مضطرون مرة أخرى إلى البحث عن وسائل لاستعادة الأسماء من إشعارات في وثائق أخرى . كان هناك أحد عشر ملكاً في هذه السلالة اعتبرهم المؤرخون البابليون شرعيين ، ومن بين هؤلاء أربعة أو خمسة غير معروفين لنا تماماً . .

لقد ضاعت أسماء أول ملكين من السلالة ، اللذين حكما ثمانية عشر عامًا وستة أعوام على التوالي (حوالي 1206-1189 قبل الميلاد و1188-1183 قبل الميلاد) ، ولا يمكن استعادتهما بعد ، كما ضاعت أسماء الملوك الثلاثة التاليين وسنوات حكمهم . كان الملك السادس من السلالة هو نبوخذ نصر الأول (حوالي 1135 قبل الميلاد) . يُظهِر هذا الملك مرة أخرى روح حمورابي تقريباً . انتصاراته رائعة ، وهزائمه ليست سوى دليل على يأس قضية بابل وقوة جهوده لإنقاذ الدولة ، وعندما تولى موتاكيل نوسكو الحكم ، كان على الأرجح ملكاً لآشور ، وفيه عاشت تقاليد الحكم المجيد لآشور دان ، الذي حمل السلاح الآشوري مرة أخرى إلى النصر . كانت آشور تستعد لمنافسة بابل على حيازة الوادي بأكمله ، وكانت البلاد القديمة في حاجة إلى رجل قوي وذو شخصية . وفي عهد الملك الآشوري التالي ، المسمى آشور ريش إيشي ، اندلعت أول معركة كبرى ، وكانت بداية

الصراع على السيادة بين الأمتين العظيمتين . أخذ نبوخذ نصر زمام المبادرة ودخل آشور ، لكن آشور ريش إيشي هزمه وأجبره على التراجع في هزيمة حقيقية ، بعد أن أحرق حتى أمتعته لتخفيف عودته إلى بابل . وبعد أن جمع التعزيزات ، عاد إلى المعركة ، لكن قوات متفوقة هزمته مرة أخرى وأجبرته على التراجع ، بعد أن فقد أربعين من مركباته . ولقد لاقى هذا النكسة المروعة نجاحاً موازناً في أماكن أخرى ، حيث انتصر نبوخذ نصر على اللولوبيين ، وعاقب عيلام في الشرق ، والأهم من ذلك كله أنه هَزَّ بأعمدة طائراته بلا خوف وبنجاح إلى أقصى الغرب ، حتى إلى سوريا ، وهو الهدف الذي كان يسعى إليه هذا المسعى العظيم في الماضي البعيد . وفي أحد نقوشه يصف نبوخذ

نصر نفسه بأنه (شمس أرضه ، الذي يجعل شعبه مزدهراً، وحامي الحدود). ولقد كان من حسن حظه أن يفتخر بهذا ، لأنه على الرغم من فشله في مواجهة الآشوريين ، فقد نجح في الحفاظ على مملكة كانت لولاه لربما سقطت أمام القوة الآشورية الجديدة التي كانت لا تقهر تقريباً ..

لقد خلف نبوخذ نصر الأول بل نادينابلي (حوالي 1125 ق.م.) ، والذي لم نشهد في عهده أي حدث ذي أهمية . وفي عهد خليفته مردوخ نادين آخي (حوالي 1117-1096 ق.م.) ، أظهر الآشوريون في ضوء أكثر وضوحاً القوة التي كانت كفيلة بوضع مصائر غرب آسيا بالكامل بين أيديهم . وقد احتل عرش آشور الآن تغلث فلاصر الأول ، وهو واحد من أعظم المحاربين في العصور القديمة . وقد حقق مردوخ نادين آخي بعض النجاح في البداية ضد مملكته ، حيث نقل من إكلاتي تماثيل الإلهين أدي وشالا. وقد ظلت هذه التماثيل بعيدة لعدة قرون ، ولم يتم إعادتها إلى مكانها إلا في عهد سنحاريب . ولكن مثل هذه النجاحات لم تفعل سوى حث تغلث فلاصر على بذل المزيد من الجهود . فقام بغزو بابل واستولى على عدد من المدن في نصفها الشمالي ، بل واستولى على بابل نفسها . وهنا كانت الضربة الكبرى الأولى ضد استقلال بابل . لم يسيطر الآشوريون على المدينة التي تم الاستيلاء عليها ، ولكن تغلث فلاصر الأول كان الملك الأعظم لغرب آسيا، ولم يحكم الملك البابلي إلا بالتسامح ومن المرجح أن الملك البابلي التالي كان مردوخ أخي إربا ، الذي حكم لمدة عام وستة أشهر فقط ثم أفسح المجال لمردوخ شابيكزر كواتي (حوالي 1094-1083 قبل الميلاد) والذي بدأت معه فترة وجيزة من السلام المستقر . لقد تخلى الآشوريون في عهد الملك آشور بل كالا عن سياسة سحق بابل في الوقت الحاضر ، وتبنوا بدلاً من ذلك خطة إقامة تحالف وصداقة مع الكومنولث القديم . وبعد وفاة مردوخ شابيك زر كواتي ، تولى العرش رجل من أصل غير معروف ، وهو أداد أبال إدين . ورغم أنه كان مغتصباً للعرش ، فقد استمر آشور بل كالا في نفس الصداقة معه ، بل وزوجه ابنة. كان آخر ملوك هذه السلالة هو نابوشوم (أو نادين) ، الذي حكم حوالي 1082-1075 قبل الميلاد ، ولم تصلنا أي أنباء عن حكمه حتى الآن . وخلال الجزء الأخير من هذه السلالة كان الآشوريون مشغولين بشكل رئيسي بتعزيز مملكتهم داخلياً وتدعيمها ، بينما كان البابليون غير قادرين على القيام بأي حملات واسعة النطاق . وبعد هذه الفترة أصبحت معلوماتنا البابلية المباشرة مجزأة على نحو متزايد ، بل وحتى مشكوكاً في معناها في بعض الحالات . لقد فقدت الدولة البابلية مفتاح غرب آسيا ، ووجده الآشوريون . ولم تبذل أي من الدولتين أي جهود كبيرة في الوقت الحالي ، ولكن المستقبل كان ملكاً لآشور لقرون على الأقل ، وكانت شمس بابل قد عانت من كسوف طويل. ومن الآن فصاعداً يتعين علينا أن نبتعد عن بابل لنرى التيار الرئيسي للتاريخ يتدفق عبر أراضي منافسيها . لقد تتبعنا ثروات المدن البابلية منذ فجر العصور القديمة الرمادية على مر القرون ، من خلال التقارير الجيدة والتقارير السيئة . لقد شاهدنا المدن تنمو لتصبح ممالك ، ورأينا الممالك تتحد في إمبراطورية عظيمة . لقد تابعنا تقدمها حتى ذروتها ورأينا انحدارها إلى الخضوع. إنه تاريخ نبيل ، وحتى في الخطوط العريضة يحتوي على ما يكفي من اللون المشرقي الغني لتكوين صورة متوهجة للعقل . من تأمله يجب أن ننتقل الآن للنظر في تطور وتقدم مملكة آشور ..

إن أصل مدينة بابل يكتنفه غموض لا يمكن اختراقه فلابد أن أول مدينة بنيت على هذا الموقع قد تأسست قبل الميلاد بأربعة آلاف عام وربما كان ذلك قبل ذلك بكثير . وقد ورد اسم المدينة في لوح أومن الذي كتبه سرجون ، ورغم أن هذا لا يشكل دليلاً على أن المدينة كانت قائمة بالفعل في حوالي عام 3800 قبل الميلاد ، فإنه يثبت أن تقليداً لاحقاً نسب إليها هذا القدم العظيم . ولكن في هذا التاريخ المبكر ، يبدو أنها لم تكن مدينة ذات أهمية. وخلال الفترة الطويلة التي شهدت صعود مملكة سومر وأكاد ، لم يجد أي ملك في الجنوب أن بابل تستحق الذكر ، وإن كان لابد وأن تكون بابل قد تطورت إلى مدينة ذات نفوذ خلال القرون اللاحقة لحكم إيسن ولارسا . ومنذ حوالي عام 2300 قبل الميلاد ، امتد نفوذ هذه المدينة دون انقطاع تقريباً إلى فترة حكم الإيزيديين . ولم تكن أي عاصمة في العالم قط مركزاً لهذا القدر من القوة والثروة والثقافة خلال فترة طويلة كهذه . إنها في الواقع دورة رائعة من القرون التي ندخلها ..

إن اسم أول ملك لبابل مذكور في قوائم الملوك البابليين باسم سومو-آبي (حوالي 2454-2440 قبل الميلاد) ، ولا نعرف عنه شيئاً . كما لا نملك أي نقوش تاريخية لخلفائه المباشرين ، ولا نستطيع أن نعرف شيئاً عن فترة حكمهم إلا من خلال الملاحظات المجزأة على ألواح العقود ، والتي تعطي أحياناً إشارات إلى حياة الناس . ومن نقوش الملوك اللاحقين ، نتلقى أيضاً أنباء عن بعض عمليات البناء التي قام بها اثنان منهم . وهذان الملكان هما سومو-لا-إيلو (حوالي 2439-2405 قبل الميلاد) ، الذي بنى ستة حصون قوية في بابل ، وزابو (حوالي 2404-2391 قبل الميلاد) ، الذي شيد في سيبار أنونيت معبد إدوبار-إيزيدا لإله المدينة . وبعد زابو ، على ما يبدو ، كانت هناك كل محاولات الثورة، حيث نتلقى تلميحات بأن شخصاً معيناً يُدعى إيمرو382 حاول اعتلاء العرش . لا يظهر اسمه في قائمة الملوك، ومن المحتمل أنه لم يتمكن من الحصول على منصب آمن في المملكة الحكام التاليون هم أبيل سين (حوالي 2390-2373 قبل الميلاد) وسن موباليت (حوالي 2372-2343 قبل الميلاد) ، والذين لا نعرف أيضًا تاريخ حكمهما ومن الجدير بالذكر أنه في الأعداد الكبيرة من وثائق الأعمال التي وصلت إلينا من فترة هذه الأسرة الأولى من بابل ، لم يُطلق على أي من هؤلاء الحكام حتى أبيل سين لقب ملك وسن موباليت إلا في شكل تلميح عابر في لوح واحد . ومن الصعب تفسير هذه الحقيقة ما لم نقبل الرأي القائل بأن مملكة بابل الحقيقية لم تبدأ إلا بعد أن طرد حمورابي العيلاميين وفاز لنفسه باللقب الذي حمله ملوك أور وإيسن ولارسا القدامى كان حمورابي (حوالي 2342-2288 ق.م.) ابناً وخليفة لسين-موبليت ، ومعه بدأ عصر جديد . ومن أعظم ما يمتاز به اسمه أنه نجح في توحيد بابل ، وأن الاتحاد الذي رسخه ظل قائماً إلى أن انتقلت الصولجان من أيدي الساميين إلى عرق آخر . وفي هذا تفوق كثيراً على نجاح سرجون ولوغالزاكيسي ، اللذين لم تدم إمبراطوريتاهما إلا مدة قصيرة . ومع ذلك فقد واجه صعوبات أعظم من تلك التي واجهها هاذان الملكان. فقد كان العيلاميون راسخين في البلاد ، وكانوا لا يستسلمون لها إلا بصعوبة بالغة . وكان النشاط الذي أظهره أمراء العيلاميون في البناء دليلاً على مدى تقديرهم لممتلكاتهم الجديدة . ونحن لا نملك حتى الآن ما يكفي من الحقائق التي تمكننا من تتبع تحركات حمورابي في غزوه للبلاد . ولعل الكفاح كان قصيراً ودون تمييز. ولم يكن أهل مملكتي سومر وأكاد يتمتعون بحياة وطنية أصيلة ،

ولا وطنية إلهية . ولم يكن الناس يبالون برحيل أحد الملوك ، بل كانوا يدفعون الضرائب طوعاً لآخر ، بشرط ألا يزيدها ثقلاً . وسرعان ما طُرد العيلاميون من بابل ، وتولى حمورابي لقب ملك سومر وأكاد ، وملك أركان العالم الأربعة ، فضلاً عن اللقب القديم ملك بابل ويتضح قبول الناس السريع للحكم الجديد لحمورابي والزعامة الجديدة لمدينة بابل بشكل قاطع من خلال غياب أي انتفاضة أو أي محاولة للتخلص من النير . لقد حان الوقت لقلب الدولة السومرية القديمة ، ووجدنا في حمورابي الرجل المناسب للعصر الجديد . ولا نعرف كيف تم ذلك الغزو ، وفي معرفة هذه الحقيقة يجب أن نطمئن ..

إن الرسائل والبرقيات المتنوعة التي وصلت إلينا إلى هؤلاء المسؤولين تؤكد أنه كان تحت إمرته أمراء صغار أو نواب ملك . ولكن من المستحيل أن نرتب هذه الأجزاء الصغيرة على هذا النحو بحيث نحصل على صور كاملة أو مرضية لعلاقته بهم . ولسبب وجيه، لدينا أدلة تشير إلى أنه كان له في فترة لاحقة عدد كبير من الحلفاء الذين ارتبط بهم في الحملات في الغرب . ولم يتم التعرف على كدرلعومر من هؤلاء الذين ورد ذكرهم على هذا النحو في أي نقش بابلي يعود إلى تاريخ مبكر ، وإن كان الاسم قد يتوافق مع شكل كودورلاجامار ، وهناك دعم كافٍ لكلا الجزأين . وفي نقش يعود تاريخه إلى وقت متأخر (حوالي 300 قبل الميلاد) تم العثور على اسم يمثل كدرلعومر بكل تأكيد ، سواء كان يُقرأ كودور–نوخجامار، أو كودور–لوغكجامار ، أو غير ذلك . ولم يتم التعرف بعد على اسم تيدال ملك جوييم على وجه اليقين ؛ ولكن يبدو أن نفس النقش يشير إلى شخص معين هو "تودخولا بن غازا"، والذي ربما يمثل تيدال . ومن المؤكد أن أريوك ملك إلاسار هو إيري أكو ابن كودور مابوك ملك لارسا الشهير . وتتفق رواية حملاتهم في الغرب مع ما نعرفه عن الموقف العام ، ولكنها لا تشكل سوى حلقة في التاريخ البابلي ، ولا يمكن الآن ربطها بشكل مرضٍ بالحركات العامة في ذلك الوقت ..

وبمجرد أن اكتمل غزو سومر وأكاد ، أظهر حمورابي نفسه كرجل دولة أكثر منه كجندي . فقد أبدى عناية غير عادية بتنمية موارد البلاد ، وبالتالي زيادة ثروات السكان وراحتهم . إن أعظم أعماله العظيمة يمكن وصفها بأفضل صورة في كلماته الرنانة. كلمات الفاتح ورجل الدولة والوطني: "حمورابي الملك القوي ، ملك بابل عندما أعطاني آنو وبيل حكم أرض سومر وأكاد ، وبصولجانهما ملأ يدي ، حفرت القناة . حمورابي ، نعمة البشر ، الذي يجلب مياه الفيضان إلى أرض سومر وأكاد . لقد جعلت ضفتيها على جانبيها أرضاً صالحة للزراعة ، ونثرت عليها بذوراً كثيرة . لقد وفرت الماء الدائم لأرض سومر وأكاد . لقد وحدت أرض سومر وأكاد ، وشعبيها المنفصلين ، ومنحتهما البركات والوفرة ، وجعلتهما يعيشان في مساكن سلمية . لم يكن هذا وعداً فارغاً قدمه للشعب قبل اتحاد سومر وأكاد تحت هيمنة بابل ، بل كان إنجازاً حقيقياً لرجل عرف كيف يربط بينه وبين بيته الملكي قلوب شعب بلد واحد . إن أعمال هذا الملك القديم تتسم بقدر عظيم من الحكمة . فلم يكن من الممكن أن يقوم بأي عمل من شأنه أن يجلب له نعمة أعظم من شق قناة لتزويد أرض شبه معدومة الأمطار بالمياه الوفيرة . وبعد شق القناة ، سار حمورابي على خطى أسلافه في بابل ، فقام بعمليات بناء واسعة النطاق في أجزاء مختلفة من البلاد . ونجد في كل جانب

أدلة على جهوده في هذا العمل . ففي بابل ذاتها أقام صومعة كبيرة لتخزين القمح في أوقات المجاعة وهو عمل من أعمال الرحمة والضرورة ، وقد لاقى اعترافاً سريعاً بين الشعوب الشرقية آنذاك كما هو الحال الآن . كما أعاد بناء المعابد المخصصة لإله الشمس في لارسا وفي سيبار ، وأعيد بناء أسوار المدينة الأخيرة مثل جبل عظيم على حد تعبيره وأثرت المدينة ببناء قناة جديدة . وقد أظهرت المعابد العظيمة في إي–ساجيلا في بابل وإيزيدا في بورسيبا المجاورة تأثير أعماله في الحجم المتزايد والجمال . وهناك أدلة أيضاً على أنه بنى لنفسه قصراً في الموقع الذي تميز الآن بخراب كلوادها، بالقرب من بغداد ..

ولكن إذا كان ملوك آشور ينظرون إلى بابل بعيون مشتاقة ، فإن الملوك اللاحقين في مدينة بابل ذاتها نظروا إلى أيام حمورابي باعتبارها العصر الذهبي لتاريخهم . لقد اعترف نبوبولاسر ونبوخذ نصر بمكانته بأشد الطرق إطراءاً ، حيث قلدا في نقوشهما الكلمات والعبارات ذاتها التي وصف بها مبانيه ، ولم يكتفوا بذلك ، بل نسخوا الشكل الدقيق لألواحه وأسلوب كتابتها . في البناء ، اتبعوا خططه ، وفي الحكم والإدارة قلدوا أساليبه . أعماله وكلماته تؤهله لرتبة المؤسس الحقيقي لبابل . حكم حمورابي خمسة وخمسين عاماً وفقًا لقوائم الملوك ، ولكن ثلاثة وأربعين عاماً وفقاً لوثيقة محلية وصلت إلينا من سلالته . عندما انتهى حكمه الطويل ، دخل ابن حمورابي في أعمال أبيه . ويبدو أن سامسو إيلونا (حوالي 2287–2253) سار على خطى حمورابي عن كثب . فهو يحدثنا عن البناء في نيبور وفي مدن أخرى بعضها لا يزال مجهولاً بالنسبة لنا . وعن زيادة مساحة بابل ذاتها ، وعن مواصلة العمل على شق القنوات والواقع أن السلام العميق الذي حققه حمورابي بالسلاح استمر طيلة حكمه وحتى عهد خلفائه . وليس لدينا نقوش تاريخية ، لأن السجلات التي نزلت من عهدهم هي ما يسمى بألواح العقود أو الأعمال التجارية ، والتي لم نتوصل بعد إلى قصة مرتبطة بها . ومن هذه الألواح نتعرف على الحضارة الرفيعة التي كانت عليها البلاد وازدهارها المستمر . ولا نستطيع أن نسجل أسماء هؤلاء الملوك ، مع تواريخهم التقريبية ، إلا إلى أن يكشف لنا أحد الاكتشافات المستقبلية عن سجلات ذات معنى تاريخي ..

أبيشوم 2252 – 2228 ق.م

أميستانا 2227 – 2203 ق.م

أميسادوقة 2202–2182

شموستانا 2181 – 2115

إن أسماء ملوك هذه السلالة غريبة للغاية عندما نفكر في أنهم كانوا حكامًا محليين لمدينة بابل . إن أصل اسم (رابو) ومعناه مشكوك فيه للغاية ، فاسما (أبيل سين) و(سين موباليت) اسمان بابليان جيدان ، ولكن الثمانية الآخرين لم

يكونوا بابليين على الإطلاق . وهذا يثير على الفور السؤال حول جنسية أو عرق هؤلاء الملوك . ويبدو أن الأسماء تشير إلى أن الرجال الذين أنجبوهم لم يكونوا بابليين ، بل كانوا من فرع آخر من العائلة الإيزيدية العظيمة . ويبدو الآن أن هذا محتمل تماماً . إن أسمائهم مرتبطة في الغالب بالفرع الكنعاني من العائلة الإيزيدية ، ويبدو من المحتمل أنهم مدينون بأصلهم لغزو بابل من قبل نفس العرق الذي سكن مرتفعات كنعان . أما كيف ومتى استقروا في بابل فلا يزال غامضاً . وفقاً لقوائم الملوك ، فقد تبعت هذه السلالة مباشرة السلالة الثانية ، والتي لا بد أنها كانت تشبه إلى حد كبير سابقتها في كل شيء . وتُسمى سلالة أورو–آزاج ، ويُفترض أن هذا يشير إلى منطقة من مدينة بابل وهذا يعني أن هذه السلالة تتكون من أمراء محليين ، نشأوا في جزء منفصل من المدينة ، والذي يُطلق عليهم هذا الاسم. فيما يلي أسماء هؤلاء الملوك وطول فترة حكمهم ..

النعمان 2150 – 2091 ق.م

كنان نبي 2090–2035 ق.م

دمكيلو شو 2034 – 2009 ق.م

عشقي بيلا 2008 – 1994 ق.م

شوش أوشي 1993–1970 ق.م

جولكي شاركور 1969 – 1915 ق.م

كيرجال درابار 1914–1865 ق.م

أدارا كالاما 1864 – 1837 ق.م

أكور أولانا 1836 – 1811 ق.م

ميلامكور كورا 1810–1803 ق.م

إيجا ميل 1802 – 1783 ق.م

إننا مدينون بهذه القائمة للملوك وطول فترة حكم كل منهم للمؤرخين البابليين . ومن المؤكد أنها قائمة مدهشة لسنوات الحكم . وبما أن ثقتنا في طول فترة حكم الملوك في الأسرة الأولى قد اهتزت إلى حد ما بعد اكتشاف السجل البابلي ، الذي ينص على أن حمورابي حكم لمدة ثلاثة وأربعين عاماً بدلاً من خمسة وخمسين عاماً ، فقد نشعر بشك معقول في دقة هذه فترات الحكم الطويلة . لم يتم العثور على أي نقوش لأي من هؤلاء الملوك ، ولم يتم الكشف عن أي وثائق تجارية مؤرخة في فترة حكمهم . وبالتالي ، لا يمكن القول إن الملوك لم يكونوا موجودين ويمكن افتراض

أن نقوشهم لا تزال موجودة في المخازن الضخمة التي تم الكشف عنها حتى الآن ، أو قد نجد بسهولة أسباباً لافتراض أن جهداً منهجياً قد بُذِل لتدمير جميع سجلاتهم . لقد افترض البعض أن الاضطرابات والحركات التي حدثت خلال الفترة الأخيرة من هذه الفترة ربما كانت السبب في إزالة كل أشكال الحكم من أيدي البابليين ونقلها إلى الغزاة من بلاد الكيشيين . ولكن على أية حال، فقد مرت فترة طويلة منذ أيام حمورابي حتى انتقال السلطة إلى أيدي الأجانب . لقد نجح حمورابي في بناء المدن بشكل جيد . فقد اعترف الشمال والجنوب معاً بسيادة خلفائه . ولقد أتاح السلام في الداخل والخارج الفرصة لممارسة الأدب والفن والعلم . ولقد أتاحت هذه الفترة الصامتة العظيمة الوقت اللازم للتقدم في كل هذه الأمور ، وهو ما تشهد عليه أعمال القرون التالية . ومن السلام والاستقرار اللذين حققهما عبقريته ، لابد أن ننتقل الآن إلى الاضطرابات التي أعقبت ذلك عندما

تغلب على نفوذه أخيراً . ولكن هذا لم يحدث إلا جزئياً ، فقد استمرت مدينة بابل التي جعلها عظيمة . ولم يكن هناك من يشكك في هيمنتها . ولم يكن هناك سوى الجهد المستمر الذي بذله الرجال لامتلاكها وكل ما تغطيه وتشتمل عليه تقاليدها ..

إن دراسة أصول الدول ليست أقل صعوبة من دراسة أصول الطبيعة الحية . فالسور العظيم الذي يقف أمام كل باحث في بدايات الأشياء ، والذي يحمل نقشاً يقول (هكذا تأتي ولا أبعد) ، يقف أيضاً أمام باحث أصول الممالك المختلفة في بابل . وقد يكون من المستحيل دائماً التوصل إلى أي صورة لبدايات الحضارة في بابل من شأنها أن ترضي الرغبة في الحصول على صورة واضحة وحيوية . ومهما كان ما قد يحققه الباحثون في المستقبل ، فمن المستحيل الآن أن يفعلوا أكثر من تقديم الخطوط العريضة للأحداث في الماضي الغامض لبابل المبكرة إذا استرجعنا أمامنا أرض بابل ، ونقلنا أنفسنا إلى الوراء حتى نصل إلى فترة تزيد على أربعة آلاف وخمسمائة عام قبل الميلاد ، فسوف نتمكن من تمييز هنا وهناك علامات الحياة والمجتمع والحكومة في مدن معينة . لقد وصلت الحضارة بالفعل إلى نقطة عالية ، وفنون الحياة متقدمة بشكل كبير ، والرجال قادرون على تدوين أفكارهم وأعمالهم بلغة مفهومة وفي شكل دائم . إن كل هذه الأمور تفترض فترة طويلة من التطور تمتد إلى آلاف السنين من الزمن غير المسجل . وفي هذه الفترة لم تكن هناك ممالك كبيرة تضم العديد من المدن ، بقوانينها وعاداتها ، وأراضيها الخاضعة لها ودولها التي تدفع الجزية . وفي كل أنحاء الأرض لا نرى إلا مدناً مقسمة في الحكم ، وربما في التعامل ، ولكن مع ذلك فإن الوعد بممالك لم يولد بعد . وفي بابل نعلم بوجود مدن أجاد، وبابل ، وكوثى ، وكيش ، وجيشبان ، وشيربورلا (التي سميت فيما بعد لاجاش) ، ومارِكا ، وغيرها من المدن الأقل شهرة . وفي كل من هذه المدن كانت العبادة تُقدم إلى إله محلي يعتبره أتباعه المخلصون بعلاً أو رباً ، وهو الإله الأقوى ، الذي يحق له أن يطلب العبادة أيضاً من سكان المدن الأخرى . ويصبح هذا الاعتقاد دافعاً يدفع سكان المدينة إلى الخروج لغزو مدن أخرى وبالتالي توسيع نطاق سلطان إلههم . إن كان أهل بابل قادرين على قهر أهل كوثى ، فهل كان هذا دليلاً على أن الإله الأقوى كان وراء جيوشهم ، وألا ينبغي لشعوب أخرى أن تعبده أيضاً ؟ ولكن كانت هناك دوافع أخرى للغزو . فقد كانت هناك الحاجة الماسة إلى

الخبز . الحاجة الأكثر إلحاحاً في كل العصور. وكان من الطبيعي أن يسعى أولئك الذين يسيطرون على الأجزاء الفقيرة من البلاد إلى الاستحواذ على الأجزاء الأفضل إما للسكنى فيها أو لفرض الجزية عليها . كما انضمت الرغبة في السلطة ، وهي دافع بشري خالص ، إلى التأثيرين الآخرين في وقت مبكر للغاية . فكان لزاماً على الحاكم في بابل أن يقهر جاره الأقرب حتى يتسنى له أن يحصل على السلطة على البشر وأن يكتسب اسماً بينهم . وبدافع من الدين والجوع والطموح ، بدأ أهل بابل ، الذين سكنوا مدناً منفصلة ، في إضافة مدينة إلى أخرى ، وتركيز السلطة في أيدي الملوك . وهنا يكمن أصل الإمبراطورية العظيمة التي كان لابد أن تهيمن فيما بعد على الأرض كلها ، لأن هذه الممالك الصغيرة التي تشكلت على هذا النحو تتحد فيما بعد تحت قيادة مملكة واحدة وتأسست الإمبراطورية ..

في أقدم العصور التي وصلت إلينا سجلاتها المكتوبة كان اسم بابل هو كينجي . أي (المملكة المتحدة) . وحتى في ذلك الوقت كانت مياه النهر تنقل إلى الحقول والمدن في قنوات مبنية صناعياً ، بينما كان القصب هو الشكل الأكثر تميزاً للحياة النباتية ، وكان ينمو بأعداد كبيرة على طول مجاري المياه . وقبل أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عام من ظهور المسيح عاش في أرض كينجي رجل يكتب اسمه إن-شاج-كوش آنا ، ويسمي نفسه سيد كينجي ونحن لا نعرف عنه إلا القليل ، ولكن يبدو من المحتمل أن مملكته الصغيرة كانت تضم عدة مدن ، ربما كانت إورك عاصمتها ، وكانت نيبور بالتأكيد مركزها الديني الإيزيدي الرئيسي . وحتى في هذا الوقت المبكر كان هناك معبد في نيبور مخصص للإله العظيم إنليل آدي ، وكان يتولى إدارته كبير خدم الإله ، الذي كان يتحكم في عبادة المعبد ويحمي قدسيته إذا لزم الأمر ، وكان يعتبر حاكمه . كان لقب حاكم المعبد ، هذا الكاهن الرئيس هو كوجك . ومن الطبيعي أن الرجل الذي يشغل مثل هذا المنصب الديني المهم كان يكتسب سلطة سياسية في كثير من الأحيان . وإذا كان الإله الذي يمثله هو إله تجلت قوته في ازدهار عابديه في الحرب أو التجارة ، فمن الطبيعي أن تخضع المدن المجاورة لحمايته المجيدة ، وأن يقف كوتشاك في علاقة حاكم بها . والآن كان إن شاج كوش آنا هو كوجك إنليل ، وكان شرف ذلك الإله في رعايته . لقد كان سومريا ، أو ربما كان فوق من يمكننا تصوره ، أو ربما كان من عرق مختلط ، لأن هذا الخليط من الدماء كان قد بدأ بالفعل كما يتضح من الآثار المعاصرة . ولكن مهما كانت فصيلة دمه ، فإن شعبه كان سومريا ، والحضارة التي حكمها كانت سومرية أيضا . ولكن حتى في هذا الوقت المبكر كانت حيوية السومريين في طريقها إلى الزوال ، وكان اليوم الذي سيظهر فيه شعب جديد أكثر قوة يطرد السومريين من تراثهم ويستولي عليه في مكانهم مهدداً . وكان بعض أفراد هذا العرق قد استقروا بالفعل في الأراضي السومرية في الجنوب ، وكان آخرون منهم يمتلكون بالفعل المجال الشمالي العظيم ، الذي كان ينتمي ذات يوم إلى السومريين . ومن هذه الفترة التي تنتمي إليها إن شاج كوش آنا نسمع أصداء عديدة للصراع الذي بدأ بالفعل من أجل الاستيلاء على كل بلاد بابل . وفي حوالي هذه الفترة ينتمي نقش مكسور كتبه سيد آخر من كينجي (المملكة المتحدة) ، الذي كان يحاول استعادة جزء من شمال بابل الذي كان بالفعل في حوزة هؤلاء الغزاة الجدد . وكان هؤلاء الغزاة من الساميين ، الذين ربما كان موطنهم الأصلي هو شبه الجزيرة العربية ، ولكنهم استقروا الآن لبعض الوقت شمال غرب بابل وربما

في بلاد ما بين النهرين. وكانوا يطمعون في التربة الطميية الغنية التي كان البابليون يعيشون عليها فضلاً عن المدن الجميلة التي كانت تنتشر هنا وهناك. ولعل السومريين كانوا قد امتلكوا ذات يوم هذه الأرض التي كانوا يقيمون فيها الآن ، ولكنهم طردوا منها بسبب تقدمهم المتواصل . ويبدو من المحتمل أن مدينة غشبان كانت من أقدم ممتلكاتهم ، وأنهم أضافوا إليها فيما بعد مدينة كيش ، التي أصبحت المدينة الرئيسية لمملكتهم الناشئة . وبينما كان إن شاج كوش آنا سيداً على المملكة السومرية في الجنوب ، كانت مملكة كيش تهدد باجتياح بابل بأكملها. وكان أحد خلفائه ، أو ربما أحد أسلافه ، هو الذي هاجم إن أوجون ملك كيش . وجاء النصر إلى السومريين ، وعاد الملك ، الذي لم يُعرف اسمه بعد ، إلى وطنه ، حاملاً معه غنائم السامي المهزوم . (تمثاله ، وفضته اللامعة ، وأوانيه ، وممتلكاته) . ووضعها قرباناً في حرم الإله العظيم إنليل ، الذي منحه النصر . قد يفتخر ملك كينجي بالنصر الذي من شأنه أن يوقف تقدم الغزاة الساميين لفترة من الوقت على الأقل ..

ولكن هذا لم يكن سوى نكسة مؤقتة لهذا الشعب . فقد اكتسب السومريون قوة جديدة من عِرق جديد ، وسرعان ما أنجبوا زعيماً قادراً على توجيه الضربة الوحيدة اللازمة لتدمير الكومنولث السومري إلى الأبد . وكان هناك كوجك من جيشبان ، يُدعى أوكوش (عكوش) ، وكان ابنه لوغالزاغيسي هو الذي نزل إلى جنوب بابل عندما تولى الحكم على كيش وجيشبان واجتاحها . ولعل هذا كان إنجازاً سهلاً ، لأن عمل السومريين كان قد تم بالفعل . ومع ذلك فقد كانت حياتهم المهنية نبيلة، وكان الشعب الذي اخترع نظاماً للكتابة خدم الغزاة لآلاف السنين شعباً ترك بصمة عميقة على تاريخ العالم. وفي حوالي عام 4000 قبل الميلاد ، جعل لوغالزاغيسي من مدينة أريك عاصمة لدولة بابل الموحدة الآن ، وأصبحت نيبور على الفور المركز الرئيسي للحياة الدينية في البلاد . لقد استخدم الفاتح لغة السومريين للاحتفال بانتصاراته ، وكان يشكر آلهتهم على انتصاراته. لقد كانوا هم الذين دعوه إلى حكم كينجي ومنحوه سلطة أعظم . إن كلماته تتوهج بالمشاعر عندما يقول (عندما تولى إنليل ، سيد الأراضي ، مملكة العالم للوغالزاكيسي ، ومنحه النجاح أمام العالم ، عندما ملأ الأرض بقوته ، (و) أخضع البلاد من شروق الشمس إلى غروبها في ذلك الوقت قام بتقويم مساره من البحر السفلي لنهر دجلة والفرات إلى البحر العلوي ، ومنحه سلطة كل شيء (؟) من شروق الشمس إلى غروبها ، وجعل البلدان تسكن في سلام . لقد بنى لوغالزاغيسي إمبراطورية صغيرة بضربة واحدة ، ويبدأ نقشه المتبجح بقائمة طويلة من الألقاب (لوغالزاغيسي ، ملك إريك ، ملك العالم ، كاهن آنا ، بطل نيدابا ، ابن أوكوش ، كوجك من جيشبان ، بطل نيدابا ، الذي كان موضع تقدير وإعجاب في عين لو–جالكوركورا (أي إنليل) ، كوجك العظيم إنليل) . وامتدت قوة اسمه حتى إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، رغم أنه لم يحاول بالطبع أن يحكم منطقة شاسعة إلى هذا الحد . وخلف لوغالزاغيسي على العرش ابنه لوغال–كيسالسي، وبدا الأمر لبعض الوقت وكأن مملكة السومريين قد اندثرت إلى الأبد ، وأن ما كان ينتظرها هو الاندماج السلمي في الحياة السامية . ولكن المملكة التي تبنى ببطء على مر العصور غالباً ما تبذل أكثر من جهد واحد للحفاظ على حياتها ، وهذا ما حدث مع المملكة السومرية ..

ولعل رد الفعل بدأ أثناء حياة لوغال-كيسالسي. وقد عثر على نواة هذا الرد في مملكة قديمة ، مملكة لكش ، التي كانت سنجار ، كبرى مدنها ، في جنوب بابل . ولا نعرف من الذي وضع أسس أي من المدينتين أو المملكتين . ولكننا نجدهما في كامل قوتهما وكرامتهما ، في نحو عام 4500 قبل الميلاد . وكان أوروكاجينا ملك سومر ، وكان مشغولاً ببناء وترميم المعابد وشق قناة لتزويد مدينته بالمياه . ولكننا لا نلقي نظرة خاطفة على أعماله في الماضي البعيد ، ثم يختفي ، ولبعض الوقت ، ربما لجيل أو أكثر ، لا نسمع شيئاً عن مدينته أو مملكته . ثم يظهر ملك جديد في سنجار ، وهو أور-نينا . ومثل أوروكاجينا ، كان أيضاً منشئاً للمعابد ، وكان يجلب الأخشاب من أجل بنائها من ماجان . شبه جزيرة سيناء . ولم يرد ذكر للحرب في أي من نقوشه الصغيرة ، ويبدو أن السلام المتواصل ساد في عهده . وخلفه ابنه أكورغال ، الذي لم يصل إلينا أي من نقوشه . وبعده جاء ابنه إياناتوم ، الذي شعر بشدة بالضغط المتزايد من جانب الجحافل السامية ، وعزم على توجيه ضربة ضد جيشبان وسيطرتها على بابل . وانتصر السومريون ، وظلت المعركة الدموية مشهورة لفترة طويلة في سجلات شعب يحتضر . وعند عودته ، مرتدياً شرفاً ، أقام إياناتوم في معبد إلهه نيو-سونجير لوحة تذكارية رائعة تخليداً لذكرى انتصاره . وعلى أحد وجوهها الحجرية البيضاء تقف إلهتان (الإله شيشمس والإله شيسن) ، أمامهما كومة كبيرة من الأسلحة والغنائم

المأخوذة من الأعداء . وفوقهما يوجد الطوطم ، أو شعار النبالة للمدينة نسر ذو رأسين فوق نصفي أسد موضوعين ظهراً لظهر . وعلى الجانب الآخر من اللوحة نرى إياناتوم واقفاً في مركبته الحربية ، وفي يده رمح كبير ، يتبعه جنوده وهم يهاجمون العدو. وتغطي جثث أعدائه السهل ، وتقاتل النسور بعضها بعضاً وتلتهم رؤوس وأرجل وأذرع العدو المهزوم . ورغم فظاظة هذا الإعدام ، إلا أنه يشهد على الحضارة الرفيعة ، لأن مثل هذا الإعدام لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لممارسة طويلة في الفن التشكيلي . فبضربة واحدة حرر إياناتوم أور وأوروك من الغزاة الساميين ، وأعطى حياة جديدة للكومنولث السومري الذي كان على وشك الموت . وظهرت على الفور طاقة النصر الجديدة ، فقد غُزِيت عيلام وأُعيدت السيادة السومرية بالكامل تقريباً على كامل بابل والأراضي التابعة لها. والواقع أن السجلات البسيطة لأعماله تجعل إياناتوم واحداً من أعظم الفاتحين في الماضي البعيد . وقد خلفه أخوه إن-أنا-توما الأول ، وخلفه ابنه إنتيمينا ، الذي ترك لنا مزهرية فضية جميلة عليها نقش مختصر ، فضلاً عن شظايا من المزهريات التي قدمها للإله العظيم إنليل في نيبور. وبعده جاء ابنه إن-أنا-توما الثاني ، الذي ظل حتى هذا الوقت مجرد شخصية غامضة أمامنا . ومعه فقدنا رؤية مملكة لجش الصغيرة لفترة طويلة ، وانتقل كل اهتمامنا مرة أخرى إلى الممالك السامية في الشمال ..

وفي حوالي عام 3800 قبل الميلاد ، نلقي نظرة خاطفة على فاتح آخر في بابل . ففي نيبور عُثر على واحد وستين قطعة من المزهريات تحمل اسم الملك ألوشار . وقد نقش على قطع هذه المزهريات نقشاً كاملاً يقول (لقد أهداها ألوشار ملك العالم إلى إيزيد من غنيمة بارا عندما أخضع باراسى) . ويوضح هذا النقش حقيقة مهمة مفادها أن ملكاً كان يعيش على الأرجح في كيش قد غزا جزءاً من الأرض ، أرض باراسى (أو باراسي) غير المعروفة ، حيث

أحضر منها مزهريات رخامية فاخرة وأهداها لآلهة بابل . ومن الأهمية بمكان أن تكون هذه المزهريات مكرسة لآلهة نيبور وسيبار ، لأننا نجد في هذا دلائل على وجود مملكة شملت شمال بابل ونيبور وسيبار ، وامتد نفوذها حتى إلى أرض عيلام التي بناها السومريون في الأصل . ومع هذه الأشعة القليلة الخافتة من الضوء القادمة من الشمال ومملكته ، يطبق الظلام مرة أخرى على بابل المبكرة ..

مرة أخرى ، وفي نفس الفترة تقريباً ، نرى ضوءًا ساطعًا في فجر التاريخ الرمادي ، وهذه المرة ليس من بابل ، بل من جوتي ، بلد الجبل مارغا آدي ، الذي كان ينحدر منه نهرا دجلة والفرات إلى آشور وبابل . هنا حكم ملك تقرأ كلماته على النحو التالي(لاسيراب (؟) ملك جوتي العظيم ، ... صنعه وقدمه) .

من يزيل هذا الحجر المنقوش ويكتب (ذكر) اسمه عليه ، فإن أساسه قد يمزقه جوتي ونينا وسين ويبيد نسله ، وقد لا ينجح أي شيء يقوم به . هذا النص القصير ، في حد ذاته ، موجز وغير مهم ، يقدم لنا أرضاً أخرى خاضعة لتأثيرات سامية في فترة مبكرة جداً . لقد ترك لنا مانيشتوسو، وهو ملك آخر من نفس الفترة ، رأس هراوة ونصب تذكاري كنصب تذكاري لسيادته ، ومع ذلك فإننا لا نملك سوى القليل من الأدلة على شخصيته . وفي مكان بعيد أيضاً عن شمال بابل ، في منطقة جبلية في الشمال الشرقي ، كانت توجد في نفس الفترة تقريباً مملكة تابعة للسومريين أخرى ، كان أنو بانيني ملكاً عليها . وكانت مملكته مملكة لولوبي ، وكان هو حاكماً سومرياً . وفي سيري بول ، على الحدود بين مارغا آدي وأرمينيا ، عُثر على صورته المنحوتة مع نقش يدعو إلى إنزال اللعنة على كل من يزعج هذه الصور وهذا الحجر المنقوش ..

وهنا نجد العديد من الدلائل على قوة وثقافة السومريين في شمال بابل والأراضي المجاورة لها . وربما يصبح أحد مراكز النفوذ هذه مركزاً لمملكة عظيمة تهاجم السومريين من جديد في الجنوب . ولكن هذا كان محجوزاً لمدينة لم تنتج حتى ذلك الوقت أي فاتح عظيم . ومن مدينة أجاد خرج رجل من أصل سامي عظيم بما يكفي لمحاولة وإنجاز مهمة إنهاء النفوذ السياسي للسومريين نهائياً . اسمه شارغاني شار علي ، ولكنه يُدعى أيضاً شارجينا ، وهو معروف لنا باسم سرجون الأول . ومعظم ما قيل عنه يأتي إلينا في نص أسطوري . بالكاد . ولكن القليل من التنقيب في هذا المصدر يكشف لنا بسرعة عن أساسه التاريخي . والنص ، الذي توجد منه نسختان مشوهتان ، يعود إلى تاريخ لاحق كثيراً لتاريخ الملك نفسه . وربما كتب في القرن الثامن قبل الميلاد ، ويزعم أنه نسخة من نقش وجد على تمثال للملك العظيم نبو خذ نصّر . تبدأ القصة على هذا النحو (شارغينا ، الملك القوي ، ملك آكاد ، أنا . كانت أمي فقيرة ، ولم أكن أعرف والدي ، كان شقيق والدي يعيش في الجبال . كانت مدينتي أوبيراني ، التي تقع على ضفة نهر الفرات . حملتني أمي ، التي كانت فقيرة ، وأنجبتني سراً ، وضعتني في سلة من القصب ، وأغلقت فمها بالزفت ، وتركتني للنهر ، الذي لم يغمرني . حملني النهر وأتى بي إلى أكي ، الري . استقبلني أكي، الري ، بطيبة قلبه . رباني أكي ، الري حتى كنت صبياً . جعلني أكي ، الري ، بستانيًا . كانت خدمتي كبستاني مرضية لعشتار وأصبحت ملكاً ، وخلال... أربع سنوات ، كان لي سلطان ملكي . أمرت الناس ذوي الرؤوس السوداء وحكمتهم) . في

الأسطر المتقطعة التي تلي الملك إن هذا السرد لا يسمح لنا بتكوين فكرة واضحة عن حملاته ، ونحن مضطرون إلى الرجوع إلى مصدر يبدو للوهلة الأولى أنه لا يحتوي على مادة تاريخية حقيقية مثل اللوح الأسطوري الذي استشهدنا به للتو . إنه لوح فلكي يحاول الكاتب فيه إثبات بالأمثلة التاريخية أن العلامات مهمة للإشارة إلى نتيجة حملة ما. كانت كل حملة تسبقها علامة ما ، وبعد أن يتم سردها يشرح الكاتب أن سرجون غزا عيلام وانتصر على العيلاميين ، أو أنه سار إلى الغرب واستولى على أرباع العالم الأربعة ، أو أنه تغلب على انتفاضة رعيته في أجاد . إن حقيقة وجود هذه التفاصيل في نص فلكي تجعل المرء حذرًا من الاعتماد عليها كثيراً من ناحية أخرى ، فهي معقولة تمامًا في حد ذاتها ، ويجب أن نقبلها على الفور من أي نقش آخر ..

لقد زعم البعض أن شارجينا أو سرجون وأعماله العظيمة مجرد أسطورية ، بينما زعم آخرون أن أعماله قد تم استنباطها من أحد الملوك اللاحقين ، وبالتالي فهي تمتلك قيمة تاريخية مهمة . ولكن لا يوجد سبب وجيه للشك في الحقائق الرئيسية المتعلقة بإنجازات الملك . إن اكتشاف العديد من نقوشه يؤكد وجوده بالفعل . ويقرأ أحد هذه النقوش على النحو التالي (شارجاني-شار-علي ، ابن إيتيبل ، الملك العظيم لأجادي وثيو بيل ، باني معبد إيكور ، معبد آدي في نيبور) ، وبالتالي فهو يشهد ليس فقط على وجوده التاريخي ، بل وأيضاً على عمله كباني . وقد عُثر على دليل ملموس على ذلك في نيبور . ففي عمق التلة عُثر على بقايا رصيف يتكون من صفين من الطوب المحروق ذي الحجم والقوالب المتماثلين . يبلغ قياس كل طوبة حوالي خمسين سنتيمترًا مربعًا وسمكها ثمانية سنتيمترات . إن أغلب الطوب في هذا الرصيف مختوم ، ويحتوي عدد منها على نقش لشارجاني شار علي ، الذي يُظهِر بالتالي أنه وضع هذا البناء الضخم ، الذي شارك فيه ابنه لاحقاً أيضاً . لا يوجد سبب وجيه للشك في أنه كان فاتحاً عظيماً ، فقد تم تقديم الشرق والجنوب والغرب . من ناحية أخرى ، عندما تشير نفس هذه الألواح إلى ابنه وخليفته ، فيمكن اختبارها من خلال نصوص الملك المشار إليه ، وإثبات أنها جديرة بالتصديق . تشير الإشارات إلى هذه الحملات إلى أنها كانت غارات تهدف إلى الحصول على الغنائم لزيادة ثروة وجمال مدنه الأصلية . لا ينبغي أن نفترض أنه نجح في توسيع سيطرته على أراضٍ بعيدة مثل شمال سوريا ، ولكن تأمين عوارض الأرز الكبيرة من لبنان كان الهدف الرئيسي لتلك الحملة . سرعان ما تم العثور على استخدام لعوارض الأرز هذه في المباني . لقد بنى سرجون معبد إيكور العظيم للإله بل في نيبور ومعبد أولبار للإلهة أنونيت في أجاد . كما نجد إشارات أخرى إلى المباني التي أقامها في نقوش لاحقة . لقد كان في براعته الحربية نموذجاً لملك آشوري حمل اسمه بعد قرون من الزمان ؛ وفي مهاراته في البناء قلده سلسلة طويلة من الملوك البابليين حتى نبونيد ، الذي سعى بجد للعثور على أحجار الأساس التي وضعها وفي لوح الفأل هناك دليل على الإيمان الساطع بعلامات السماء ، ولكن هذا لا يشكل بالتأكيد سبباً للشك في كل ما ورد فيه عن سرجون . إنه شخصية وحيدة ، في فجر ذهبي بارز من التاريخ البشري ، يتجول عبر المشهد بإعجاب حتى من أعداءه ، ويجلب رجالاً آخرين إلى تبجيل اسم عشتار ، ويجعل شخصيته مخيفة لقد كام ملكاً من الملوك الذين لم يتكرروا على التاريخ البشري بالفعل ..

لقد خلف سرجون ابنه نارام سين (حوالي 3750 ق.م.)، والذي يبدو أنه حافظ إلى حد كبير على مجد حكم والده . إن سجلات حكمه مجزأة ، ولكن كل جزء صغير يشهد على أهميتها . ويقال إنه غزا مدينة أبيراك ، واستعبد الناس بعد أن قتل ملكهم ريش- ادي . وكانت حملته الحربية الرئيسية المعروفة لنا إلى أرض ماجان ، والتي يبدو أنها تقع في شبه جزيرة العرب ، بالقرب من شبه جزيرة سيناء . ولكنه كان أكثر شهرة كباني ، حيث أعاد بناء المعابد في نيبور وأجاد ، وأقام على نفقته الخاصة معبد إله الشمس شيشمس في سيبار . وإلى جانب هذه المعابد ، وضع هذا الملك العظيم الأساسات وأقام السور الخارجي الضخم لنيبور . السور العظيم نيميت–مردوك. وقد حفر أساساته أولاً على عمق خمسة أمتار تحت مستوى الأرض حتى وصل إلى الطين الصلب (وعلى هذا الأساس ، بنى من الطين المخلوط بالقش المقطوع ، ووضعه على شكل كتلة بجوانب منحدرة أو متضررة تقريباً بارتفاع إجمالي يبلغ حوالي 5.5 متر . وعلى قمة هذه القاعدة الكبيرة ، التي يبلغ عرضها حوالي 13.75 متراً ، شيد جدار بنفس العرض الهائل . وكانت الطوب رمادية اللون ، صلبة الملمس ، وذات شكل منتظم . وهي لا تضاهيها في الجودة أي عمل صنعه أي ملك لاحق . وكانت كل من هذه الطوب تحمل اسم الملك وألقابه . ولابد أن الملك الذي كان قادرًا على بناء مثل هذه التحصينات الضخمة ، أو قام بذلك ، كان يمتلك مملكة ذات أهمية سياسية كبيرة ، ولكن من المستحيل الآن تكوين فكرة واضحة جدًا عن مدى اتساعها . كانت مدينته الرئيسية ، أو على الأقل مدينته الأصلية، أجاد ، لكنه يطلق على نفسه ملك أركان العالم الأربعة ، في إشارة إلى السيادة العالمية التي اعتبر نفسه قد حققها . لا عجب إذن أن يصبح ملك نال شرفاً بين البشر باعتباره بانياً لأعمال عظيمة ومنظماً لمملكة عظيمة ، ثم يعبده أتباعه باعتباره خالقاً . ولا نعرف شيئًا عن خلفاء نارام سين باستثناء ابنه بينجاني شار علي . وتختفي مملكة سرجون وابنه عن أعيننا بنفس السرعة التي ظهرت بها ، ولا تترك أي أثر لآثارها ..

إن النقوش التي كتبها جوديا تشبه نقوش أور باو في موضوعاتها ، ولكنها تعطينا لمحة عابرة عن مجال أوسع . فقد خلف أور باو على العرش ناماغاني ، صهره ، الذي ربما خلفه أور نين غال ، ثم جاءت فترة انقطاع في القائمة ليملأها ملك أو أكثر لا نعرفهم بعد . وبعد هذه الفجوة جاء جوديا العظيم ، وهو ملك عظيم بما يكفي لإثبات أنه حتى الآن لا يمكن استبعاد العامل السومري من تاريخ العالم كعامل مؤثر في خلق الحضارة من جذورها . ومثل أور باو ، كان جوديا بانياً عظيماً ، ونقوشه مليئة بعمله الرائع . وفي بناء معابده، استرشد جوديا برؤية إلهية . فقد ظهرت له الإلهة نينا في حلم وأظهرت له النموذج الكامل لمبنى كان سيشيده تكريماً لها . وفي تنفيذ هذه الخطة ، أحضر من ماجان (شمال شرق شبه الجزيرة العربية) الدولريت الصلب الجميل الذي نحت منه تماثيله . لقد جلب جوديا من أرض ملكخا (شمال غرب شبه الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء) الذهب والأحجار الكريمة . ولم تكن هذه الأراضي بعيدة عن أرضه ، ولكن من المدهش أن نقرأ أنه جلب من جبل أمانوس في شمال غرب سوريا عوارض ضخمة من خشب الأرز ، ومن الجبال المجاورة الأخرى استخرج أحجاراً ضخمة لبناء معابده . كل هذه الحقائق تلقي ضوءاً ساطعاً على حضارة عصره . لم تكن تلك الحضارة عادية بحيث يمكنها إنجاز عمل يتطلب مثل هذه المهارة والقوة مثل استخراج أو قطع هذه المواد ونقلها عبر مثل هذه المسافات . يجب أن نفترض أن فترة طويلة

لتطورها . قرون فقط وليس مجرد عقود من الزمن كانت كافية كفترة إعداد لمثل هذه الإنجازات . ولكن يجب أن نلاحظ أيضاً أن تأمين هذه المواد كان لابد أن ينطوي على استخدام القوة المسلحة . ربما لم يكن سكان أمانوس الأقوياء ليسلموا أخشابهم دون مقاومة . هناك إشارة صغيرة هنا إلى شجاعة جوديا في استخدام السلاح ، حيث غزا منطقة أنشان في عيلام . إن هذه الإشارة الوحيدة إلى الغزو مفيدة ، لأنها ربما كانت تمثل فقط فتوحات أخرى قام بها نفس البنّاء والمحارب . ولكن على الرغم من هذا الاستنتاج فإن الانطباع العام الذي تركه حكمه هو أنه كان يسوده السلام ، والتقدم في الحضارة ، والطقوس الرائعة في عبادة الآلهة، والتقدم في فن الكتابة . ولا يمكن مقارنته كمحارب بسرجون الأغادي ؛ أما كممثل للحضارة فهو يتفوق عليه كثيراً . كان خليفة جوديا هو أورنيجيرسو ، وتبعه بعد فترة أكورغال الثاني ، ولوكاني ، وغلالاما . ولكن هؤلاء الحكام اللاحقين لم يعودوا أحراراً في فعل إرادتهم كما كان جوديا . ومعه انقضت استقلال مملكة سومر القديمة مرة أخرى ..

لقد كانت حضارة لكش ، كما رأينا ، حضارة عالية المستوى . ومن الدلائل التي نمتلكها في الوقت الحاضر يبدو أنها كانت حضارة أعلى بكثير من حضارة آكاد ، التي تغلبت عليها لفترة من الوقت . ولكنها لم تكن حضارة سامية . فكل هذه النقوش التي تتحدث عن ملوك لكش وعن معابدها مكتوبة باللغة السومرية وليس بلغة سامية ويبدو أن هذا يشير أيضاً إلى الاستنتاج بأن الساميين دخلوا بابل من الشمال وليس من الجنوب ..

في مدينة تتمتع بموقع ملائم مثل أور ، يبدو تطور التفوق السياسي والتجاري أمراً طبيعياً تماماً . حتى قبل أيام سرجون ، كانت مدينة أور لها وجود وحكومة خاصة بها . تنتمي إلى تلك الفترة المبكرة المزهريات المكتوبة بشكل بدائي من الحجر الجيري والصواعد التي تحمل اسم وألقاب لوغال كيجوب نيدون (حوالي 3900 قبل الميلاد) ، ملك إريك ، ملك أور . لا نعرف شيئًا عن عمله في بناء المدينة ، ولا عن عمل ابنه وخليفته ، لوغال كيسالسي. بعد الانتهاء من عملهم والتي لا يمكن تقديرها بثمن من الجانبين العلمي والتاريخي ، تم استيعاب مدينة أور تارة في واحدة وتارة أخرى في واحدة من الممالك الصغيرة والكبيرة ، التي كانت تسيطر على جنوب بابل والتي لم ينصفها أغلب من ترجم ألواحها وأبقى الجزء الأكبر منها سرّياً ومحتكراً ..

بعد حوالي ألف عام من هذه الفترة ، استولت مدينة أور مرة أخرى على مكانة مهيمن من خلال جهود خاصة من قبل ملكين ، أور جور ودنجي . ولقد ترك الأول العديد من الأدلة على قوته سواء في النقوش أو في المباني . ومن المرجح أن يكون أور جور قد نجح في دمج كل أراضي بابل الشمالية والجنوبية في كيان سياسي واحد ، واتخذ لقبًا لم يحمله أحد قبل عصره . فهو يطلق على نفسه اسم ملك سومر وآكاد . وفي هذا اللقب جمع بين كلمتين تحتوي كل منهما على تاريخ يمتد إلى الماضي البعيد . فكلمة سومر، المشتقة من كلمة سنجير ، كما رأينا بالفعل ، كانت تمثل الحضارة السومرية القديمة ، في حين جاءت كلمة آكاد من آجاد ، المدينة التي كانت ذات يوم زعيمة الحركة الإيزيدية الجديدة التي حلت محلها. وفي هذه المملكة الجديدة قد نرى أول خطوة واضحة نحو تشكيل الإمبراطورية

العظيمة التي جاءت لاحقًا لتشكل إمتداداً لا ينضب في التاريخ الايزيدي الذي شكل معالم الحضارة البدائية في سومر

وفي كل أنحاء هذه المملكة التي أسسها ، بنى أور جور هياكل عظيمة للحماية ، أو للاستخدام المدني ، أو لعبادة الآلهة . ففي مدينته الرئيسية أور بنى المعبد العظيم لإله القمر شيسين ؛ وفي مدينة إريك بنى معبداً للإلهة نينا (خاتونافاخرا) . وفي لارسا أيضاً توجد أدلة لا لبس فيها على أنه هو الذي بنى هناك ضريح إله الشمس (شيشامس) . وعندما يتم حفر هذه المدن بطريقة منهجية، سنكون قادرين على الحصول على فكرة عن نشاطه في هذا الأمر . وفي الوقت الحاضر، يمكننا تكوين صورة أكثر اكتمالاً لأعماله في نيبور مقارنة بأور . ففي نيبور بنى زقورة عظيمة ، أو برجاً هرمي الشكل ، كانت قاعدته متوازي أضلاع قائم الزاوية يبلغ طوله تسعة وخمسين متراً تقريباً ، وعرضه تسعة وثلاثين متراً . وكان أطول ضلعين للزقورة يواجهان الشمال الغربي والجنوب الشرقي على التوالي ، وكانت أركانه الأربعة تشير تقريباً إلى النقاط الأساسية الأربع ، لقد تم تتبع ثلاث من هذه المراحل وكشفها ومن غير المحتمل أن تكون مراحل أخرى قد وجدت في السابق أعلاه . كان الطابق الأدنى يبلغ ارتفاعه نحو ستة أمتار وثلث المتر ، في حين أن الطابق الثاني (الذي يتراجع قليلاً عن حافة الطابق الأول) والثالث قد دُمر تماماً بحيث لم يعد من الممكن تحديد أبعاده الأصلية . ويبدو الزقورة بأكملها وكأنها مذبح ضخم كما بنى أور جور الأسوار الدفاعية لأور ، والذي بدا وكأنه يبني للأبد . لا نسمع شيئاً عن حروبه وفتوحاته ، ولكن كما قيل من قبل في حالة مماثلة ، فمن غير المحتمل أن يكون حكمه سلمياً على هذا النحو . ربما تم بناؤه بالسيف ، ولابد أن السيف هو الجاذب في حالات متكررة ..

لقد خلف أور جور ابنه دنجي ، الذي كان أيضاً لا يعرف الكلل في عمليات البناء وقد أكمل بناء معبد إله القمر (ملاك فخر الدين) في أور ، وبنى أيضاً في إريك ولجش وكوثى . وهذان الاسمان لأور جور ودنجي هما كل ما تبقى من سلالة كبيرة ربما كانت في أور . ويبدو أن مبانيهما وألقابهما تشير إلى أنهما كانا يتمتعان بنفوذ اسمي على الأقل على جزء كبير من بابل . ومع ذلك فمن المحتمل أنهما كانا راضيين بتلقي الجزية بانتظام ، ولم يحاولا السيطرة على كل أشكال الحياة في المدن الخاضعة لهما . كان لكل من هذه المدن حاكمها المحلي الخاص ، الذي كان خاضعاً للقوة المتفوقة لملك عظيم ، كان بالنسبة له بمثابة سيد ، ولكن في أقل مظاهر الضعف كان أي من هؤلاء الحكام مستعداً لتأسيس استقلاله الخاص ، وإذا كان قوياً بما يكفي لإجبار جيرانه أيضاً على قبوله كسيد . عندما أصبحت سلالة أور جور ودنجي غير قادرة على الحفاظ على مكانتها في بابل ، لم تعد بحاجة إلى رجال أقوياء بما يكفي للاستيلاء عليها ..

وبعد مرور بعض الوقت ، عندما نتمكن من جديد ، من خلال المواد الأثرية ، من رؤية الحياة السياسية في بابل ، نجد أن السيادة انتقلت إلى أيدي مدينة إيسن في وقت من الأوقات . والملوك الذين وصلت إلينا أسماؤهم من

إيسن هم إشبيجارا ، وأور نينيب ، وليبت عشتار ، وبور سين الأول ، وإشمي داجان ، الذين حكموا حوالي عام 2500 قبل الميلاد . واللقب الرئيسي الذي استخدمه هؤلاء هو ملك إيسن ، ولكن بعضهم يستخدم اللقب الأكبر ، ملك سومر وأكاد . وجميعهم يستخدمون أسماء مدن أخرى بالإضافة إلى اسم إيسن ، مثل نيبور ، وأور ، وإريدو ، وإورك. ولا تشير نقوشهم إلى حياة هذه المدن أو إلى الصراعات التي لا تنتهي من أجل السيادة والتي لابد وأن كانت مستمرة . ولا يضيفون إلى ألقابهم سوى إشارة عرضية إلى البناء أو الترميم . إشمي داجان هو آخر رجل من هذه السلالة يحمل لقب ملك سومر وأكاد ؛ ويعترف ابنه، إن–أنتوما ، باعتماده على ملك أور الذي يبدأ سلالة جديدة في تلك المدينة القديمة الشهيرة ..

تتكون الأسرة الثالثة من أور من دونجي الثاني ، وغونجونو ، وبور سين الثاني ، وجاميل سين ، وإين سين . بدأ هؤلاء حكمهم حوالي عام 2400 قبل الميلاد كملوك لأور ، ويضاف إلى ذلك اللقب الغريب ملك الجهات الأربع (للعالم) . أين كانت مملكة الجهات الأربع للعالم ، ولماذا يستخدم الملوك مثل هذا اللقب ؟ يظهر هذا اللقب في وقت سابق بكثير في نقش لنارام سين ، كما يُطلق على سرجون بعد حملاته الثلاث في الغرب ، بينما يحمل نقش لدونجي نفس الأسطورة الغريبة . وفي القرون اللاحقة ، حمل ملوك بابل وآشور هذا اللقب مراراً وتكراراً ويُعتقد أنه اسم مملكة ما ذات موقع جغرافي محدد وعاصمة . وقد تم تحديد موقعها في عدة أماكن في شمال بابل ، ولكن دون سبب مرضٍ . إن اللقب هو في الواقع ادعاء لنوع من السيادة العالمية . إن سرجون كان ليستخدم هذا اللقب بعد أن قام بحملات إلى الغرب وأخضع العالم المتحضر كله تحت قدميه . وربما يشير استخدام هؤلاء الملوك لهذا اللقب إلى بعض الغارات الناجحة في أقصى الغرب . وإذا كان هناك أي غارات ناجحة ، فإننا لم نصل إلى أي ذكر لها . فإلى جانب السجلات المعتادة لبنائها ، لا نملك من هذه السلالة سوى مئات الألواح التي تتضمن عقوداً ، وهي متناثرة الآن في المتاحف في مختلف أنحاء العالم تقريباً . وهذه الألواح ، التي لا تثير الاهتمام في حد ذاتها ، هي مع ذلك شهود على تطور غير عادي في الخطوط التجارية . وكانت أرض بابل تزداد ثراءً وتضع الأساس لقوة عظمى في عالم التجارة عندما انتهت هيمنتها السياسية والآن أصبحت نهاية السلالة ، ومعها نهاية حكم أور ، مغطاة بضباب الماضي ..

وفي نفس الفترة تقريباً كانت هناك مملكة صغيرة قائمة تُدعى مملكة أمنانو ، وكانت مدينتها الرئيسية هي إوروك . وقد وصلت إلينا أسماء ثلاثة من ملوك هذه المملكة من خلال نقوش مختصرة ، ويبدو أن أكبرهم هو سن–غاشيد وعلى النقيض من الممالك التي تأسست في أور وغيرها من المدن ، يبدو أن مملكة أمنانو هذه لم تمارس سوى تأثير ضئيل على التطور التاريخي للبلاد . ويختفي اسم المملكة ، ولا يُنسب إلى أي ملك لاحق حتى يستخدمه فجأة شمش شمكين (667–647 قبل الميلاد)، ولكن من الواضح أنه لم يكن له أي أهمية خاصة ، بل كان مجرد تذكير بالأيام القديمة . وبعد أور، وفي سياق تطور الإمبراطورية في بابل ، جاءت السيادة إلى لارسا ، سنكاره الحديثة ، على ضفة قناة شط النيل . واسمان من الملوك الرئيسيين لهذه السلالة هما نور–عادي وابنه سن–إدين ، لكن ترتيبهما

لا يزال غير مؤكد . لقد بنى هذان الملكان في أور ، كما أسس سين الدين معبداً لإله الشمس في لارسا ، وحفر قناة جديدة بين دجلة وشط النيل . إن هذا العمل في بناء القنوات ، الذي أصبح بالغ الأهمية وذا قيمة عالية في التاريخ اللاحق ، بدأ في هذه الفترة المبكرة. لقد أنقذ الملك الذي بنى القنوات الأرض من الفيضانات في الربيع ومن الجفاف في الصيف وكان محسناً عاماً حقيقياً . أما أسماء الملوك الآخرين الذين حكموا لارسا وكان لهم سيادة على بابل في هذا الوقت فهي إما غير معروفة لنا تماماً أو يصعب للغاية ترتيبها بالترتيب الصحيح لقد كانت الأوقات مضطربة للغاية ، ومن السهل أن نفهم لماذا كانت السجلات البابلية في حالة من الفوضى التي جعلت من الصعب فهم الترتيب الدقيق للأحداث . في هذا الوقت كان هناك عامل جديد في تاريخ بابل يفرض نفسه. كانت بابل لفترة طويلة ساحة معركة بين السومريين القدماء والساميين . لقد جاء اليوم الذي يجب أن يدخل فيه شعب جديد ، الإيزيديون ، في قوائم الاستيلاء على الوادي الذي كان مرغوباً بشدة . يبدو أن حكام الإيزيديين قاموا بالعديد من المحاولات للسيطرة على أجزاء من بابل . كان أحدهم ريم أنوم ، الذي سيطر بالفعل في ذلك الوقت تقريباً على بعض أجزاء من البلاد ، وكان يشار إليه في الوثائق التجارية باسم ريم أنوم الملك نظراً لعدم وصول أي نصوص تاريخية إلينا من عهده ، فمن المستحيل أن نقول كم من الوقت حكم أو ما هو التأثير الذي كان له على البلاد ..

وإلى نفس الفترة من غزوات الآكاديين ينتمي كورو نان خودي ، الذي قام بغارة على بابل في عام 2285 قبل الميلاد ، ووصل إلى إريك ونهب معابدها ، وأسر تمثالاً للإلهة آنانا . ويبدو أن تأثيره على البلاد كان ضئيلاً للغاية ، إذ يبدو أنه لا توجد وثائق مؤرخة في فترة حكمه . ومن المحتمل أنه لم ينجح في إقامة أي سيادة على البلاد على

الإطلاق . ولكن فشله لم يثبط عزيمة الأمراء الآخرين ؛ فقد كانت الجائزة عظيمة ولم يفشل الرجال في الفوز بها بسبب افتقارهم إلى المحاولة. وربما حدثت الغارة الناجحة بعد كورونانخودي بفترة وجيزة . ولم تحفظ لنا النقوش البابلية أي ذكر لاسم الملك الذي اجتاح الوادي وحمل كل شيء أمامه . وقد احتفظ الإيزيديون بين تقاليدهم باسم خضر-لاومر (كودور-لاجامار) باعتباره الإيزيدي الذي غزا أقصى الجنوب . ولم يكن بمقدور مملكة سومر وآكاد الضعيفة أن تبدي أي مقاومة فعّالة له أو لغيره من الغزاة الإيزيديين ، وسرعان ما طُرد ملوك لارسا . وفي غضون سنوات قليلة اجتاح الآكاديون من الشرق إلى الغرب ، فدمروا ممالك كانت أسسها تمتد إلى الماضي البعيد وفي ظل حكم هؤلاء الآكاديون كان كودور مبروك أميراً لإيموتبال في غرب عيلام . وامتدت سلطته ونفوذه إلى بابل ، وربما إلى أبعد من ذلك إلى الغرب . فقد بنى في أور معبداً لإله القمر شيسن كقربان شكر على نجاحه ..

لقد خلفه ابنه خيري أكو ، الذي كان أكثر بابلية من والده . لقد وسع مدينة أور، وأعاد بناء أسوارها العظيمة (مثل الجبل) ، وأعاد ترميم معابدها ، ويبدو أنه أصبح راعياً لتلك المدينة وليس لارسا ، رغم أنه لا يزال يسمي نفسه ملك لارسا . لقد أصبح الشعب الإيزيدي الآن سيداً بكل معنى الكلمة لكل جنوب بابل . يطلق خيري أكو على نفسه اسم (مُمَجِّد أور ، ملك لارسا ، ملك سومر وآكاد) ، وبالتالي يدعي كل التكريمات التي كانت تخص الملوك من أصل محلي الذين سبقوه . لقد مهد هذا الغزو والاحتلال لجنوب بابل من قبل الإيزيديين الطريق

لغزو جنوب بابل من قبل الشمال وإقامة نظام دائم للأشياء في الأرض التي طالما كانت مضطربة . مع لارسا تنتهي سلسلة الدول الصغيرة ، التي لم نلمح سوى لمحات من وجودها ، خلال فترة تزيد على ألفي عام. (إننا نجد هنا غبار التاريخ وليس التاريخ نفسه ، وهنا يظهر فرد معزول في سجل يحمل اسمه ، ثم يختفي حين نحاول أن نقبض عليه ، وهناك جذور سلالة تنفصل فجأة ، ومقدمات فخمة ، وصيغ دينية ، وإهداءات لأشياء أو مبان ، وهنا وهناك رواية عن معركة ما أو إشارة إلى بلد أجنبي كانت تربطنا به علاقات صداقة أو تجارة . هذه هي المواد القليلة التي نستطيع أن نبني عليها قصة مترابطة) . ولكن برغم أننا لا نجد سوى أسماء ملوك مدن مختلفة ومؤشرات خافتة على أعمالهم ، فإننا نستطيع مع ذلك أن نستمد من هذه المواد فكرة إلى حد ما عن تطور الحياة السياسية والحضارة في البلاد ..

لقد كانت الحضارة السومرية في جنوب بابل في الفترة ما بين 4000-2300 قبل الميلاد حضارة نوعية في الأساس . ولكن خلال جزء كبير من هذه الفترة كانت حضارة سومرية متأثرة بالقيم الدينية في الأساس . وكانت المملكة الشمالية إيزيدية حتى حوالي عام 3800 قبل الميلاد . وكانت العلاقات بين الحضارتين حرة وممتدة على نطاق واسع ، كما أظهرت نقوش سرجون ونارام سين وعمليات جوديا بشكل قاطع. كانت الحضارة السومرية قديمة ، وكانت بذور الموت موجودة فيها ، أما الحضارة الإيزيدية فكانت غريزتها الحياة والقوة . وكان من الطبيعي أن تتغلغل حضارتها القوية ببطء في البداية ثم بسرعة في الثقافة السومرية المسنة . وقد بدأت النقوش السومرية في وقت مبكر في تقديم أدلة على التأثير الإيزيدي . فهنا كلمة مستعارة من الجيران الإيزيديين ، وهناك اسم لإنسان أو إله . وقد زاد هذا التأثير. وبحلول نهاية الفترة ، كانت الكلمات الإيزيدية شائعة ، وكانت اللغة الإيزيدية في طريقها إلى تحقيق غزو سلمي كامل ، وكانت المنافسة السياسية كفيلة بتحقيق النصر النهائي للإيزيديين ، وإن لم يكن ذلك الانتصار هو القضاء على النفوذ السومري . وظلت هذه اللغة قائمة حتى نهاية بابل ذاتها ، وصعود القوى العالمية اللاتينية الأوروبية . وقد أعطت المحافظة على العادات الدينية للغة القديمة والأدب القديم ، اللذين أصبحا الآن مقدسين ، حياة جديدة . وكانت المعابد لا تزال تحمل أسماء سومرية عندما دخل آخر فاتح لبابل البوابات الرائعة ..

إننا لا نعرف الكثير عن التطور السياسي في بابل بسبب حجبها عن العامة من قبل المراجع التي ترجمت آلاف المخطوطات ، ولا نستطيع أن نتوصل إلى استنتاجات قاطعة . ويمكن تلخيص كل ذلك على النحو التالي إن أقدم الدلائل تشير إلى أن المدينة كانت مركزاً للحكومة المركزية . وكان الرجل الرئيسي في المدينة هو ملكها ، أو إذا لم يكن هناك لقب للملك كان يُدعى باتيسي . وعندما ضمت البلاد المحيطة إلى بابل ظل لقبه كما هو ، فهو لا يزال ملك المدينة . ولكن بعد فترة من الوقت ، بدأ تقليد جديد في الظهور . فأور بوعو هو ملك أور ، ولكنه أكثر من ذلك ، فهو أيضاً ملك سومر وأكاد. وبهذا التعبير نتعرف على مفهوم الحكومة التي كانت تسيطر ليس فقط على المدن المنفصلة ، بل وأيضاً على دولة موحدة، شمال بابل وجنوبها . وكان موقع العاصمة متقلباً بالفعل . فالعاصمة تعتمد كلياً على الملك ومكانه الأصلي . وللمملكة مركزها الحكومي في أور ، ولكن أور ليست عاصمتها

الدائمة . وقد عُثر فيما بعد على العاصمة في إيسن ، وكان ملوك إيسن ملوكاً لسومر وأكاد عندما غزوا وحكموا الشمال والجنوب . وقد ظل هذا اللقب القديم حيًا عبر القرون ، ويفخر الملوك اللاحقون في المدن الأخرى بحمله على نقوشهم ..

لم يكن اتحاد كل بلاد بابل تحت ملك واحد هو الوسيلة لخلق وحدة وطنية قوية بما يكفي لمقاومة الغزاة الخارجيين ويبدو أن الحضارة السومرية قد وصلت إلى نهاية تطورها كعامل سياسي. فقد أدت غارات العيلاميين إلى تشتيت وكسر قوتها ، وكان الوقت مناسبًا لرجل قوي بما يكفي لغزو ملوك لارسا الصغار ، والحصول على لقب ملك سومر وأكاد وإنشاء مملكة قوية ..

الفصل السابع

معابد الآلهة

لقد كانت بابل في نظر آبائنا حتى ما يقرب من قرن مضى مجرد اسم عظيم. هيكل عظمي ضخم تبرز أضلاعه هنا وهناك من رمال تمتد الى سوريا في خراب هائل لبرج ومعبد شمساني . ولكن الآن تم سحب الكفن الرمادي الذي كان يخفي عن الأنظار بقايا بريق وتألق روعتها القديمة إلى حد ما ، وبفضل جهود مجموعة من العلماء والمستكشفين الذين يجب تصنيف حياتهم وأعمالهم ضمن أكثر المقاطع رومانسية في تاريخ الجهد البشري ، أصبحنا الآن قادرين على رؤية بانوراما رائعة للحضارة الإنسانية كما تطورت في وديان دجلة والفرات . إن اسم (بابل) يحمل معه صوت تعويذة عميقة غامضة لمملكة الكهنة الأطهار والأنقياء ، مثل التعويذة التي قد تنطق في أعماق المعابد السرية الإيزيدية . إنه يوقظ آلاف الأصداء في الخيال . إنه يحمل موسيقى أغنى من موسيقى مصر بابل ، إن سحر الكلمة الرنان يشبه سطرًا من ملحمة عظيمة لا يمكن لأي كاتب أو مؤرّخ تجاوزها فهي البداية العظيمة لما نحن فيه الآن . (إنها تهبط على أذن المؤرخ كالرعد البعيد . فخلف عظمة روما وجمال اليونان تلوح في الأفق كظلام عظيم كثيف تتلألأ فوقه بين الحين والآخر تيارات من الضوء المؤكد الذي يعبّر عن إمتداد العقل البابلي عالمياً ليني أرض الإغريق وروما ، حيث يمر الملوك والكهنة شبه المنسيين من الشمسانيين العظام ، والفاتحون والطغاة ، وأنصاف الآلهة والبناة الأقوياء عبر الظلام من الغموض إلى الغموض. أحياناً في وهج كامل من الاعتراف التاريخي ، ولكن في كثير من الأحيان في ضوء خافت وغسق من عدم اليقين يخفف جزئياً . وهناك أشكال أخرى تتحرك مثل الأشباح في ظلام دامس، وهي الأكثر عدداً على الإطلاق ولكن روح بابل ليست شيئاً ناعماً وجذاباً ينطق بالعجائب الشرقية أو مشحوناً بسحر الشرق اللذيذ فحسب . بل هي بالأحرى شيء صارخ وقوي أثر في تاريخنا العالمي بشكل بارز ، متأثر بالقدر وملحمي في اعترافه الشديد بالمصير . وفي التاريخ البابلي لا يوجد سوى شخصيتين من اللحظة . الجندي والكاهن . نحن نتعامل مع عِرق صارم ومتشدد ، عِرق من المتدينين الصارمين ، ولكن ليس عِرقاً عديم الخيال بل هو من ألهم عالمنا بالخيال ، حيث جاء البابليون والآشوريون من ذلك الأصل الذي أعطى للعالم أعظم دياناته وحضاراته ، وهو عِرق ليس بدون حس الغموض والعلم ، حيث كانت بابل أم علم الفلك وعلوم البيئة والأحياء وعلوماً شاملة قسماً كبيراً منها لم نتمكن من ترجمتها لتعقيدها ، وأرست بدايات دراسة النجوم ؛ وأخيراً ، التجارة ، حيث تأسست العمليات المالية الحقيقية الأولى وأولى بيوت التبادل في ظلال معابدها وقصورها الإيزيدية) ..

إن حدود الأرض التي نشأت فيها إحدى أعراق بابل وآشور ، والتي كانت من أكثر الحضارات أصالة وتميزاً في تاريخ العالم ، هي النهران العظيمان في غرب آسيا ، دجلة والفرات ، حيث كانت آشور هي نفسها الجزء الشمالي الجبلي ، وكانت بابل هي نفسها الجزء الجنوبي ، الذي كان يميل إلى السهول والمستنقعات . وكانت كلتا المنطقتين من البلاد مأهولة بأشخاص من نفس العرق ، باستثناء أن الآشوريين اكتسبوا خصائص السكان الذين يسكنون بلاداً جبلية واختلطوا إلى حد ما بعناصر حثية وأمورية. ولكن كليهما كانا فرعين من أصل واحد وشمساني قديم ، ومن المستحيل تحديد عصر تواجدهم وحكمهم للبلاد بسبب التعتيم على الأرقام الحقيقية من قِبل لجان ترجمة الألواح . في أقدم النقوش التي تم اكتشافها نجد هؤلاء السومريون في إنسجام مع الأكاديين الذين حضيوا بمباركة الآلهة العظمى كما تقول النقوش ، الذين اختلطوا بهم فيما بعد لتشكيل الكومنويلث السومري أو المملكة المتحدة ، والذين اندمجوا فيما بعد في معتقداتهم ومفاهيمهم الدينية والخفية ، من هم الأكاديون الذين جاء السومريون البابليون ليحلوا محلهم ولكنهم اختلطوا بهم في النهاية ؟

ولكن السومريين والبابليين تلقوا بذور ثقافتهم من الأكاديين هذا أمر لا شك فيه ، بل إننا نستطيع أن نؤكد أن هؤلاء السكان الأصليين هم الذين قادوهم إلى الحضارة . فلم يكتفوا بتعليم المواطنيين الجدد من السومريون فنون الكتابة والقراءة ، بل إنهم أثروا في معتقداتهم الدينية إلى حد كبير ، وألهموهم فكرة قداسة إيمانهم الشمساني ، حتى أن الكهنة البابليين اللاحقين احتفظوا باللغة الأكادية القديمة بينهم كلغة مقدسة ، تماماً كما احتفظ الكهنة الرومان باستخدام اللغة اللاتينية الميتة . والواقع أن النطق الصحيح للغة الأكادية كان ضرورة مطلقة لأداء الطقوس الدينية بنجاح والقاء الصحب والتفاسير ، ومن الغريب أن نلاحظ أن الكهنة البابليين ألفوا نصوصاً دينية جديدة بلغة أكادية ، تماماً كما ألف الرهبان في العصور الوسطى كتاباتهم باللغة اللاتينية ! بمثل هذه الحماسة تمسك رجال الدين في كل العصور بعبادة القديم ، والأشياء النوعية والمنسية جزئيًا والتي لا يعرفها عامة الناس ..

عندما نلتقي بالحضارة البابلية لأول مرة نجدها متجمعة حول نواتين ، نيبورين في الشمال وإريدو في الجنوب . نشأت الأولى حول حرم الإله إنليل الذي كان يُطلق عليه بالشيخ الآداني الأول أو ألأعلى ، الذي كان له سلطان على الأرواح الظاهرة والشبحية التي قد تتظاهر بأمره بأنها صديقة أو عدوة للإنسان . وكان هناك إله آخر وهو شقيقه أيّا يحكم في أريدو ، التي كانت موطن إيّا حسب التقسيم الذي جرى بينهما ، إلهي النور والحكمة ، أنليل مارس معرفته بفنون الشفاء لصالح أتباعه وكذلك فعل أيّا . ومن مياه خليج البصرة ، حيث كان يستيقظ كل صباح ، كان يجلب المعرفة بجميع أنواع الحرف والحرف والفنون والصناعات ، لصالح مدينته الوليدة ، حتى الفن الغامض والصعب المتمثل في طباعة الحروف المكتوبة على الطين . إنها صورة جميلة لدينا من الأسطورة القديمة لهذه الحكمة المولودة من البحر والتي تنير يوميًا حياة المدينة البيضاء الصغيرة القريبة من المياه . كان السومريون يتمتعون بحب عميق وفطري للحكمة المقدّسة قبل أن تنتقل لباقي شعوب الأرض . وفي الكتابات المنسوبة إلى جالوا وبلاكبوك نجد مجد الحكمة

المقدّسة يتكرر مراراً وتكراراً . ومع ذلك ، هناك قِلة من الشعوب الذين يزرعون بين أبنائهم حب العلم والمعرفة والحكمة الدينية من أجل المعرفة ذاتها ..

ولقد التقت هاتان الثقافتان المختلفتان إلى حد ما في الشمال والجنوب ، اللتان كانتا تعملان نحو مركز مشترك ، واندمجتا في فترة سبقت بداية التاريخ ، حتى أننا نجد مدينة أور ، التي جاء منها إبراهيم الخليل ، جارة قريبة لإريدو ، وقد استعمرتها نيبور! ومع ذلك فقد سادت ثقافة أريدو ، وكان أعظم فروعها هو المركز النهائي للحضارة الفراتية . بابل نفسها . ولا شك أن المؤسسين الأوائل للمدينة كانوا من أصل سومري . والتعبير (سومري) هو التعبير السائد بين العلماء المعاصرين للإشارة إلى (الأكادية) القديمة التي تم سحبها تدريجياً من التداول لإعتبارها حكمة مقدسة لا تستوجب التدنيس من قبل البشر ، وبالتالي فهو مرادف لها . ولعل دخول الساميين إلى البلاد كان في وقت التقاء حضارتي أريدو ونيبور . وقد تقبل السكان على الفور الحضارة السومرية التي وجدوها مزدهرة في وادي الفرات ، وقاموا بتكييف نظام الكتابة السومري مع لغتهم الخاصة ، على النحو الذي سنشير إليه فيما بعد ولكن السومريين أنفسهم لم يكونوا فوق الاقتراض من اللغة الآكادية الغنية ، والعديد من أقدم النصوص السومرية التي نصادفها آكادية للغاية . ولكن على الرغم من أن يبدو أنهم تسربوا إلى الأراضي السومرية عن طريق أريدو وأور ، فإن أول الملاحظات المحددة التي لدينا عن وجودهم داخلها توجد في الآثار الموجودة في الجزء الشمالي من تلك الأراضي والتي يعتقد بعض علماء الآثار أن النقوش تشير الى هندسة وراثية وقفت خلف خلقهم ، في ما يعرف بأكاد ، في جوار بغداد ، حيث أسسوا مملكة صغيرة بنفس الطريقة التي أسس بها الجوتيون مملكة كنت . ومع ذلك، فإن أقدم الآثار تأتي من لكش ، تللو الحديثة ، على بعد حوالي ثلاثين ميلاً إلى الشمال من أور ، وتروي تعاملات رئيس الكهنة الشمسانيين في ذلك المكان مع كبار الشخصيات المجاورة وهو يرتدي ثوباً مزركشاً برسوم هندسية موجودة على جدران المعابد الايزيدية . أصبح كهنة لكش ملوكاً ، وامتدت فتوحاتهم إلى ما وراء حدود بابل ولكن أول إمبراطورية عظيمة في بابل كانت تلك التي أسسها سرجون الأكادي الشهير . وكما هي الحال مع العديد من الأبطال والملوك الشعبيين الذين تُذكَر أعمالهم في الأغاني والقصص ، فإن سرجون الأكادي كان قد حصد البردي على مياه الفرات ، حيث أنقذه رجل يُدعى أكي ، وكان يعمل مزارعاً ، وربّاه . ولكن الوقت حان أخيراً للاعتراف به ، وتوج ملكًا على بابل . وكانت فتوحاته الخارجية واسعة النطاق . ففي أربع مناسبات متتالية ، غزا سوريا وفلسطين الآراميين ، ونجح في دمجهما في إمبراطورية واحدة مع بابل . وواصل انتصاراته حتى حدود البحر الأبيض المتوسط ، وأقام على شواطئه تماثيل لنفسه كعربون على فتوحاته . كما تغلب على عيلام وشمال بلاد ما بين النهرين وقمع تمردًا كبيرًا في أراضيه . وقد ادعى ابنه نارام سين لنفسه لقب (ملك المناطق الأربع) ، ووسع الإمبراطورية التي تركها له والده ، حتى أنها توغلت في شبه الجزيرة العربية . ويصوره نصب تذكاري اكتشفه ج. دي مورجان في سوسا منتصراً على العيلاميين المهزومين . ويظهر وهو يمرر رمحه عبر جسد محارب مستلقٍ على الأرض يرفع يديه وكأنه يتوسل إليه طلباً للرحمة . وكان غطاء رأسه مزيناً بقرون رمزية للألوهية ، لأن ملوك بابل الأوائل كانوا نواباً مباشرين للآلهة على الأرض ..

وحتى في هذا الوقت المبكر نسبيًا (حوالي 3800 قبل الميلاد) كانت موارد البلاد قد استغلت جيداً من قبل السومريين ، وكان استيعابهم للحضارة قد سمح لهم بإحراز تقدم كبير جداً في الفنون المستنيرة . كان بعض عملهم في النحت البارز ، وحتى في الحرفة الأقل صعوبة على قدم المساواة مثل قطع الأحجار الكريمة ، من بين أفضل الجهود التي بذلها الفن البابلي . ولم ينقصهم أيضاً مجالات أكثر فائدة . لقد شقوا الطرق عبر أهم أجزاء الإمبراطورية ، حيث كانت خدمة البريد تحمل الرسائل على فترات محددة ، وكانت الرسائل التي تنقلها هذه الخدمات مختومة أو مختومة بأختام طينية تحمل اسم سرجون ..

كما اشتهر سرجون بأنه أول مؤسس لمكتبة بابل . ويبدو أن هذه المكتبة كانت تحتوي على أعمال ذات طبيعة مدهشة للغاية ، بالنظر إلى الفترة التي تأسست فيها . وكان أحد هذه الأعمال بعنوان (تعاليم آدي) ، وكان يتألف من ما لا يقل عن اثنين وسبعين كتاباً يتناول مسائل فلكية ذات تعقيد كبير ، فقد سجل ووصف ظهور المذنبات ، والاقتران بين الشمس والقمر ، وأطوار كوكب الزهرة ، بالإضافة إلى تسجيل العديد من الكسوفات وقد ترجم المؤرخ البابلي بيروسوس هذا الكتاب الرائع إلى اليونانية بعد فترة طويلة ، وهو يوضح مدى قدم علم الفلك البابلي حتى في هذا العصر المبكر جداً . وكان هناك عمل مشهور آخر موجود في مكتبة سرجون يتناول الفأل ، وطريقة إلقائه ، وتفسيره وهو موضوع جانبي مهم للغاية في الممارسة السحرية الدينية البابلية ..

ومن بين فتوحات هذا الملك العظيم ، الذي يتلألأ روعته من خلال ظلال العصور القديمة مثل وميض الأسلحة البعيد في يوم ضبابي ، كانت جزيرة قبرص الجميلة . وفي أدنى القبو ، أسطوانة من الهيماتيت وصفت مالكها بأنه خادم لنارام سين ، ابن سرجون ، بحيث لا بد أن يكون هناك قدر معين من الاتصال قد تم الحفاظ عليه بين بابل والجزيرة البعيدة ، تماماً كما كانت العلاقة مع جزيرة كريت في وقت مبكر ومرتبطتين ببعضهما البعض بروابط الثقافة والتجارة ولكن الإمبراطورية التي أسسها سرجون كانت مناراً هادياً للشعب في كل من قبرص وكريت ، وفيما بعد تم تحويل مقر السلطة جنوباً إلى أور . في عهد دونجي ، أحد الملوك الذين حكموا من هذا المجال الجنوبي ، برز أحد التابعين العظماء للعرش ، جوديا ، كواحد من أكثر الشخصيات شهرة في العصور القديمة البابلية المبكرة . هذا جوديا رئيس كهنة لجش ، وهي مدينة تقع على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال من أور ، وكان مشهوراً بأنه راعي الفنون المعمارية والفنون المتحالفة معها . نهب غرب آسيا بحثاً عن مواد البناء . زودته الجزيرة العربية بالنحاس للزينة ، وجبال أمامس بخشب الأرز لقصرِه ، ومحاجر لبنان بالحجارة ، بينما زودته الصحاري المجاورة لفلسطين بالحجارة الثمينة من جميع الأنواع لاستخدامها في الأعمال الزخرفية ، والمناطق الواقعة على شواطئ خليج البصرة بالأخشاب لأغراض البناء العادية . وتؤكد قدرته المعمارية على إثباتها مخطط قصره ، مقاساً على مقياس معين ، وهو محفور على حضن أحد تماثيله في متحف اللوفر ومثله كمثل السلالة التي سبقته ، اغتصبت سلالة أورفيل والغزاة العرب أو الكنعانيون السلطة الملكية بنفس الطريقة التي استولى بها الملوك الرعاة على سيادة مصر . ولقد نجح حمورابي ، الذي ربما كان أشهر وأشهر اسم في تاريخ بابل ، في التخلص من نير عيلام الأجنبي . ولم يكتف هذا الملك اللامع الحكيم

السياسي بطرد العيلاميين المكروهين ، بل واصل غزواته بنجاح كبير حتى أنه نجح في العام الثاني والثلاثين من حكمه (2338 ق.م.) في تشكيل مملكة بابل في مملكة واحدة عاصمتها بابل نفسها . وتحت رعاية حمورابي ، ازدهر الفن والأدب البابليان وازدهرا في ترف لا يمكن تصوره إلا بعد مرور هذه الفترة من الزمن . ومن المدهش أيضاً أن نلاحظ كيف نجح حمورابي في دمج العناصر المختلفة للإمبراطورية التي أنشأها لنفسه في كيان واحد متجانس بعد أن تسلم التاج والصولجان لحكم الكومنويلث السومري . ولقد نجح حمورابي في توحيد القوى المحيطة بهِ إلى الحد الذي جعل القوة البابلية كما تركتها تظل قائمة دون تقسيم لمدة خمسة عشر قرناً تقريباً . لقد كان رفاهية رعيته من كل الأجناس من أهم اهتماماته . ولم يكن أحد يقتنع بعدالة قضيته يخشى الاقتراب منه . إن القانون الذي صاغه والذي ظل أعظم مطالبه في التاريخ كان سبباً في تطور شعب عظيم وأصبح نظامحكمه يُضرب به المثل في العدالة والتقدم عبر العصور ، وإذا كان شعب عظيم قد وضع قانوناً تشريعياً ذا قيمة عظيمة فذلك حدث فقط أثناء حكمهِ ، فهناك حالات مسجلة حيث خدمت مثل هذه المؤسسة في جعل شعب عظيم ، وربما لا يكون من الظلم أن نقول عن السومريين في بابل إن قانون حمورابي هو الذي جعلهم ما هم عليه من عظمة إمتدت سمعتها العريقة ليومنا هذا . وقد عثر ج. دي مورجان على نسخة من هذا القانون المشهور عالمياً في سوسة ، وهي الآن محفوظة في متحف اللوفر لمن يرغب في الإطلاع على قوانينهِ ..

ولقد سقطت بدورها ما أطلق عليها مؤرخو التاريخ البابليون (السلالة الأولى من بابل) ، ويقال إن سلالة سومرية من أحد عشر ملكاً حلت محلها . وقد دامت سلطتهم 368 عاماً . وهو تصريح لا شك أنه موضع ثقة بعد قراءة النقوش المتعلقة بها . وقد أطيح بهذه السلالة ذاتها ، وأسس كانديس (حوالي عام 1780 قبل الميلاد) سلالة كوشية استمرت قرابة ستة قرون . وفشل هؤلاء الملوك الأجانب في الاحتفاظ بقبضتهم على معظم الأراضي الآسيوية والأفريقية التي كانت تدفع الجزية لبابل ، كما فقدت سيادة كنعان الشمسانية لصالحهم . وفي هذه الحقبة أيضاً أخذ كبار كهنة آشور في الشمال لقب الملك ، ولكن يبدو أنهم كانوا خاضعين لبابل إلى حد ما . ثم نمت قوة آشور تدريجياً بعد انتقال التاج والصولجان لهم . وكان شعبها أكثر صلابة وميلاً إلى الحرب من شعب بابل الذي كان محباً للفن والمتدين الى حد كبير ، وشيئاً فشيئاً استغلوا ضعف المملكة الجنوبية حتى أدت بهم في النهاية إلى وقوع حادثة ذات أبعاد مأساوية إلى التدخل المباشر في السياسة البابلية ..

إن الظروف التي استلزمت هذا التدخل لا تختلف كثيراً عن تلك التي أدت إلى اغتيال الملك ألكسندر ملك صربيا ودراجا ملكته ، والتي حدثت بعد ذلك بثلاثة آلاف عام . فقد تزوج الملك الكاشي من ابنة آشوري باليذ ملك آشور . ولكن هذا الزواج لم يلق استحسان الفصيل الكاشي في البلاط ، الذي قتل العريس الملك . ولقد لاقت

هذه الفعلة الشنعاء انتقاماً سريعاً على يد آشوري باليذ ملك آشور ، والد العروس ، وهو ملك يتمتع بصفات نشيطة ورجل دولة ، ومؤلف سلسلة الرسائل الشهيرة الموجهة إلى أمنحتب الرابع ملك مصر ، والتي تم الكشف عنها في تل العمارنة . وقد قاد جيشاً عقابياً إلى بابل ، وأطاح بالمدعي الذي نصبته الفصيلة الكاشيية من العرش ،

واستبدله بسليل من السلالة الملكية الشمسانية الشرعية . ولقد حكم هذا الملك ، بورنابورياس ، أكثر من عشرين عاماً ، وبعد وفاته أعلن الآشوريون ، الذين كانوا لا يزالون تابعين للتاج البابلي ، استقلالهم عنه . ولم يكتف الآشوريون بهذا الإجراء الثوري ، بل طالبوا في عهد شلمنصر الأول (1300 قبل الميلاد) بالسيادة على منطقة دجلة والفرات ، ووسعوا غزواتهم حتى حدود كابادوكيا البعيدة ، وخضع الحثيون والعديد من التحالفات الأخرى لنيرهم . واستولى ابن شلمنصر، توكولتي إن أرستي ، على مدينة بابل ، وقتل ملكها بيت ـ الياسو ، وبذلك حطم تماماً مطالبة الدولة القديمة بالسيادة . كان قد حكم بابل لمدة سبع سنوات تقريباً عندما واجه ثورة شعبية ، ويبدو أن ابنه آشور ناصر بال كان يقودها ، فقتله ووضع حداد نادين آخي على العرش . وقد هزم هذا الملك وقتل الملك الآشوري في عصره ، بلكو ـ درو ـ أوزو ، آخر أفراد السلالة الملكية الآشورية القديمة ، والذي استلزم موته تأسيس سلالة جديدة ، وكان الملك الخامس فيها هو تيغلث فلاصر الأول الشهير ..

لقد اعتلى تيغلث فلاصر ، أو توكولتي بال إي سانا ، العرش حوالي عام 1120 قبل الميلاد ، وسرعان ما بدأ مسيرة الغزو النشط التي جعلت اسمه واحدًا من أشهر الأسماء في السجلات الحربية لآشور . وقد تبع الحملات التي شنها في أعالي الفرات ضد المهاجرين الأجانب الذين استقروا هناك غزو الحثيين في سوبارتي ، في الأراضي الآشورية . ثم توجه شمالاً نحو بحيرة فان في البلاد الأرمنية ، ثم حول سلاحه غربًا واستولى على ملاطية . ثم شعرت كابادوكيا والآراميون في شمال سوريا بقوة سلاحه ، وتوغل في هذه المناسبة حتى منابع نهر دجلة . وقد ترك وراءه شخصية المحارب العظيم ، والصياد العظيم ، والباني العظيم ، حيث قام بترميم المعابد الايزيدية شبه المهجورة لآدي وشيسن وشيشمس في مدينة آشور ..

ولم نتمكن من العودة إلى التاريخ الآشوري بأي قدر من اليقين إلا في عهد آشور ناصر بال الثالث (حوالي 883 قبل الميلاد) . ويبدو أن التطور الفني كان يسير بخطى سريعة في هذا العهد ؛ ولكن لا يمكننا أن نقول عن آشور ناصر بال أن الثقافة كانت تسير جنباً إلى جنب مع الإنسانية وقد شهد عصره تقدماً علمياً كبيراً ، حيث كانت سجلات وملاحظاته طويلة ومثيرة للاهتمام من جانب كل العلماء لاسيما تلك المتعلقة بجيولوجيا الأرض .

وكان خليفته ، شلمنصر الثاني ، يمتلك عطشاً لا يرتوي للمجد العسكري ، وخلال حكمه الذي دام خمسة وثلاثين عاماً أطاح باتحاد كبير من الزعماء السوريين ، بما في ذلك آخاب ملك إسرائيل . وقد أزعجه خلال الجزء الأخير من حكمه تمرد ابنه الأكبر . ولكن ابنه الثاني ، شمشون رامون ، جاء لمساعدة والده ، وأمن له تمسكه المخلص خلافة العرش في عام 824 قبل الميلاد . ومن المحتمل أن الملكة المعروفة في الأساطير باسم سميراميس عاشت في عهد هذا الملك . لقد كان ليكون من الرائع حقاً لو لم يكن سحر اسمها مرتبطًا بالرومانسية في خيال الشرق . سميراميس ! يتلألأ الاسم ويتلألأ بجواهر الأساطير والأغاني . تحيط به الأساطير والسحر والموسيقى ويكتسحه كما تحيط البحار الخيالية بجنة جزيرة . إنها وردة مركزية في إكليل الأساطير ، وقد تم تكريسها في موسيقى ربما كانت الأكثر إلهية ولحنًا التي تصورها روح إيطاليا المغنية على الإطلاق ولكنها ليست أكثر جمالاً من نفسها . دعونا ندخل

إلى السلسلة الحديدية للتاريخ الآشوري الحلقة الذهبية لأسطورة هيلين الشرق هذه ، وبعد أن سمعنا عن خيالات عظمتها ، دعونا نحاول إزالة الحجب التي تخفي شخصيتها الحقيقية عن الأنظار وننظر إليها كما كانت ساموارمات البابلية ، الملكة المفضلة لشامسي رامون ، التي سحقت الجيوش المجمعة لميديا والخالتيين ، والتي نُقشت أمجادها على عمود يروي قصة فتوحاتها ، ويصفها بكل بساطة بأنها امرأة من قصر شامسي رامون ، ملك العالم ..

تقول النقوش إن نينوس ملك آشور ، بعد أن انتصر على البابليين ، توجه نحو أرمينيا بهدف تقليص عدد سكان تلك البلاد والذي كان يتزايد بفعل الهجرة من سومر اليها . ولكن ملكها السياسي بارسانيس ، الذي لم يكن بوسعه أن يقابله بالقوة المسلحة ، استسلم طوعاً ، مصحوباً بهدايا عظيمة إلى الحد الذي جعل نينوس يرضى عنها ولكن نينوس ، الذي لم يشبع من رغبته في الغزو ، وجه نظره إلى أورآسيا ، التي سرعان ما أخضعها . وكان طموحه التالي هو إخضاع المنطقة الواقعة بين نهري تانايس والنيل لحكمه . وقد استغرقت هذه المهمة العظيمة ما لا يقل عن سبعة عشر عاماً ، وفي ذلك الوقت كانت آسيا كلها قد خضعت له ، باستثناء باكتريا ، التي كانت لا تزال تحتفظ باستقلالها . وبعد أن أرسى أسس مدينة نينوى ، قرر المضي قدماً ضد الباكتريا . وكان جيشه ذا أبعاد أسطورية حقاً ، إذ قيل إنه كان برفقته 7 ملايين من المشاة ، و2 مليون من جنود الفرسان ، بالإضافة إلى 200 ألف عربة مجهزة بالمناجل ..

يقول ديودوروس الصقلي إن نينوس رأى سميراميس لأول مرة أثناء هذه الحملة . ويزعم بعض الكتاب أنها كانت ابنة إلهة الشمس أوانيس إله الحكمة البابلي الذي سبق أن أشرنا إليه . كانت أتارياتيس إلهة عسقلان في سوريا ، وبعد ولادتها أطعمت الحمام ابنتها سميراميس بأعجوبة حتى عثر عليها أحد الرعاة الملكيين ، وهو سيماس ، الذي رباها وزوجها لأونيس أو مينون ، أحد جنرالات نينوس . فسقط على يده ، فتزوج نينوس سميراميس ، بعد أن أعجب بها إعجاباً عميقاً منذ سلوكها عند الاستيلاء على باكتريا ، حيث برزت بشكل كبير. ولم يمض وقت طويل حتى توفي نينوس ، وترك ابنًا يُدعى نينياس . وفي أثناء صغر سن ابنها تولت سميراميس الوصاية على العرش ، وكان أول عمل عظيم قامت به هو دفن زوجها ، الذي دفنته في أبهى صورة ، ورفعت فوقه تلة من التراب لا يقل ارتفاعها عن ميل وربع وعرضها متناسب مع حجمه ، وبعد ذلك بنت بابل . وبعد أن اكتمل بناء هذه المدينة ، قامت برحلة استكشافية إلى ميديا ، وحيثما ذهبت تركت آثارًا لقوتها وكرمها . وأقامت هياكل ضخمة ، وشكلت بحيرات وخططت لحدائق واسعة النطاق ، وخاصة في خونيا وإكباتانا . وباختصار ، قامت بتسوية التلال ، ورفعت تلالاً شاهقة الارتفاع ، احتفظت باسمها لقرون . وبعد ذلك غزت مصر واحتلت أثيوبيا ، والجزء الأكبر من ليبيا ؛ وبعد أن حققت رغبتها ، ولم يكن هناك عدو يواجهها باستثناء مملكة الهند ، قررت توجيه قواتها نحو ذلك الجانب . كان لديها جيش يبلغ تعداده 3 ملايين من المشاة و500 ألف من الفرسان و100 ألف من العربات . ولاجتياز الأنهار ومواجهة العدو عن طريق المياه ، حصلت على 2000 سفينة تم بناؤها بحيث يمكن تفكيكها للاستفادة من النقل وقد تم بناء هذه السفن في باكتريا بواسطة رجال من فينيقيا وسوريا وقبرص . وخاضت بهذه السفن معركة بحرية مع

سترابروباتس ملك الهند ، وفي أول مواجهة أغرقت ألف سفينة من سفنه . وبعد ذلك بنت جسراً فوق نهر السند ، وتوغل في قلب البلاد. وهنا تعاقد معها سترابروباتس ..

ولقد خدعه المظهر الكثير لأفيالها ، فتراجع في بادئ الأمر ، لأنها كانت تفتقر إلى تلك الحيوانات ، فقامت بشراء جلود ثلاثة آلاف ثور أسود ، كانت مخيطة ومحشوة بالقش بشكل جيد ، فظهرت وكأنها أفيال كثيرة . وقد تم كل هذا بشكل طبيعي لدرجة أن الأفيال الحقيقية للملك الهندي خُدعت . ولكن الخدعة انكشفت أخيراً ، واضطرت سميراميس إلى التراجع ، بعد أن فقدت جزءاً كبيراً من جيشها . وبعد ذلك بقليل تنازلت عن الحكم لابنها نينياس ، وماتت. ووفقاً لبعض الكتاب ..

لقد تم اكتشاف الأهمية الشخصية الحقيقية لسميراميس من خلال أبحاث البروفيسور ليمان هاوبت من برلين . فحتى عام 1910 كان يُعتقد أن أساطير ديودورس وغيره قد تم دحضها تماماً ، وكان يُنظر إلى سميراميس على أنها شخصية أسطورية بحتة . ويثبت أولد براينت في كتابه (الأساطير القديمة) ، الذي نُشر في بداية القرن الماضي ، المكانة الأسطورية لسميراميس على نحو يرضيه . يقول (يجب الاعتراف بأن غالبية المؤرخين صوروا سميراميس كامرأة ، ووصفوها بأنها أميرة عظيمة حكمت بابل ، ولكن هناك كتاباً أتيحت لهم من وضعهم فرص أفضل للذكاء ، وقد ذكرها هؤلاء كإلهة. يقول أثيناغوراس إن السوريين كانوا يعبدون سميراميس ، ويضيف أنها كانت تعتبر ابنة ديركاتوس ونفس سوريا ديا ويقال إن سميراميس ولدت في عسقلان لأن أتارجاتوس كان يعبد هناك تحت اسم داجون ، وقد تم الحفاظ على نفس النصب التذكارية هناك كما في هيرابوليس وبابل . ترتبط هذه النصب التذكارية بتاريخ كان الحمام هو النوع الرئيسي منه ..

وعلى نفس الأساس قيل إنها تحولت إلى حمامة لأنهم وجدوها تُصوَّر وتُعبد دائماً تحت هذا الشكل ومن خلال ما سبق أعتقد أنه من الواضح أن سميراميس كانت رمزاً وأن الاسم مركب من ساماراماس أو راميس ، وكان يدل على (الرمز الإلهي) ، وهو نوع من العناية الإلهية ، وباعتباره راية عسكرية (لأنه كان يستخدم على هذا النحو) يمكن تفسيره ببعض الحرية على أنه (راية العلي) . وكان يتألف من شكل حمامة ، والتي ربما كانت محاطة بقزحية العين ، حيث كان يتم تمثيل هذين الرمزين معاً في كثير من الأحيان . وكان كل من خضع لهذا الراية ، أو أظهر أي احترام لهذا الرمز ، يُطلق عليه اسم سماريم أو ساموريم ،كان هذا لقباً يُطلق على كل من يحمل هذا الجهاز كشعار وطني وهناك الكثير من هذا النوع من الأشياء ، وهو أمر نموذجي لعلم الأساطير في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ومن السهل أن نرى كيف انشغلت الأساطير باسم الملكة الآشورية ، التي أثارت مآثرها بلا شك حماسة ليس فقط الآشوريين أنفسهم ولكن الشعوب المحيطة بهم . وكما نُسب أي عمل عظيم في بريطانيا القديمة إلى وكالة ميرلين أو آرثر ، فإن الآثار التي لا يمكن تفسيرها بطريقة أخرى نُسبت إلى سميراميس ..

لا شك أن شهرتها اختلطت بشهرة الإلهة عشتار أو أنهما يحملان نفس المقام ، فهي تمتلك نفس الصفات التي تشبه فينوس ، والحمامة هي شعارها ، وأصبحت قصتها متشابكة بشكل لا ينفصم مع قصة الإلهة البابلية حتى أصبحت في النهاية نسخة منها . إن قصة سميراميس هي تبرير منتصر للطريقة التي يمكن بها للإنسان من خلال

عمليات أسطورية معينة أن يصل إلى مرتبة الإله أو الإلهة ، لأن سميراميس كانت حقيقية جداً في الأصل . يصفها عمود تم اكتشافه في عام 1909 بأنها "امرأة من قصر سامسي رامون ، ملك العالم ، ملك آشور ، ملك أركان العالم الأربعة . يشير هذا الإهداء إلى أن سميراميس ، أو كما يطلق عليها لقبها الآشوري العظيم ، سامورامات ، كانت تتمتع بنفوذ هائل على زوجها ، شمسي رامون ، وربما دام هذا النفوذ كملكة أم لأكثر من حكم ، وبالتالي فإن الأسطورة التي تقول إنها بعد وصاية دامت اثنين وأربعين عاماً سلمت المملكة لابنها ، نينياس ، قد يكون لها بعض الأساس في الواقع . ويبدو أنها خاضت حربًا ضد الميديين والكلدانيين . أما القصة التي تقول إنها تحولت إلى حمامة بعد تخليها عن سلطتها واختفت فقد تعني أن اسمها ، سامورامات ، كان مرتبطاً بسهولة بالاسم الآشوري سومات ، وهي كلمة تعني (حمامة) وبالنسبة لشخصية ذات شهرة أسطورية لاحقة ، يمكن بسهولة تفسير صلتها التاريخية بعشتار وسوف نلاحظ أن التسلسل الزمني لآشور في هذه القائمة يعود إلى فترة تسبق القرن ونصف القرن تقريباً قبل الميلاد . إن التاريخ التقريبي لتأسيس (الإمبراطورية) يرجع إلى عام 1300 ، وفقاً لهيرودوت وبيروسوس وربما كان من الممكن أن نستنتج من مجرد تصريح هيرودوت أن آشور كانت موجودة قبل الوقت الذي تحدث عنه ، لأن الإمبراطورية لا يمكن أن تتشكل إلا من خلال شعب مزدهر بالفعل . إن آشور كمملكة مستقلة هي السلف الطبيعي لآشور كقوة إمبراطورية وكان من المعقول أن نفترض هذه المرحلة المبكرة من وجودها من المرحلة اللاحقة . تقدم الآثار دليلاً واضحاً على الوقت المذكور في الملوك الرابع والخامس والسادس من القائمة أعلاه ، الذين حكموا بينما كانت الإمبراطورية الكلدانية الآكادية لا تزال مزدهرة في بلاد ما بين النهرين السفلى ، إن الاعتبارات الزمنية وغيرها من الاعتبارات تدفعنا إلى الاعتقاد بأن الملوك الأربعة الذين جاءوا بعده كانوا ينتمون إليها أيضاً ، وأن الإمبراطورية بدأت مع تيجلاتي نين الأول ، وهو أول فاتح عظيم ..

إن التاريخ المحدد لتولي هذا الملك العرش ، وهو عام 1300 ق.م ، والذي يتفق إلى حد كبير مع التاريخ الذي ذكره بيروسوس لبداية سنواته الخمسمائة والستة والعشرين ، يمكن الحصول عليه من الآثار بالطريقة التالية . أولاً ، يذكر سنحاريب في نقش نُشِر في عامه العاشر أو نحوه (الذي كان عام 694 ق.م) ، أنه استعاد من بابل بعض تماثيل الآلهة ، التي نقلها إلى هناك مركلاخ-إدبن-آخي ، ملك بابل ، الذي حصل عليها في حربه مع تغلث-بلاسر ، ملك آشور ، قبل 418 عامًا . وهذا يعطي تاريخ الحرب مع تغلث-بلاسر عام 1112 ق.م . وبما أن هذا الملك لم يذكر الحرب البابلية في السجلات التي تروي أحداث سنواته الأولى ، فيجب أن نفترض أن هزيمته

حدثت نحو نهاية حكمه ، ونخصص له المساحة من عام 1112 ق.م . 1130 إلى 1110 قبل الميلاد ، تقريباً ، الفترة التي من المحتمل أن يكون قد احتفظ خلالها بالعرش . وإذا افترضنا أن الملوك الستة الكبار الذين سبقوا

تغلث فلاسر حكموا في المتوسط عشرين عاماً لكل منهم ، وهو المتوسط الفعلي الذي قدمته خطوط النسب المباشر في آشور ، حيث يُعرف طول كل حكم ، وافترضنا خمسين عاماً للفاصل بين تغلث نين وبلكودور أوزور ، فإننا نصل إلى (1130 + 120 + 50) قبل الميلاد 1300 لتولي تغلث نين الأول العرش ، الذي استولى على بابل ، وهو أول ملك سُجِّلت له فتوحات واسعة النطاق . ثانياً ، يحسب سنحاريب في نقش آخر 600 عام من غزوه الأول لبابل (703 قبل الميلاد) إلى عام واحد في حكم هذا الملك . يمكن استخدام (ستمائة) كرقم تقريبي ، ولكن بما أن سنحاريب كان يعتقد أنه يمتلك الوسائل اللازمة للحساب الدقيق ، فربما لم يكن ليستخدم رقماً تقريبياً ، ما لم يكن قريباً إلى حد ما من الحقيقة. قبل ستمائة عام من عام 703 قبل الميلاد ، نصل إلى عام 1303 قبل الميلاد ، إن عدم اليقين الرئيسي الذي يحيط بالأرقام في هذا الجزء من القائمة ينشأ من حقيقة مفادها أن الملوك التسعة من تيغلاثي نين فصاعداً لا يشكلون خطًا مستقيماً واحداً . فالنقوش تفشل في ربط بيلكودور أوزور بتغلاثي نين ، وبالتالي هناك فترة زمنية محتملة بين العهدين ، لا يمكن إلا تخمين طولها . أما التواريخ المخصصة للملوك اللاحقين ، من فولوش الثاني ، إلى أسرحدون شاملة، فهي مستمدة من الآشوريين إن الاتفاق بين هذه الوثائق ، وبين الأخيرة والسجلات الآشورية بشكل عام ، دقيق ؛ وبالتالي يتم منح بطليموس تأكيداً ليس بالقليل من الأهمية . يبدو أن التواريخ من تولي فولوش الثاني (911 ق.م) إلى وفاة أسرحدون (668 ق.م) تتمتع بنفس الدرجة من الدقة واليقين التي تم الاعتراف بها عمومًا فيما يتعلق بأرقام بطليموس . وقد تأكدت هذه التواريخ من خلال ملاحظة كسوف عظيم في السنة الثامنة من حكم آشور ديان الثالث ، والذي كان بلا شك في الخامس عشر من يونيو عام 763 ق.م. أما حكم آشور بانيبال (سردانابال) ، ابن وخليفة آشورحدون ، والذي بدأ عام 668 ق.م ، فقد استمر حتى عام 626 ق.م على السلطة المشتركة لبيروسوس وبطليموس والآثار . تُظهر الآثار أن آشور بانيبال أعلن نفسه ملكًا على بابل بعد وفاة شاول موجينا الذي كان آخر عام له (وفقًا لبطليموس) 647 ق.م وأنه منذ تاريخ هذا الإعلان حكم بابل لمدة عشرين عاماً على الأقل ترك لنا بوليهيستور ، الذي نقل عن بيروسوس ، أقوالًا متطابقة تمامًا ، والتي نستنتج منها أن المدة الدقيقة لحكم

آشور بانيبال على بابل كانت واحداً وعشرين عاماً . وبالتالي ، فإن عام 626 ق.م هو عام وفاته . وبما أن نينوى يبدو أنها دمرت عام 625 أو 624 ق.م ، فلم يتبق سوى عامين لابن آشور بانيبال وخليفته ، آشور إيميد إيلين ، ساراكوس أبيدينوس ..

وبما أن الإطار الزمني للتسلسل الآشوري قد استقر على هذا النحو تقريباً ، وإلى حد ما ، مؤقتاً ، فيمكننا أن ننتقل إلى ترتيب الحقائق التي وصلت إلينا عن التاريخ الآشوري بناءاً عليه . فإذا سألنا أنفسنا أولاً من أين جاء الآشوريون ، وفي أي وقت اسّسوا في البلاد التي حملت اسمهم منذ ذلك الحين إمبراطوريتهم العظيمة ، يبدو أننا لدينا إجابة ، على الأقل على السؤال الأول من هذين السؤالين ، في الكتاب المقدس. (من تلك الأرض) أرض شنعار خرج سنجار أشور وبنى نينوى . كان الآشوريون ، قبل استيطانهم في وسط نهر دجلة ، يسكنون في الجزء السفلي من

الوادي العظيم السهل الرسوبي المسطح باتجاه مصبات النهرين هنا ، في هذه المنطقة الخصبة ، حيث تفعل الطبيعة الكثير للإنسان ، ولا يحتاج إلا إلى القليل من نفسه ، نشأوا من عائلة إلى شعب ، لقد لاحظنا في أحد الفصول السابقة أن الطابع العام للعمارة الآشورية يشير إلى أن أسلوبهم قد تشكل في الطمي المسطح المنخفض ، حيث لم تكن هناك ارتفاعات طبيعية ، ولم يكن من الممكن الحصول على الحجارة في بداية الأمر . كما لاحظنا أن كتاباتهم مستمدة بشكل واضح من الآكاديين مركز الكومنويلث ، وأن دينهم الإيزيدي يكاد يكون مطابقاً للدين الذي ساد في البلاد المنخفضة منذ وقت مبكر جداً . وبالتالي فإن الأدلة التي توفرها الآثار تتفق على نحو لافت للنظر مع النقوش التي تمترجمتها ، ومع بيان الكتاب المقدس، الذي يظهر لنا الآشوريين كشعب سكن ذات يوم في الجنوب ، على اتصال وثيق بالآكاديين ، ثم انتقل بعد فترة إلى موقع أكثر شمالية لتأسيس مملكته العظيمة ..

أما فيما يتعلق بتاريخ إزاحتهم ، فلا نستطيع إلا أن نقول إنه كان بالتأكيد سابقًا لزمن الملوك الكلدانيين ، بورنا بورياس وكوري جالزو ، اللذين يبدو أنهما حكما في القرن الخامس عشر قبل عصرنا . وإذا استطعنا أن نكون متأكدين من أن المدينة التي كانت تسمى في العصور اللاحقة آشور كانت تحمل هذا الاسم عندما شيد شماس فول ، ابن إسمي داجون ، معبدًا هناك لآدي وإيزيد ، فقد ننسب إلى الحركة تاريخاً أقدم من ذلك لأن شماس فول ينتمي إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد إن دافع الإزالة يكتنفه الغموض التام وربما كان بسبب إنتقال التاج والصولجان الى مملكة أخرى من الكومنويلث السومري بأمر وتنفيذ من الملوك الكلدانيين ، الذين ربما ابتكروا نظاماً لزرع قبائل خاضعة مشكوك في ولائها في مناطق بعيدة أو تطبيق تلك الشرائع التي كانت تعاقب من يخالف القوانين بالنفي من الأراضي المقدّسة للملكة ، أو ربما كان ذلك هجرة طوعية لعرق متزايد العدد ، يضيق به المكان ويشعر بالاستياء من حالته . ومرة أخرى ، ربما حدث ذلك من خلال حركة كبيرة واحدة ، مثل حركة قبائل العبريين ، وهاجرت في جسد من ضفاف نهر الدان إلى الحدود الشرقية لمنغوليا والى القوقاز تارة ، أو ربما كان ذلك تغييراً تدريجياً ومطولاً ، غطى فترة طويلة من السنين ، مثل معظم الهجرات التي نقرأ عنها في التاريخ . وبشكل عام ، ربما يكون هناك بعض الأسباب للاعتقاد بأن روح المبادرة كانت تمتلك في ذلك الوقت تقريباً سكان بلاد ما بين النهرين السفلى ، الذين تقدموا طواعية نحو الشمال على أمل تحسين حالتهم وتطوير مناطق الشمال . قاد تارح جسداً من أور إلى حران وانتقل آخر من شواطئ خليج البصرة إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، في حين أن ثالثاً ربما ، أكبر من أي من هاتين الدولتين ، صعد مجرى نهر دجلة ، واحتل بلاد أدياب ، مع المناطق المجاورة ، وأطلق اسمه القبلي الخاص وهو آشور على مدينته الرئيسية وإقليمه ، وأصبح معروفاً لجيرانه أولاً كشعب متميز ، ثم كشعب مستقل وقوي ، لكن المخطوطات الأكثر إثارة هي تلك التي تحدثت عن إقتراب آشور إبن أنليل من أبيه الذي بنى قلعة الآلهة الأربعة (الماء والهواء والتراب والنار) أربائيلو في الشمال والتي تحفظ الكثير من اللجان عن نشرها لأسباب سياسية بحتة ..

ولقد كان الآشوريون لبعض الوقت بعد تغيير إقامتهم على الأرجح تحت حكم حكام بابل عندما كان التاج الملكي بها ، وكانوا يشغلون مناصبهم تحت حكم الإمبراطور البابلي . وقد عُثر في كالح شرقات ، العاصمة الآشورية الثقافية

، على قطع من النقوش مصنوعة بدقة من العقيق واللازورد الأزرق ذات طابع بابلي بلغة موحدة ، ويُعتقد أنها أقدم من أي من الآثار الآشورية الصرفة والتي تحدثت عن عمق الإرتباط في الممالك الخمسة التي كانت تؤلف الكومنويلث السومري ، وربما كانت تحمل ختم هؤلاء الملوك الإقليميين والتي لم يفهمها المترجمين لتلك النقوش . ولكن لم يمض وقت طويل حتى تحرر الآشوريون من نيرهم ، وأنشأوا مملكة منفصلة خاصة بهم في البلاد العليا ، بينما كانت الإمبراطورية البابلية لا تزال مزدهرة تحت حكم ملوك محليين من النوع العرقي القديم في المناطق الأقرب إلى البحر . الدليل الخاص الذي نملكه على التعايش جنبًا إلى جنب بين هاتين المملكتين تم توفيره من خلال لوح مكسور من تاريخ لاحق إلى حد كبير ، والذي يبدو أنه احتوى ، عندما اكتمل ، على رسم موجز ولكنه مستمر للتاريخ المتزامن لبابل وآشور ، والمعاملات المختلفة التي انخرط فيها ملوك البلدين مع بعضهم البعض ، منذ أقدم العصور . وقد احتفظ هذا اللوح بأسماء ثلاثة ملوك آشوريين مبكرين جداً ، آشور بيل نيسي سو ، وبزور آشور ، وآشور أوباليت ، وقد سُجل أن الأولين قد عقدا معاهدات سلام مع ملوك بابل المعاصرين ، بينما تدخل الأخير في الشؤون الداخلية للبلاد وطريقة التعاملات التجارية ، وحرم ملكاً مغتصباً من العرش ، وأعاده إلى المطالب الشرعي ، الذي كان من أقاربه . ويبدو أن الزيجات المختلطة حدثت في هذا التاريخ المبكر بين العائلات الملكية في آشور وبابل ؛ ولقد كان آشور أوباليت ، ثالث الملوك الثلاثة ، قد تزوج إحدى بناته من بورنا بورياس ، وهو بابلي . وعند وفاة بورنا بورياس ، اعتلى العرش كاراخارداس ، نتاج هذا الزواج ولكن لم يمض وقت طويل حتى ثار رعيته ضد سلطته . ونشأ صراع قُتل فيه ، ثم أصبح نازي بوجاس ، وهو مغتصب ، ملكاً ، وبذلك تم تهميش سلالة بورنا بورياس . وعندئذ تدخل آشور أوباليت . فزحف بجيشه إلى بابل ، وهزم المغتصب وقتله ، ثم وضع على العرش ابناً آخر لبورنا بورياس ، وهو كوري جالزو الذي سبق ذكره في رواية ملوك بابل ..

إن أكثر ما يلفت انتباهنا في لمحة التاريخ التي يكشفها لنا هذا اللوح هو قوة آشور ، وشروط المساواة الواضحة التي تقف على أساسها مع جارتها . فهي لا تتعامل مع الإمبراطورية الجنوبية العظيمة على أنها ند لها فحسب . ولا تعتبر بيتها الملكي جديراً بتزويد أمرائها بالزوجات فحسب ، بل إنها تمارس نفوذاً مهيمناً على مصير الأطراف المتنازعة عندما تنشأ هناك مشاكل أسرية ، وتضمن النصر للجانب الذي تدافع عن قضيته . وبقدر ما تغار كل الأمم من التدخل الأجنبي في شؤونها ، يمكننا أن نجزم بأن بابل ما كانت لتستسلم في هذه المناسبة لنفوذ آشور ، لولا ثقلها الذي جعلها ، إذا ما أضيفت إلى جانب واحد في صراع أهلي، تتفوق على المقاومة . وبعد هذه الرفعة القصيرة ، يسدل الستار مرة أخرى على تاريخ آشور لفترة ستين عاماً تقريباً ، لم تخبرنا خلالها سجلاتنا إلا بأسماء الملوك فقط . ويبدو من أحجار كليه شرقات أن أشور أوباليت خلفه على العرش ابنه بلوش أو بهيكلخوس (بلوشوش) ، الذي خلفه بدوره ابنه بوديل حفيده. فولوش، وحفيده الأكبر شاهمنصر ، أول من حمل الاسم . ومن بلوش وبوديل وفولوش الأول ، لا نعرف إلا أنهم أقاموا أو أصلحوا مبانٍ مهمة في مدينتهم أشور (كليه شرقات الآن) ، والتي كانت في زمنهم، ولعدة قرون بعد ذلك ، عاصمة الملكية . ولم يكن هذا المكان في موقع ملائم للغاية ، لكونه على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، وهي منطقة أقل خصوبة بكثير من الضفة اليسرى ، وليست بطبيعة الحال مكاناً ذا قوة كبيرة .

إن الأراضي الآشورية لم تكن في ذلك الوقت تمتد إلى الشمال كثيراً ، وعلى كل حال لم تكن هناك حاجة إلى بناء مدينة ثانية أعلى وادي دجلة ، ناهيك عن نقل مقر الحكومة في ذلك الاتجاه . ومن المؤكد أن كالح لم تكن قد بُنيت بعد ، وربما نينوى ولكن المملكة كانت قد اكتسبت اسماً بين الأمم ، وكان مصطلح آشور يُطلق جغرافياً على وادي دجلة الأوسط بأكمله ، وكان بوسع العين النبوية أن ترى في القوة الهادئة التي كانت لدى الأمة آنذاك أن ترسل حملات إلى أور سالم ، وتأخذ سكانها إلى الأسر ..

يُعرف شاهنا نصر الأول (حوالي 1320 ق.م) في التاريخ الآشوري بشكل رئيسي بأنه مؤسس كالح (نمرود) ، وهي المدينة الثانية على ما يبدو من بين تلك المدن العظيمة التي كان الملوك الآشوريون يتلذذون ببنائها وتزيينها . ويكفي هذا الأساس في حد ذاته للإشارة إلى نمو آشور في عصره نحو الشمال ، كما أنه يشير إلى تأسيسها الكامل كقوة مهيمنة على الضفة اليسرى وكذلك اليمنى لنهر دجلة . كانت كالح تقع في موقع متميز للغاية في منطقة ذات خصوبة كبيرة وقوة طبيعية كبيرة ، حيث كانت محمية من جانب واحد بنهر دجلة ، ومن الجانب الآخر بسيل شور- ديرة ، بينما دافع عنها نهر الزاب الأكبر على مسافة بضعة أميال إلى الجنوب والجنوب الشرقي ، وخزر أو غازر- سو على الشمال الشرقي. لا بد أن استيطانها قد ضمن للآشوريين حيازة غير مضطربة للمنطقة المثمرة والمهمة بين نهر دجلة والجبال ، أتوريا أو آشور نفسها في العصور اللاحقة ، والتي أصبحت في نهاية المطاف المنطقة الحضرية الكبرى التي تقع فيها جميع المدن الرئيسية تقريباً ..

إن تشييد نوع من العاصمة الثانية ، أبعد إلى الشمال من العاصمة القديمة ، يتفق تماماً مع ما نجده في نقوش آشور ناصر بال ، حيث يقوم شلمانصر بحملات ضد القبائل الواقعة على نهر دجلة العلوي ، بل إنه أسس مدناً في تلك الأجزاء التي أقام فيها نظاماً متقدماً مستفيداً من نظامه وأخطاءه ، إننا لا نعرف ما هي الحدود الدقيقة لآشور نحو الشمال قبل عصره ، ولكن لا شك أنه قد تقدم بها ؛ وبالتالي فهو يستحق التميز باعتباره أول فاتح آشوري معروف تمكن من نشر قوته وجبروته . ومع تجلاتي نين ، ابن وخليفة شلمانصر الأول ، ظهرت روح الفتح بطريقة أكثر وضوحاً وإثارة . وقد ثبت بالفعل أن التاريخ المحتمل لهذا الملك يتزامن بشكل وثيق مع الوقت الذي حدده بيروسوس لارتباط سلالته البابلية السادسة ، وحدده هيرودوت لبداية إمبراطوريته الآشورية . والآن يظهر تيغلاثي نين في النقوش باعتباره الأمير الذي طمح أولاً إلى نقل السيادة التي كانت تمارسها بابل حتى ذلك الحين ، أو على الأقل تطالب بها ، إلى آشور . فقد شن حرباً على المملكة الجنوبية ، وحقق نجاحاً كبيراً حتى شعر بأنه يحق له المطالبة بغزوها ، وأن ينقش على ختمه لقب (فاتح بابل) الفخور . وهذا الختم، الذي تركه (كما هو مرجح) في بابل ، واستعاده سنحاريب بعد حوالي ستمائة عام ، يُظهِر لنا أنه حكم لفترة من الوقت شخصياً في العاصمة الجنوبية ، حيث يبدو أنه أسس فيما بعد سلالة آشورية . ربما فرعاً من عائلته. وربما كان هذا هو الحدث الدقيق الذي تحدث عنه بيروسوس بأنه حدث قبل فول أو بول بخمسمائة وستة وعشرين عاماً ، والذي اعتبره هيرودوت بمثابة بداية الإمبراطورية الآشورية ، ولكن لا ينبغي لنا أن نفترض أن بابل كانت منذ ذلك الوقت خاضعة بشكل مستمر لبلاط نينوى . وربما استمر

هذا الخضوع لمدة تقل قليلاً عن قرن من الزمان ولكن في ذلك الوقت نجد أدلة على أن نير آشور قد تحرر ، وأن الملوك البابليين، الذين يحملون أسماء سامية ، وربما كانوا آشوريين بالنسب ، أصبحوا معادين لملوك نينوى ، وانخرطوا في حروب متكررة معهم . ولم يحدث أي خضوع حقيقي دائم للبلاد السفلى للبلاد العليا حتى عهد سرجون ، وحتى في عهد أسرة سرجون كانت الثورات متكررة ، ولم يرض البابليون بالسيادة الآشورية حتى وحد أسرحدون التاجَين في شخصه ، وحكم بالتناوب على العاصمتين . ولكن من المحتمل أن البلاد العليا كانت منذ عهد تيغلاثي نين تعتبر متفوقة على البلاد الأخرى فقد أظهرت قوتها من خلال غزوها وفرض سلالة حاكمة عليها . وهما دليلان على القوة لم يوازنهما سوى عدد قليل من الغارات الانتقامية التي شنها عليها الأمراء البابليون في ظل ظروف مواتية . وعلى هذا فقد كان نفوذها محسوساً حتى في الوقت الذي رفض فيه الآشوريون نيرها ؛ واستمرت عملية تحويل الكلدانيين إلى ساميين ، التي بدأت في عهد تيغلاثي نين ، طيلة فترة الهيمنة الآشورية ؛ ولم يحدث قط أي رد فعل توراني مؤثر ، وكان الحكام البابليون ، سواء كانوا خاضعين لآشور أو منخرطين في أعمال عدائية ضدها ، يحملون أسماء سامية على قدم المساواة ، ولا يبدو أن أي جهد بُذِل في أي وقت من الأوقات لاستعادة تفوق العنصر التوراني من السكان في وقت مبكر ..

إن خط النسب المباشر ، الذي تم تتبعه في خلافة متواصلة عبر ثمانية ملوك، بدءاً من آشور–بل–نيسي–سو ، ينتهي هنا ، وتحدث فترة زمنية لا يمكن تقديرها تقريباً إلا على أنها ربما لا تتجاوز خمسين عاماً . تليها سلسلة أخرى متتالية من ثمانية ملوك ، نعرفها بشكل رئيسي من خلال أسطوانة تغلث–بيلاسر الشهيرة (التي تعطي خلافة خمسة منهم) ، لكنها اكتملت من الأدلة المجمعة لعدة وثائق أخرى. ومن المحتمل أن هؤلاء الملوك حكموا من حوالي 1230 قبل الميلاد إلى 1070 قبل الميلاد. بيل–كودور–أوزور ، أول ملك من هذه السلسلة الثانية ، معروف لنا بالكامل من خلال حربه المؤسفة مع ملك بابل المعاصر . ويبدو أن الخط السامي للملوك ، الذي أسسه الآشوريون في بابل ، لم يكتف بالبقاء لفترة طويلة في وضع التبعية . في عهد بلكودور أوزور ، ثار فول بلادان ، الملك البابلي التابع ، ونشبت حرب بينه وبين صاحبه الآشوري ، وانتهت بهزيمة وموت الأخير ، الذي سقط في معركة كبيرة ، حوالي عام 1210 قبل الميلاد . وخلفه نينبالازيرا . ومن غير المؤكد ما إذا كان على صلة بسلفه ، ولكن من الواضح أنه انتقم له . ويُطلق عليه الملك الذي نظم بلاد آشور ، وأثبت قوات آشور في السلطة . ويبدو أنه بعد توليه العرش بفترة وجيزة، قام فول بلادان ملك بابل ، مسروراً بنجاحاته السابقة ، بحملة ضد العاصمة الآشورية ، وخاضت معركة تحت أسوار آشور نجح فيها نينبالازيرا تماماً . ففر البابليون ، وتركوا آشور في سلام خلال بقية حكم هذا الملك ..

كان آشور ديان ، الملك الثالث في السلسلة ، يتمتع بحكم طويل ومزدهر . فقد حقق غزوًا ناجحاً إلى بابل ، وعاد إلى أرضه بغنائم غنية وقيمة . كما هدم المعبد الذي أقامه شماس فول ، ابن إسمي داجون ، للإلهين آدي وإيزيد في آشور ، عاصمة آشور ، لأنه كان في حالة خراب ، وكان من الضروري تدميره أو إعادة بنائه . ويبدو أن آشور ديان

تراجع عن مهمة ترميم مثل هذا العمل العظيم ، وبالتالي هدم المبنى الذي لم يُعاد بناؤه لمدة ستين عاماً من هدمه. وخلفه على العرش ابنه متاجيل نبو حكم متاجيل نبو على الأرجح من حوالي عام 1170 قبل الميلاد إلى عام 1170 قبل الميلاد . 1150. وقد علمنا أن (آدي ، الرب العظيم ، ساعده وفقاً لرغبات قلبه ، وأثبته في قوة في حكم آشور) . ربما تشير هذه التعبيرات إلى الاضطرابات الداخلية في بداية حكمه ، والتي كان محظوظاً جداً في الانتصار عليها. ليس لدينا تفاصيل أخرى عن هذا الملك ، آشور-ريس-إيليم ، الملك الرابع في السلسلة ، ابن وخليفة موتاجيل-نيبو ، الذي ربما يكون حكمه بين 1150 قبل الميلاد و1130 قبل الميلاد ، هو ملك يتمتع بقدر أعظم من التظاهر من معظم أسلافه . في نقش ابنه ، يُدعى (الملك القوي ، الخاضع للدول المتمردة ، الذي هزم كل الملعونين) . إن هذه التعابير واسعة النطاق إلى الحد الذي يجعلنا نستنتج منها ليس فقط أن آشور-ريس-إيليم ، على عكس الملوك السابقين من نفس السلالة ، كان يخوض حروباً خارجية ، بل إن حملاته حققت نجاحاً عظيماً ، ومهدت الطريق للفتوحات الواسعة التي حققها ابنه وخليفته تغلث-بلاصر. ولعل آشور-ريس-إيليم وجه أسلحته في اتجاهات مختلفة ، مثل ذلك الملك. ومن المؤكد أنه حملها جنوباً إلى بابل ، حيث كان منخرطاً لبعض الوقت في حرب مع نبوخذ نصر (نبوك-أودور-أوزور) ، أول ملك معروف يحمل هذا الاسم ، كما نتعلم من اللوح المتزامن للتاريخ البابلي والآشوري . وقد خُمن أنه هو الذي حملهم أيضاً إلى جنوب سوريا وفلسطين ، وأنه في الواقع هو الملك المشار إليه في سفر القضاة باسم (تشوشان ريس أثايم) ، الذي يُدعى "ملك بلاد ما بين النهرين (آرام نهاريم) ويقال إنه مارس السيادة على بني إسرائيل لمدة ثماني سنوات . ومع ذلك، فإن هذا التعريف غير مؤكد للغاية بحيث لا يمكن افتراضه دون مزيد من الأدلة . التاريخ المحتمل لتشوشان ريس أثايم هو قبل قرنين (أو ثلاثة) من الزمان ، ولقبه (ملك بلاد ما بين النهرين) هو لقب لا يُطلق في أي مكان آخر على الملوك الآشوريين ..

لقد وصلت إلينا بعض التفاصيل الغامضة فيما يتصل بالحرب البابلية ضد آشور-ريس-إيليم . ويبدو أن نبوخذ نصر كان هو المهاجم . فقد بدأ الحرب بالزحف على نهر ديالخ والتقدم نحو آشور على طول تلال زيجروس النائية ، وهو الطريق الذي سلكه بعد ذلك طريق آشور العظيم الذي وصفه هيرودوت . وخرج آشور-ريس-إيليم لملاقاته شخصياً ، واشتبك معه في منطقة الجبال، وصد هجومه . وعند هذا انسحب الملك البابلي ، وبعد فترة من الوقت ، لا نعرف مدتها ، تقدم مرة ثانية ضد آشور ، ولكنه اتخذ الآن خطاً مباشراً عبر السهل . وفي هذه المناسبة اكتفى آشور-ريس-إيليم بتوظيف قائد عسكري ضد الغازي . فأرسل عرباته وجنوده نحو حدوده الجنوبية ، ونجح مرة أخرى ، فحقق انتصاراً ثانياً على خصمه ، الذي فر هارباً ، تاركاً في يديه أربعين عربة وراية . إن تغلث فلاصر الأول ، الذي خلف آشور-ريس-إيليم حوالي عام 1130 قبل الميلاد ، هو أول ملك آشوري نمتلك الكثير من التفاصيل عن تاريخه والتي يمكن عرضها بالتفصيل . ويرجع هذا إلى الحفاظ على وثيقة طويلة تعود إلى عهده واستردادها ، والتي سجلت أحداث السنوات الخمس الأولى من حكمه . وبما أن هذه الوثيقة هي الدليل الرئيسي الذي نمتلكه على حالة آشور ، وشخصية الملك ونبرة تفكيره ، بل والحالة العامة للعالم الشرقي ، في الفترة المعنية – والتي تتزامن بالتأكيد مع جزء من سيطرة القضاة على إسرائيل ، وربما مع الفتوحات المبكرة للدوريين في اليونان فمن

المستحسن أن نعطي في هذا المكان مثل هذا الحساب ، وعدداً من المقتطفات التي تمكن القارئ من تكوين حكمه الخاص على هذه النقاط المختلفة ..

تبدأ الوثيقة بسرد وتمجيد الآلهة العظيمة التي تحكم السماء والأرض ، وهي حراس مملكة تيغلث فلاسر . هؤلاء هم (آدي ، الرب العظيم ، الذي يحكم الآلهة ، طاوسي ملك الرب ، رب العالم ، شيسين الزعيم ، رب الإمبراطورية ، شيشمس ، مؤسس السماء والأرض ، إيزيد الذي يتسبب في غضب العاصفة على الأراضي المعادية ، ناسردين ، البطل الذي يخضع الأرواح الشريرة والأعداء ، وخاتون فخرا ، مصدر الآلهة ، ملكة النصر ، التي تنظم المعارك) . هذه الآلهة، التي (كما قيل) وضعت تيغلث فلاسر على العرش ، ثبتته، وعهدت إليه بالتاج الأعلى ، وعينته بقوة لسيادة شعب بل ، ومنحته السيادة والرفعة والقوة الحربية ، يتم استدعاؤها لجعل مدة إمبراطوريته تستمر إلى الأبد لذريته الملكية ، وتستمر مثل المعبد العظيم لخاتون فخرا ..

في القسم التالي يمجد الملك نفسه ، ويعدد ألقابه الملكية على النحو التالي تيغلث فلاسر الملك القوي ، ملك شعوب الألسنة المختلفة ، ملك المناطق الأربع ؛ ملك كل الملوك ، سيد الأرباب ، الأعلى ، ملك الملوك ، الزعيم الشهير ، الذي ، تحت رعاية إله الشمس ـ شيشمس ، مسلحاً بالصولجان ومشدوداً بحزام السلطة على البشرية ، يحكم كل شعب آدي (الأمير العظيم الذي يتفاخر الملوك بحمده ، والملك السامي الذي عيَّن آشور خدمه لحكم المناطق الأربع ، وجعل اسمه مشهوراً للأجيال القادمة ، الفاتح للعديد من السهول والجبال في البلاد العليا والسفلى ، البطل المنتصر الذي غمر رعبه جميع المناطق ؛ الكوكبة الساطعة التي حاربت الدول الأجنبية كما أراد ، وتحت رعاية آدي –حيث لا يوجد مثيل له– أخضع أعداء آشور) ..

يبدأ المؤرخ الملكي بعد هذه المقدمة بسرد أفعاله أولاً بعبارات عامة ، فيعلن أنه أخضع كل الأراضي والشعوب المحيطة ، ثم يشرع في تفصيل الحملات المختلفة التي شنها خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه . كانت أولى هذه الحملات ضد المسكيين (بيت مسكين) ، أو الموسكيين ، الذين ربما كانوا متطابقين مع ماشك الكتاب المقدس وهو شعب يحكمه (كما يقال) خمسة ملوك ، ويسكن بلاد ألزي وبوروخوز ، وهي أجزاء (ظاهرياً) من طوروس أو نيفات . ويقال إن هؤلاء الموسكيين أهملوا لمدة خمسين عاماً دفع الجزية المستحقة عليهم للآشوريين ، ويبدو أنهم ثاروا عليهم أثناء حكم آشور ديان ، بعد أن كانوا خاضعين لآشور من قبل. وفي ذلك الوقت ، غزت قوات قوامها عشرون ألف رجل مقاطعة كوموك المجاورة (كوماجيني) ، التابعة للآشوريين ، واستولت عليها .

فهاجمهم تغلث فلاسر في هذه البلاد التي تم فتحها حديثاً ، وهزم جيشهم تماماً . ثم هزم كوماجيني ، على الرغم من المساعدة التي تلقاها السكان من بعض جيرانهم . وأحرق المدن ، ونهب المعابد ، ودمر البلاد المفتوحة ، واستولى ، إما في شكل نهب أو جزية ، على كميات هائلة من الماشية والكنوز ..

لقد مررت ببلد كاسيارا ، وهي منطقة صعبة . ومعهم 20 ألف رجل وملوكهم الخمسة ، في بلد كوموك ، هزمتهم . لقد هزمت صفوف محاربيهم في المعركة كما لو كانوا من العاصفة . لقد غطت جثثهم الوديان وقمم الجبال ، لقد قطعت رؤوسهم . لقد جعلت من أسوار مدنهم أكواماً ، مثل تلال من التراب . لقد نهبت منقولاتهم وثرواتهم وممتلكاتهم الثمينة إلى كمية لا تحصى . لقد أخذت ستة آلاف من جنودهم العاديين ، الذين فروا أمام خدمي وقبلوا نيري ، وسلمتهم لرجال إقليمي كعبيد ..

كانت الحملة الثانية جزئياً في نفس المنطقة ومع نفس الشعب. تعرض الموشيون ، الذين ما زالوا مترددين في دفع الجزية ، للهجوم مرة أخرى وتم تقليصهم . تم اجتياح كوماجين بالكامل ، وتم إلحاق المنطقة بالإمبراطورية الآشورية هوجمت القبائل المجاورة في حصونها ، وأحرقت مدنها، ودمرت أراضيها . في نفس الوقت ، شنت الحرب على العديد من الشعوب أو الأمم الأخرى . من بين هؤلاء الأكثر شهرة الخاتي (الحثيين) ، الذين ارتكبت قبيلتان منهم ، الكاسكييت والأوروميس ، عدواناً على الأراضي الآشورية ولهذا عوقبوا بغزو لم يجرؤوا على مقاومته ، بنهب ممتلكاتهم الثمينة ، وخطف 120 من عرباتهم . في اتجاه آخر ، عبر الزاب السفلي ، وتم نقل الأسلحة الآشورية إلى منطقة زاغروس الجبلية ، حيث تم هدم بعض المعاقل والاستيلاء على قدر كبير من الكنوز . كانت الحملة الثالثة ضد القبائل العديدة من قبيلة نايري ، التي يبدو أنها كانت تسكن في ذلك الوقت جزئياً إلى الشرق من نهر الفرات ، ولكن أيضاً في المناطق الجبلية الواقعة غربي النهر من سميل إلى خليج إسكندرون . ويقال إن هذه القبائل لم تستسلم أبداً للآشوريين من قبل . لقد حكمها عدد من الزعماء الصغار أو الملوك ، الذين لم يقل عددهم عن ثلاثة وعشرين . ويبدو أن القبائل الواقعة شرقي نهر الفرات قد تقلصت دون مقاومة تذكر ، في حين جمعت القبائل التي كانت تسكن غرب النهر قواتها معاً وخاضت معركة ضد الغزاة ، ودافعت عن بلادها لفترة طويلة وبائسة . ولكن كل هذا كان بلا جدوى . فقد حقق الملك الآشوري نصراً عظيماً ، واستولى على مائة وعشرين عربة ، ثم طارد قبيلة نايري المهزومة وحلفائها حتى البحر الأعلى أي البحر الأبيض المتوسط . وقد أعقب ذلك الخراب والدمار المعتاد ، مع الغرابة في أن أرواح الملوك نجت ، وأن البلاد فرضت عليها جزية معتدلة ، وهي 1200 حصان و200 رأس من الماشية ..

وفي الحملة الرابعة هاجم الملك الطموح الآراميين المتواجدين في سوريا . وقد احتلوا في ذلك الوقت وادي الفرات ، من حدود التسوخيين أو الشوحيين ، الذين كانوا يسيطرون على النهر من حوالي عنة إلى هيت ، حتى كركميش ، المدينة الحدودية والمعقل الرئيسي للحثيين أو الخاتيين . ولم تكن كركميش ، كما كان من المفترض عادة ، قرشيسيوم ، عند تقاطع الخابور مع الفرات ، بل كانت أعلى بكثير على مجرى النهر ، وبالتأكيد بالقرب من ، وربما في نفس موقع ، مدينة مابوغ أو هيرابوليس اللاحقة . وعلى هذا فإن الآراميين كانوا يمتلكون إقليماً ليس بعرض كبير ، بل يبلغ طوله 230 ميلاً بين طرفيه الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي . وقد ضرب تغلث فلاسر هذه المنطقة ، كما يخبرنا

، بضربة واحدة . فهاجم أولاً الضفة الشرقية أو اليسرى للنهر وأخضعها ، ثم عبر النهر في قوارب مغطاة بالجلود ، واستولى على ست مدن على الضفة اليمنى وأحرقها ، وعاد سالماً بغنائم هائلة ..

كانت الحملة الخامسة والأخيرة ضد بلاد مصر ، وهو ما فهمه بعض المستشرقين على أنه مصر السفلى . ولكن يبدو أن هذا خطأ . فالنقوش الآشورية تشير إلى بلدين باسم مصر أو مسر ، أحدهما مصر ، والآخر جزء من النوبة العليا . كانت حملة تغلث فلاصر الأول ضد مصر الشرقية وهي دولة جبلية عالية . وعلى الرغم من قوتها الطبيعية ومقاومة سكانها ، فقد اجتاحها الآشوريون بالكامل في مساحة قصيرة بشكل لا يصدق . وهُزمت الجيوش التي دافعت عنها ، وأحرقت المدن ، واستولى الآشوريون على المعاقل . واستسلمت أرين العاصمة ، وتم إنقاذها ، وبعد ذلك فُرضت جزية محددة على المنطقة بأكملها ، ولم يُذكر مقدارها. ثم تحولت الأسلحة الآشورية ضد منطقة مجاورة ، وهي بلاد الكوماني . ولقد قدم الكومانيون المساعدة لشعب مصر ، على الرغم من كونهم رعايا آشوريين ، وكان من المقرر أن يعاقب تغلث فلاسر شعب مصر على هذه الوقاحة ، فقام بغزو أراضيهم . وبعد أن هزم جيشهم الرئيسي ، الذي كان يتألف من عشرين ألف رجل ، شرع في مهاجمة القلاع والمدن المختلفة ، فهاجم بعضها ، بينما استسلمت بعضها الآخر حسب تقديره . وفي كلتا الحالتين ، هدمت التحصينات ودُمرت ، ونجت المدن التي استسلمت ، بينما أحرقت المدن التي اقتحمها. وسرعان ما خضعت بلاد الكومانيين المترامية الأطراف بالكامل ، وفرضت جزية تفوق ما كان مطلوباً من الشعب في السابق . بعد هذا التقرير عن الحملة الخامسة ، يمكن تلخيص النتيجة الكاملة للحروب على هذا النحو ((وقعت في يدي ، بين بداية حكمي وسنتي الخامسة ، اثنتان وأربعون دولة مع ملوكها ، من ضفاف نهر الزاب إلى ضفاف نهر الفرات ، بلاد الرهطي والمحيط العلوي لغروب الشمس . أخضعتهم لحكومة واحدة ، وأخذت منهم رهائن ، وفرضت عليهم الجزية والقرابين)) ..

وبعد أن وصف الملك إنجازاته العسكرية ، انتقل إلى وصف مآثره في المطاردة . ففي بلاد الحثيين ، يتفاخر بأنه قتل أربعة ثيران برية قوية وضارية بسهامه ، وفي جوار حران ، على ضفاف نهر الخابور ، قتل عشرة جواميس برية ضخمة (؟) ، وأسر أربعة منها حية . وقد حمل هذه الحيوانات التي أسرها معه عند عودته إلى آشور ، عاصمته ، إلى جانب قرون وجلود الوحوش المذبوحة . أما الأسود التي دمرها في رحلاته المختلفة فقد قدر عددها بنحو 920 أسوداً . ويعزو كل هذه النجاحات إلى الحماية القوية التي وفرها له نين ونيرغال . ثم يشرع المؤرخ الملكي بعد ذلك في تقديم وصف لإدارته المحلية ، والمباني التي أقامها ، والتحسينات المختلفة التي أدخلها . ومن بين هذه التحسينات يذكر معابد آدي ، خاتونافاخرا ، وشيسين، وشيشمس ، والآلهة الرئيسية لمدينة آشور ، والقصور لاستخدامه الخاص ، والقلاع لحماية أراضيه . ومن بين هذه القصور ، يذكر تشييد أعمال الري ، وإدخال الماشية الأجنبية والعديد من حيوانات الصيد إلى آشور ، وتوطين المنتجات النباتية الأجنبية ، وتكاثر المركبات ، وتوسيع الأراضي ، وزيادة عدد سكان البلاد ..

ثم يروي لنا المؤلف قصة ترميم الملك لمعبدين قديمين وعظيمين في مدينة آشور العظيمة . ويسبق هذه القصة بيان رسمي لتفاصيل نسب الملك إلى نينبالازيرا ، الملك الذي يبدو أنه يعتبر مؤسس السلالة . وهو ما يقطع خيط الرواية إلى حد ما من الغرابة والحرج . ولعل سبب تقديم هذه القصة في ذهن الكاتب كان الإشارة الضرورية إلى أحد المعبدين ، وهو معبد آشور ديان (شيسن) ، الجد الأكبر للملك . ويبدو أن هذا المعبد ، الذي ظل قائماً لمدة 641 عاماً ، كان في حالة خراب شديد ، وقد هُدم في عهد آشور ديان ، بينما لم يتم تشييد أي مبنى جديد في غرفته . وظل الموقع خاليًا لمدة ستين عامًا ، حتى قرر تغلث فلاسر ، بعد أن اعتلى العرش مؤخرًا ، أن يبني في المكان معبداً جديدًا للآلهة القديمة ، التي كانت آدي وإيزيد ، ربما كانتا الإلهين الحارسين للمدينة . وفيما يلي وصفه لظروف البناء والتدشين ..

((في بداية حكمي ، أعطاني آدي وإيزيد ، الإلهان العظيمان ، سيدي ، وحراس خطواتي ، أمراً بإصلاح هذا المزار الخاص بهما . لذا صنعت الطوب؛ وسوت الأرض ، وأخذت أبعادها ، ووضعت أساسها على كتلة من الصخور القوية . هذا المكان ، في جميع أنحاء امتداده ، رصفته بالطوب في ترتيب محدد ، خمسون قدماً عمقاً أعددت الأرض ، وعلى هذا الأساس وضعت الأساسات السفلية لمعبد آدي وإيزيد . من الأساسات إلى السقف بنيته بشكل أفضل مما كان عليه من قبل . كما بنيت برجين شاهقين (قبتين مخروطيتين) تكريمًا لآلهتهما النبيلة ، والمكان المقدس ، قاعة واسعة ، كرستها لراحة عبادهما ، ولإسكان أتباعهما ، الذين كانوا كثيرين مثل نجوم السماء لقد أصلحت وبنيت وأكملت عملي ، خارج المعبد صممت كل شيء بنفس العناية كما في الداخل . كومة الأرض التي بنيت عليها قمت بتوسيعها مثل لقد قمت بتزيين قبة السماء ، وقمت بتزيين المبنى بالكامل . لقد رفعت أبراجه إلى السماء ، وقمت ببناء أسقفه بالكامل من الطوب . لقد قمت بإنشاء ضريح مقدس لآلهتهم النبيلة في مكان قريب ، لقد قمت بتمجيد الإلهين العظيمين آدي وإيزيد داخل الضريح . لقد قمت بإقامتهما في نقائهما المحترم ، وقد سررت بقلوب آلهتهما النبيلة ..

أما الترميم الآخر المذكور فهو ترميم معبد لآيزيد فقط ، والذي كان قد بناه في الأصل شماس فول ، ابن إسمي داجون ، مثل معبد آدي وإيزيد معاً . وكان هذا المبنى قد سقط أيضاً في حالة خراب ، ولكنه لم يُهدم مثل المعبد الآخر . ويذكر تيغلث فلاسر أنه (سوى موقعه بالأرض) ، ثم أعاد بنائه من أساساته إلى أسطحه . ووسعه إلى ما هو أبعد من حدوده السابقة ، وزينه . وفي داخله ضحى بضحايا ثمينة لسيده إيزيد . كما وضع في المعبد عدداً من الأحجار أو الرخام النادرة ، التي حصل عليها في بلاد نايري أثناء رحلاته . ثم ينتهي النقش بالدعاء ((منذ أن خصصت مكاناً مقدساً وقاعة نبيلة لاستخدام الآلهة العظيمة ، سيدي آدي وإيزيد ، ووضعت ملحقاً لعبادتهما الخاصة ، وأتممت ذلك بنجاح ، وأسعدت قلوب آلهتهما النبيلة ، فليحفظني آدي وإيزيد في السلطة ! فليدعما رجال حكومتي ! فليثبتا سلطة ضباطي ! فليجلبا المطر ، بهجة العام ، على الأرض المزروعة والصحراء ، خلال وقتي ! فليحفظاني منتصراً في الحرب والمعركة ! لقد أخضعت العديد من البلدان الأجنبية ، والأمم المضطربة ، والملوك المعادين تحت

نيرتي ! لأبنائي وذريتي ، فليحافظوا عليهم في ولاء ثابت ! سأقود خطواتي (أو ليثبتوا قدمي) ، ثابتة مثل الجبال ، إلى الأيام الأخيرة ، أمام آدي وإيزيد وملائكتهما النبيلة)) ..

لقد نقشت على ألواحي وأسطواناتي قائمة انتصاراتي وفهرس انتصاراتي على الأجانب المعادين لآشور ، والتي منحها لي آدي وإيزيد ، ووضعتها [لتظل] إلى الأيام الأخيرة في معبد سيدي آدي وإيزيد . وقد نظفت (؟) ألواح شماس فول ، جدي ، لقد قدمت تضحيات ، وضحيت بضحايا أمامهم ، وأقمتها في أماكنها . في الأيام اللاحقة ، وفي الأيام الأخيرة ، إذا أصبح معبد الآلهة العظيمة ، سيدي آدي وإيزيد ، وهذه الأضرحة قديمة وسقطت في الاضمحلال ، فليصلح الأمير الذي يأتي بعدي الأنقاض ! فليقم بمذابح ويقدم تضحيات أمام ألواحي وأسطواناتي ، وليقم بإقامتها مرة أخرى في أماكنها ، وليكتب اسمه عليها مع اسمي ! كما فعل آدي وإيزيد الآلهة العظيمة ، فليعبدا بإخلاص وبقلب سليم وتوكل كامل ..

((من يخدش أو يتلف ألواحي وأسطواناتي ، أو يرطبها بالماء ، أو يحرقها بالنار ، أو يعرضها للهواء ، أو يخصص لها مكاناً في مكان مقدس لله حيث لا يمكن رؤيتها أو فهمها ، أو يمحو الكتابة ويكتب اسمه ، أو يقسم المنحوتات (؟) ويكسرها من ألواحي ، فليجعل آدي وإيزيد ، الآلهة العظيمة ، سادتي ، اسمه في الهلاك ! فليلعنوه بلعنة لا رجعة فيها ! فليتسببوا في هلاك سيادته ! فليقتلعوا استقرار عرش إمبراطوريته ! لا تدع ذريته تبقى على قيد الحياة في المملكة ! فلتحطم عبيده ! فلتهزم قواته ! فلتفر مهزومًا أمام أعدائه! فلتمزق إيزيد في غضبه نتاج أرضه ! فلتعصف ندرة الطعام وضروريات الحياة ببلاده ! ليوم واحد لا يُدعى سعيدًا ! فلتفنى اسمه وعرقه)) ..

ثم يؤرخ المستند في شهر كوزالا (تشيسلو) ، في اليوم التاسع والعشرين ، في العام الذي ترأسه إنايليا باليك ، الشيخ توري ، ولعل السمة الأكثر لفتًا للانتباه في هذا النقش ، عند مقارنته بوثائق تاريخية أخرى من نفس النوع تنتمي إلى عصور وأمم أخرى ، هي طابعه الديني الايزيدي المكثف . فالاستدعاء الطويل والمهيب للآلهة العظيمة الذي يبدأ به ، والإسناد المميز لمساعدتهم وحراستهم لسلسلة كاملة من النجاحات الملكية ، سواء في الحرب أو في المطاردة ، والفكرة السائدة بأن الحروب كانت تُشن لمعاقبة أعداء آشور ، وأن نتيجتها كانت تأسيس دائرة متزايدة الاتساع لعبادة آشور ؛ والسرد الدقيق الذي يُعطى لبناء وتجديد المعابد ، وتكريس القرابين والصلاة الختامية المذهلة كل هذه أدلة كثيرة على المكانة البارزة التي احتلها الدين في أفكار الملك الذي أنشأ النقش ، ويمكن قبولها بشكل عادل كمؤشرات على النبرة العامة ومزاج شعبه . من الواضح أننا أظهرنا هنا ، ليس خدمة شفوية لائقة ، وليس تقوى تقليدية ، ولكن إيماناً دينياً حقيقياً وصادقاً إيماناً يقترب من التعصب روحاً تشبه ذلك .

إنه يقاتل ، جزئياً ، من أجل سمعته ، ومن أجل توسيع أراضيه ، لكنه يقاتل أيضاً من أجل شرف الآلهة ، الذين ترفضهم الأمم المحيطة ، ومن أجل نشر عبادتهم على نطاق واسع في جميع المناطق المعروفة . حروبه حروب دينية ، على الأقل بقدر حروب الفتح ؛ مبانيه أو على الأقل ، تلك التي يسكن عليها بأكبر قدر من الرضا ، هي مباني

دينية ، النبرة الكاملة لعقله دينية بعمق وصدق ، وإلى جانب الاعترافات الرسمية ، فإنه يتعمد باستمرار إطلاق تعبيرات صغيرة تظهر أن آلهته تتربع على عرش أفكاره ، وتمثل له قوى حقيقية تحكم وتوجه كل الظروف المختلفة للحياة البشرية . والروح الدينية التي يبديها هذا الرجل ، كما كان متوقعاً ، تتسم بالانغلاق وعدم التسامح إلى أقصى درجة ، ولكنها جادة وثابتة وتنتشر في كل مكان ..

في المقام الثاني ، لا يسعنا إلا أن نندهش من الطابع النشط للملك ، والذي يختلف تمام الاختلاف عن المزاج الذي ينسبه كتسياس ، بأوسع وأشمل العبارات ، إلى جميع خلفاء نينوس . ففي غضون السنوات الخمس الأولى من حكمه ، قام الأمير الدؤوب بحملات شخصية إلى كل بلد تقريباً على حدوده ، وهاجم وهزم ست دول مهمة ، إلى جانب العديد من القبائل الصغيرة ؛ وخضع له اثنان وأربعون ملكاً ، وعبر أصعب المناطق الجبلية ، وهزم الجيوش ، وحاصر المدن ، ودمر الحصون والمعاقل ، ونهب الأراضي ، ولم يسمح لنفسه أبداً بلحظة من الراحة ، وعندما لم يكن منخرطًا في العمليات العسكرية ، كرس نفسه للصيد ، وتنافس مع الثور البري والأسد ، وأثبت (مثل أول ملك في بلاد ما بين النهرين) أنه صياد عظيم ، لأنه أحصى ضحاياه بالمئات وفي الوقت نفسه كان ينظر أيضاً إلى الرفاهية المادية لبلاده ، ويزينها بالمباني ، ويثريها بمنتجات الأراضي الأخرى ، سواء الحيوانية أو النباتية ، ويخصبها بوسائل الري، ويحسن بكل طريقة حالة الناس ، ويحصل لهم على الوفرة والأمن فيما يتعلق بالحالة العامة لآشور ، يمكن ملاحظة ، في المقام الأول ، أن العاصمة لا تزال آشور ، وأنه لم يتم ذكر أي مدينة أصلية أخرى . يطلق الملك على نفسه (ملك المناطق الأربع) ، مما يبدو أنه يعني تقسيم المنطقة إلى مقاطعات ، مثل ذلك الذي حدث بالتأكيد في العصور اللاحقة . إن ذكر (أربع) مقاطعات هو إشارة للكومنويلث ، لأن نفس العدد كان من أول المناطق التي تأثرت بالبابليين ، بينما لدينا أيضاً دليل على أنه على الأقل بعد زمن سرجون ، كانت هناك تفوق لأربع مدن عظيمة في آشور . حدود المنطقة في وقت النقش ليست واضحة جداً ، ولكن يبدو أنها تمتد إلى ما وراء النطاقات الخارجية لجبل زاغروس في الشرق ، وجبل نيفات في الشمال ، ونهر الفرات في الغرب .

وربما كان الحد الجنوبي في ذلك الوقت هو بداية الطمي ، ولكن لا يمكن استنتاج ذلك من النقش ، الذي لا يحتوي على أي إشارة إلى أي حملة في اتجاه بابل . ومن الواضح أن الحالة الداخلية لآشور مزدهرة . فالثروة تتدفق من نهب البلدان المجاورة ، ويتم تقليص أجور العمالة بإدخال الأسرى المستعبدين ، ويتم الاعتناء بالري ، ويتم إدخال فواكه وحيوانات جديدة ؛ ويتم إصلاح التحصينات وتجديد القصور وتجميل المعابد أو إعادة بنائها ..

إن البلدان المجاورة لآشور من الغرب والشمال والشرق ، والتي دارت فيها الحروب في تلك الفترة ، تقدم مؤشرات على ضعف سياسي كبير . فهي مقسمة بين عدد هائل من الشعوب والأمم والقبائل ، حيث لا يستطيع أقوى منها أن يجلب إلى الميدان سوى قوة تتألف من عشرين ألف رجل . ولا تمتلك الشعوب والأمم إلا القليل من الوحدة . فكل منها يتألف من مجتمعات منفصلة مختلفة ، يحكمها ملوكها ، الذين يوحدون قواتهم في الحرب ضد العدو المشترك ولكنهم يغارون من بعضهم البعض إلى الحد الذي يجعلهم لا يبدون حتى وكأنهم يعينون قائداً عاماً وعلى

نهر الفرات ، بين هيت وكركميش ، يوجد أولاً التسوخيون أو الشوحيون ، الذين لم يتم ذكر تفاصيل عنهم ، ثم الآراميون أو السوريون ، الذين يحتلون ضفتي النهر ، ويملكون عدداً من المدن ، ولا تتمتع أي منها بقوة كبيرة . وفوق الآراميين يوجد الخاتي أو الحثيون ، ومدينتهم الرئيسية كركميش ، مكان مهم ، وهم منقسمون إلى قبائل ، ومثلهم كمثل الآراميين ، يحتلون ضفتي النهر العظيم . وفي الشمال والشمال الغربي من بلادهم ، ربما وراء سلسلة جبال أمانوس ، يعيش شعب المسكي (المسكيين عشيرة ايزيدية) ، وهو شعب عدواني ، كان يسعى إلى توسيع أراضيه شرقاً إلى أرض القوموك أو شعب كوماجيني . ويسيطر هؤلاء القوموك على البلاد الجبلية على جانبي نهر دجلة العلوي ، ولديهم عدد من المعاقل ، وخاصة على الضفة اليمنى . وإلى الشرق يجاورون الكيرخي ، الذين لابد أنهم سكنوا أطراف نيفاتس ، بينما إلى الجنوب يلمسون النايري ، الذين يمتدون من بحيرة فان ، على طول خط دجلة ، إلى المنطقة المعروفة عند الرومان باسم كوماجيني . وللنايري ثلاثة وعشرون ملكاً على الأقل ، يحكم كل منهم قبيلته أو مدينته . وإلى الجنوب من نايري الواقعة في أقصى الشرق تقع منطقة جبل موزرا ، وهي منطقة مأهولة بالسكان ومليئة بالقلاع ، وربما كانت المنطقة المحيطة بعمادية وروانديز . وعلى مقربة من موزر من الشرق أو الشمال الشرقي توجد قبيلة قوانو أو كوماني ، وهي من أقوى القبائل المجاورة لآشور ، حيث كانت قادرة ، مثل قبيلة مسكي ، على جلب جيش قوامه 20 ألف رجل إلى الميدان . وفي هذا الوقت كانت هذه القبيلة حليفة وثيقة لشعب موزر وأخيراً ، على الجانب الآخر من نهر الزاب السفلي ، على أطراف زاغروس ، توجد قبائل صغيرة مختلفة ذات أهمية ضئيلة ، وهي لا تقاوم إلا قليلاً أسلحة الغزاة ..

كانت هذه هي مكانة آشور بين جيرانها في النصف الأخير من القرن الثاني عشر قبل الميلاد . كانت مملكة متماسكة قوية ، مركزية تحت حكم ملك واحد ، ولها عاصمة كبيرة واحدة ، وسط قبائل متوحشة تتشبث باستقلال منفصل ، كل منها في واديها أو قريتها . وعند اقتراب خطر عظيم ، قد توافق هذه القبائل على الاندماج وتشكيل تحالفات ، أو حتى اتحادات؛ لكن الرابطة الفيدرالية ، التي لم تكن أبداً قوية جداً ، ونادراً ما كانت قادرة على الصمود في وجود قوة ملكية ، كانت ضعيفة بشكل خاص هنا . بعد هزيمة واحدة لقواتهم المشتركة على يد القوات الآشورية ، كان المتحالفون يتفرقون عادةً ، كل منهم يهرب للدفاع عن مدينته أو إقليمه ، بأنانية قصيرة النظر تستحق الهزيمة وتضمنها . في اتجاه واحد فقط واجهت آشور دولة منافسة تمتلك قوة وتنظيماً لا يختلفان في طبيعتهما عن قوتها وتنظيمها ، وإن لم يكن لهما نفس القوة تقريباً . وعلى حدودها الجنوبية ، في السهل المسطح الواسع الذي يتوسط مرتفعات بلاد ما بين النهرين والبحر ، كانت مملكة بابل لا تزال قائمة ، ورغم أن ملوكها الساميين استقروا على العرش في الأصل بتأثير آشوري ، فقد حلوا كل صلة بحماتهم القدامى ، وأكدوا استقلالهم التام . وهنا إذن كانت هناك دولة كبيرة ، مركزية بقدر مركزية آشور نفسها ، وليست أقل شأناً منها كثيراً سواء من حيث المساحة أو عدد السكان ، وكانت تعيش جنباً إلى جنب معها ، وتشكل نوعاً من الكبح ، حيث ظل شيء أشبه بتوازن القوى قائماً في غرب آسيا ، وكانت آشور لا تزال محرومة من الشعور بأنها السيدة المطلقة للشرق ، والمحكم غير المنضبط لمصائر العالم . بالإضافة إلى النقش الأسطواني الكبير لتغلث فلاسر ، هناك خمس سنوات أخرى من سجلاته في أجزاء ،

والتي نعلم منها أنه واصل حملته العدوانية خلال هذه الفترة ، وخاصة نحو الشمال الغربي ، حيث أخضع اللولوميين في شمال سوريا ، وهاجم كركميش واستولى عليها ، وطارد السكان عبر الفرات في القوارب ..

ولم يرد ذكر أي صدام بين آشور ومنافستها الكبرى بابل خلال هذه الفترة . ويبدو أن نتيجة الحروب التي شنها آشور–ريس–إيليم ضد نبوخذ نصر الأول كانت إثارة شعور بالاحترام المتبادل بين الطرفين المتحاربين ، ولم يتعد تغلث فلاسر في سنواته الأولى على الأراضي البابلية في غاراته العدوانية ، ولم يجد نفسه مدعوًا لمواجهة وصد أي غزو لممتلكاته من قبل جيرانه الجنوبيين . ولكن قبل نهاية حكمه اندلعت أعمال عدائية نشطة بين القوتين . فإما بسبب بعض أعمال التخريب على الحدود أو بسبب الرغبة في الفتح ، قاد تغلث فلاسر قواته إلى بابل . ولقد أهدر تيغلث فلاسر ، لمدة عامين متتاليين ، بالنار والسيف، المقاطعات العليا أو الشمالية ، فاستولى على مدن

كوري–جالزو . التي تعرف الآن باسم أكيركوف . وسيبارا الشمسانية ، وسيبارا أنونيت القمرية ، وهوبا أو أوبيس ، على نهر دجلة ، وأخيراً استولى على بابل نفسها ، التي أثبتت عجزها عن مقاومة الغزاة ، على الرغم من قوتها . وعند عودته ، مر عبر وادي الفرات ، واستولى على عدة مدن من تسوخي . ولكن يبدو أنه عانى من انتكاسة هنا فلابد أن مرودخ–إديو–آخي، خصمه ، إذا لم يهزم جيشه بالفعل ، قد أزعجه بشدة أثناء انسحابه ، لأنه استولى على جزء مهم من أمتعته . وكان تيغلث فلاسر ، الذي استسلم لخرافة شائعة في العصور القديمة ، يحمل معه في حملته بعض صور الآلهة ، التي كان يُعتقد أن وجودها سيضمن له النصر . وقد استولى مرودخ إديو أخي على هذه التماثيل ، ونجح في نقلها إلى بابل ، حيث تم الحفاظ عليها لأكثر من 400 عام ، واعتبرت تذكارات من النصر ..

ولقد كانت الأيام الأخيرة من حكم هذا الأمير الآشوري العظيم ، للأسف ، مليئة بالكارثة . فلم ينجح هو ولا ذريته ولا أي ملك آشوري طيلة أربعة قرون في استعادة التماثيل المفقودة ، وإعادتها إلى الأضرحة التي انتُزِعَت منها ومنذ ذلك الحين ظهرت روح عدائية وحسد في العلاقات بين آشور وبابل ؛ فلم نعد نجد أي زواج بين أسرة ملكية وأخرى ، وكانت الحروب متكررة . تكاد تكون مستمرة حتى أن كل ملك آشوري تقريباً ، نعرف تاريخه بكل تفاصيله ، قام بحملة واحدة على الأقل إلى بابل . ولا يزال هناك عمل يعود إلى عهد هذا الملك ، ويبدو منه أن الطابع الغريب للفن المقلد الآشوري كان راسخاً في عصره ، حيث كان أسلوب التمثيل مطابقاً تماماً لما كان سائداً في أكثر فترات ازدهارها ، كما أن جودة الصنعة لم تكن أدنى كثيراً من ذلك . في كهف ينبع منه نهر تسوبنات أو الفرع الشرقي لنهر دجلة ، بالقرب من قرية تسمى كورخار ، وعلى بعد حوالي خمسين أو ستين ميلاً إلى الشمال من درار بكر ، يوجد نقش بارز على الصخر الطبيعي ، الذي تم صقله لهذا الغرض ، ويتكون من صورة للملك في ثوبه الكهنوتي مع ذراعه اليمنى ممتدة واليد اليسرى ممسكة بالصولجان القرباني ، مصحوبة بنقش مكتوب على النحو التالي (بفضل آشور وشماس وفول ، الآلهة العظماء ، أنا ، تيغلث فلاسر ، ملك آشور ، ابن آشوري إيليم ، ملك

آشور ، الذي كان ابن موتاغيل نبو، ملك آشور ، يسير من البحر الكبير أخيري (البحر الأبيض المتوسط) إلى بحر نايري (بحيرة فان) للمرة الثالثة غزوا بلاد نايري الأرمنية الشمسانية)) ..

إن حقيقة خوضه للحرب في بلاد ما بين النهرين السفلى هي كل ما نعرفه تقريباً عن ابن تغلث فلاسر وخليفته ، آشور بيل كالا . وقد سُجِّلت معركة بينه وبين الأمير البابلي ، مرودخ شابيك زيري (الذي يبدو أنه كان خليفة مرودخ الدين آخي) ، على اللوح المتزامن الشهير، بالتزامن مع الحروب البابلية التي خاضها والده وجده ، ولكن اللوح مصاب بضرر بالغ في هذا المكان لدرجة أنه لا يمكن جمع أي تفاصيل منه . ومن نصب تذكاري يعود إلى زمن آشور بيل كالا نفسه . وهو أحد أقدم المنحوتات الآشورية التي وصلت إلينا . ربما نستطيع أن نستنتج أنه ورث شيئاً من الروح الدينية لوالده ، وأنه خصص جزءاً من اهتمامه لتزيين المعابد الإيزيدية وإقامة التماثيل ..

إن التاريخ المحتمل لحكم آشور بيل كالا هو نحو 1110-1090 قبل الميلاد . ويبدو أن أخاه الأصغر، شماس فول ، قد خلفه على العرش ، ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنه بنى معبداً إيزيدياً في نينوى أو أصلحه . ومن المحتمل أن حكمه استغرق الفترة بين 1090 و1070 قبل الميلاد . ومن ثم يبدو أنه كان معاصراً لسمندس في مصر . ومن غير المرجح أن يزعج حدث تافه مثل تأسيس مملكة كنعانية شمسانية في فلسطين أفكار ملك آشوري ، حتى لو وصل إلى علمه . ولا شك أن شماس فول كان لينظر بازدراء شديد إلى الملك الصغير الذي يحكم منطقة صغيرة مثل فلسطين ، وكان لينظر إلى المملكة الجديدة باعتبارها لا تستحق اهتمامه أكثر من أي من الإمارات الصغيرة العشرة آلاف التي تقع على حدوده أو بالقرب منها . ولكن لو كان بوسعه أن يمتلك لبضع لحظات البصيرة النبوية التي منحها قبل بضعة قرون شخص يمكن أن نطلق عليه مواطنه ، لكان قد اندهش حين أدرك في المملكة المتواضعة التي كانت ترفع رأسها للتو في أقصى الغرب ، والتي تكافح من أجل الصمود في وجه قسوة الفلسطينيين وقمعهم ، قوة ستبرز أمام العالم في غضون ما يزيد قليلاً عن خمسين عاماً باعتبارها مساوية لدولته ، إن لم تكن متفوقة عليها . والواقع أن الروعة الإمبراطورية لمملكة ملكي سالم قد حجبت لفترة من الوقت أمجاد آشور الأقدم . ومن الجدير بالملاحظة أن آشور مرت تحت سحابة من الغيوم في الوقت الذي نشأت فيه مملكة عظيمة وقوية في المنطقة الواقعة بين مصر والفرات . لقد ظل تاريخ البلاد فارغًا تقريباً لمدة قرنين من الزمان بين حكم شماس فول وتجلاتي نين الثاني ، الذي حدد القانون الآشوري توليه العرش في عام 1500 قبل الميلاد . 889 . وخلال أكثر من ثلاثة أربا ع هذه الفترة ، من حوالي عام 1070 قبل الميلاد إلى عام 930 قبل الميلاد ، كانت أسماء الملوك مجهولة لنا بالكامل تقريباً . ويبدو الأمر وكأن غرب آسيا لم يكن بها متسع لوجود مملكتين من الدرجة الأولى وازدهارهما في نفس الوقت ، وعلى هذا ، فبرغم عدم وجود نزاع أو حتى اتصال بين الإمبراطوريتين كنعان وآشور ، إلا أن صعود إحداهما إلى العظمة لم يكن ليحدث إلا في ظل ضعف متزامن للأخرى ..

ومن اللافت للنظر أن يظهر لأول مرة في هذه الفترة من الظلام ، عندما بدا أن آشور كانت ضعيفة بشكل خاص واستثنائي بسبب فشل كل من المباني والسجلات ، أنها امتدت نفوذها إلى ما وراء سوريا إلى المملكة العظيمة القديمة

في مصر وكذلك الى كل من قبرص وكريت وأثبتت الكثير من الدراسات البيولوجية والجينية الحديثة إمتداد سكان المنطقتين الى آشور وعرقها . وفي الأسرة المصرية الثانية والعشرين ، التي بدأت بشيشنق الأول ، أو شيشق ، ظهرت الأسماء الآشورية لأول مرة في قوائم الأسر المصرية . وقد افترض من هذا الظرف أن الأسرة الثانية والعشرين بأكملها ، إلى جانب الأسرة التي تلتها ، كانت آشورية ، لكن حالة آشور في ذلك الوقت تجعل مثل هذه الفرضية غير محتملة إلى حد كبير . ويبدو أن التفسير الحقيقي هو أن الملوك المصريين في هذه الفترة تزوجوا أحياناً من زوجات آشوريات ، أطلقن بطبيعة الحال أسماء آشورية على بعض أطفالهن . وربما كانت هؤلاء الزوجات أعضاء في العائلة المالكة الآشورية ، أو ربما كن بنات النبلاء الآشوريين الذين تم تعيينهم من وقت لآخر نواباً للملك في المدن والدول الصغيرة التي غزاها ملوك نينوى على أطراف إمبراطوريتهم . وكل من هذين الافتراضين أكثر احتمالاً من تأسيس سلالة آشورية حقيقية في مصر في وقت من الضعف والكساد غير العاديين ..

وعندما تظهر آشور مرة أخرى في نهاية هذه الفترة الطويلة من الغموض ، لا نملك في البداية سوى رؤية خافتة وغير واضحة لها من خلال الضباب الذي لا يزال يلف ويغلف شكلها . ونلاحظ أن عاصمتها لا تزال ثابتة في كالح شرقاط ، حيث نجد سلسلة جديدة من الملوك، يحملون أسماء تشبه في معظمها أسماء الفترة السابقة ، يعملون في إصلاح وتوسيع المباني العامة ، ويحصلون فيما يتصل بذلك على ذكر مشرف في نقش لملك لاحق . ربما اعتلى آشور ديان ، أول ملك من هذه المجموعة ، العرش حوالي عام 930 قبل الميلاد . ويبدو أنه حكم من حوالي عام 930 قبل الميلاد إلى عام 911 قبل الميلاد . وخلفه في عام 911 قبل الميلاد ابنه فولوش الثاني ، الذي تولى العرش من عام 911 قبل الميلاد إلى عام 911 قبل الميلاد . 889. لا نعرف شيئاً حتى الآن عن تاريخ هذين الملكين . ولم يتم العثور على أي نقوش تاريخية تخص عهديهما ، ولم يتم تسجيل أي مآثر لهما في نقوش الملوك اللاحقين . إنهما يقفان أمامنا مجرد (ظلال لأسماء عظيمة) أدلة على عدم اليقين من الشهرة بعد الوفاة ، والتي غالباً ما تكون بمثابة مكافأة الصدفة مثلها كمثل المكافأة المستحقة للمزايا الفائقة ..

لقد وصلت إلينا عن تيغلاثي نين ، الملك الثاني الذي يحمل نفس الاسم ، والملك الثالث للمجموعة التي ندرسها ، ملاحظة تاريخية مهمة ، موجودة في نقش لابنه . ففي حوليات آشور ناصر بال العظيم المنقوش على صخرة نمرود ، يخبرنا ذلك الأمير ، بينما كان يحتفل بمغامراته الحربية ، أنه أقام منحوتاته عند منابع نهر تسوبنات إلى جانب منحوتات أقامها سابقًا أسلافه تيغلاث فلاسر وتغلاثي نين . إن قيام تيغلاثي نين برحلة بعيدة جداً هو أمر أكثر إثارة للدهشة من قِصر حكمه ، الذي دام ست سنوات فقط . ووفقاً للقانون ، فقد اعتلى العرش في عام 889 قبل الميلاد ؛ وخلفه ابنه آشور ناصر بال في عام 883 قبل الميلاد ..

مع آشور ناصر بال بدأت واحدة من أكثر فترات الإمبراطورية ازدهاراً . خلال السنوات الخمس والعشرين من حكمه النشط والمجهد ، وسعت آشور حدودها وزادت نفوذها في كل اتجاه تقريباً ، وفي الوقت نفسه ، تقدمت بسرعة في الثروة والفنون ، في هذا المجال الأخير قفزت فجأة إلى مكانة مرموقة لم تبلغها عبقرية بشرية من قبل (على

حد علمنا) . إن حجم وروعة مباني آشور ناصر بال ، والتميز الفني في زخارفها ، والفخامة والروعة التي تعرضها لنا على أنها مألوفة للملك الذي أقامها ، والمهارة في مختلف الفنون المفيدة التي تعرضها أو تشير إليها ، أثار إعجاب أوروبا ، التي رأت بدهشة أن العديد من اختراعاتها كانت متوقعة ، وأن رفاهيتها كانت تكاد تعادل شعباً آسيوياً قبل تسعة قرون من العصر المسيحي . إن مهمتنا الممتعة في هذه المرحلة من التاريخ ، بعد أن نستعرض بإيجاز حروب آشور ناصر بال ، أن نعطي وصفًا للأعمال العظيمة التي بناها بحيث تنقل للقارئ فكرة عامة على الأقل عن حضارة الآشوريين وتطورهم في الفترة التي نصل إليها الآن كانت الحملة الأولى لآشور ناصر بال في شمال مارغا وفي الأجزاء المجاورة لأرمينيا . ولم تظهر أي سمات ملحوظة للغاية ، رغم أنه يدعي أنه اخترق منطقة (لم يقترب منها الملوك آباؤه قط) . وأعداؤه هم النومي أو العيلاميون (أي المتسلقون) والكيرخي ، الذين يبدو أنهم تركوا اسمهم في كورخ الحديثة. ويبدو أن أيًا من الشعبين لم يتمكن من إحداث الكثير من المتاعب ضده لم يتم خوض أي معركة سعى السكان الأصليون فقط للدفاع عن أماكنهم المحصنة ، لكن معظم هذه الأماكن استولى عليها الغزاة ودمروها. وقد تعرض أحد الزعماء ، الذي وقع في الأسر ، لمعاملة وحشية للغاية فحملوه إلى أربيل ، وهناك تم جلده وتعليقه على سور المدينة وقلعتها ..

كانت الحملة الثانية التي شنها آشور ناصر بال ، والتي جرت في نفس العام الذي جرت فيه حملته الأولى ، موجهة ضد المناطق الواقعة إلى الغرب والشمال الغربي من آشور . فعبر بلاد قموخ ، وتسلم الجزية منها ، وكذلك جزية سركي وصديقان (أربان) ، وتقدم ضد قبيلة اللاكي ، التي يبدو أنها كانت في ذلك الوقت رئيسة شعب بلاد ما بين النهرين الوسطى ، الممتدة من جوار الحضر إلى وسط نهر الفرات أو حتى ما بعده . وهنا تمرد أهل مدينة تدعى آشورا ، وقتلوا حاكمهم ، واستدعوا أجنبياً ليحكمهم . فسار آشور ناصر بال على عجل ضد المتمردين ، الذين استسلموا عند اقترابه ، وسلموا مدينتهم وملكهم الجديد إلى رحمته . فقيد الأخير بالقيود وحمله معه إلى نينوى ؛ وعامل الأول بقسوة غير مسبوقة تقريباً . وبعد أن نهب المكان كله أولاً ، سلم بيوت كبار رجاله إلى ضباطه ، ونصب حاكماً آشورياً في القصر ، ثم اختار من بين السكان أشد الناس إثماً ، فقام بصلب بعضهم ، وحرق آخرين ، وعاقب الباقين بقطع آذانهم أو أنوفهم . ولا نستطيع أن نندهش حين نعلم أنه بينما كان (يرتب) هذه الأمور على هذا النحو ، أرسل ملوك لاكي المتبقون خضوعاً إلى الفاتح ، ودفعوا له الجزية بفرح ظاهر ، رغم أنها كانت عبئاً ثقيلاً ومتزايداً ..

وفي حملته الثالثة التي كانت في سنته الثانية حول آشور ناصر بال سلاحه إلى الشمال ، وسار نحو أعالي دجلة ، حيث أجبر ملوك نايري ، الذين استعادوا استقلالهم على ما يبدو ، على الاستسلام ، وعين لهم جزية سنوية من الذهب والفضة والخيول والماشية وغيرها من السلع . وفي سياق هذه الحملة ، بعد أن صعد إلى منابع نهر تسوبنات ، أو دجلة الشرقية ، أقام آشور ناصر بال نصبه التذكاري جنباً إلى جنب مع النصب التذكارية التي أقيمت سابقاً في نفس الموقع من قبل تيجلث فلاسر وتيجلث نين الأول أو الثاني . وكانت الحملة الرابعة لآشور ناصر بال نحو

الجنوب الشرقي . ولقد عبر نهر الزاب الصغير، ودخل سلسلة جبال زاغروس ، وحمل النار والسيف عبر وديانه المثمرة . فدفع بسلاحه إلى أبعد مما دفع أي من أسلافه ، واستولى على عشرات المدن ، وتقبل الجزية أو انتزعها من اثني عشر ملكاً صغيراً . ولعل أقصى مدى وصل إليه في مسيرته كان منطقة زوهب عبر فرع شروان من نهر ديالى ، والتي أطلق عليها اسم إيديسا. وعند عودته بنى ، أو بالأحرى أعاد بناء ، مدينة دمرها ملك بابلي يدعى تسيبير في فترة بعيدة ، وأطلق على مؤسسته الجديدة اسم دور آشور ، تقديراً للحماية التي منحه إياها آدي (رئيس الآلهة) . وفي حملته الخامسة ، وجه الملك المحارب خطواته مرة أخرى نحو الشمال . وبعد أن مر ببلاد القوموخ ، وتسلم منهم الجزية ، انطلق إلى الحرب في الجزء الشرقي من جبل ماسيوس ، حيث استولى على مدينتي ماتيات (ميديات الآن) وكابرانياسا . ويبدو أنه عبر نهر دجلة وحارب على أجنحة نيفاتس ، حيث كان عدوه الرئيسي هو أهل كاسيارا . وعند عودته من هناك ، دخل أراضي نايري ، حيث أعلن أنه أطاح ودمر 250 مدينة مسورة قوية ، وقتل عددًا كبيراً من الأمراء . وكانت الحملة السادسة لآشور ناصر بال في اتجاه الغرب . انطلق من كالح أو نمرود ، وعبر نهر دجلة ، وسار عبر وسط بلاد ما بين النهرين إلى الشمال قليلاً من سلسلة جبال سنجار ، وأخذ الجزية من عدد من المدن الخاضعة له على طول مجاري أنهار جيرجر وخابور والفرات ، ومن أهمها سيديكان وسيركي ، وعنات (عنة الآن). ومن عنات ، التي كانت على ما يبدو مدينته الحدودية في هذا الاتجاه ، غزا بلاد التسوخي (الشوحيين) ، واستولى على مدينتهم صور ، وأجبرهم ، على الرغم من المساعدة التي تلقوها من جيرانهم البابليين ، على الاستسلام . ثم دخل الكلدانيين ، وعاقب الكلدانيين ، وبعد ذلك عاد منتصراً إلى بلده ..

كانت حملته السابعة ضد الشوحيين أيضاً . فقد تحرروا من الضغط المباشر من سلاحه فتمردوا ، بل وتجرأوا على غزو الإمبراطورية الآشورية . وساعدهم في ذلك اللاركيين ، الذين كانت أراضيهم مجاورة لأراضي الشوحيين من الشمال والشرق . وكان الجيش المشترك ، الذي تمكن الحلفاء من إحضاره إلى الميدان ، يبلغ على الأرجح عشرين ألف رجل ، بما في ذلك عدد كبير من المحاربين الذين قاتلوا في عربات . هاجم آشور ناصر بال أولاً المدن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، والتي شعرت بقوته في المناسبة السابقة ، وبعد أن قلص هذه المدن وعاقب تمردها بشدة كبيرة ، عبر النهر على طوافات، وخاض معركة مع الجيش الرئيسي للعدو . وفي هذه المعركة انتصر تماماً ، وهزم السوخي وحلفائهم بمذبحة كبيرة، ودفع قواتهم المهزومة إلى الفرات ، حيث هلك عدد كبير منهم غرقاً . وسقط في المعركة ستة آلاف وخمسمائة من المتمردين ، ولقد دمر الملك الغاضب البلاد الواقعة على الضفة اليمنى للنهر ، والتي نجت من الغزو في الحملة السابقة ، بالنار والسيف . وأحرقت المدن والقلاع ، وقُتل الذكور بحد السيف ، واختطفت النساء والأطفال والماشية . وذُكر ملكان من ملوك لاكي ، هرب أحدهما ، بينما وقع الآخر في الأسر ، ونقله المنتصر إلى آشور . ثم فُرضت ضريبة على الأرض أعلى بكثير من الضريبة التي كانت مستحقة عليها من قبل وإلى جانب هذا، قام المنتصر، لتعزيز قبضته على البلاد ، ببناء مدينتين جديدتين ، واحدة على كل ضفة من ضفتي نهر الفرات ، وأطلق على المدينة الواقعة على الضفة اليسرى اسمه ، والمدينة الواقعة على الضفة اليمنى اسم الإله آشور

. ولا شك أن كلا المكانين كانا محصنين جيدًا بالجنود الآشوريين ، الذين كان المنتصر يستطيع الاعتماد عليهم بالكامل ..

كانت الحملة الثامنة التي شنها آشور ناصر بال في نفس المنطقة تقريباً ، ولكن المشهد الدقيق كان على ما يبدو أعلى قليلاً من نهر الفرات . كان هازيلو ملك اللاركيين ، الذي نجا من الأسر في الحملة السابقة ، مديناً بسلامته للملجأ الذي قدمه له أهل بيت دينو . ويبدو أن آشور ناصر بال اعتبر سلوكهم في هذه المناسبة إهانة لنفسه ، وعزم على معاقبة غطرستهم ، فشن حملته الثامنة ضد هذا الشعب الجريء الضعيف فقط . ولما عجزوا عن مواجهة قواته في الميدان ، حبسوا أنفسهم في مدينتهم الرئيسية كبريبي ، التي حاصرها الآشوريون على الفور ، وسرعان ما استولى عليها الآشوريون وأحرقوها . واجتاح الآشوريون بلد بيت دينو ، الذي كان يقع على الضفة اليسرى أو الشرقية لنهر الفرات ، بالقرب من باليس الحديثة ، وأضيف إلى الإمبراطورية . وتم نقل ألفين وخمسمائة سجين وإسكانهم في كالح . إن أكثر حملات آشور ناصر بال إثارة للاهتمام هي الحملة التاسعة التي شنها ضد سوريا . فبعد أن عبر بلاد ما بين النهرين العليا ، وتلقى في طريقه جزية مختلفة، عبر الملك الآشوري نهر الفرات على طوافات ، ودخل مدينة كركميش ، وخضع له سنجارا ، الأمير الحثي الذي كان يحكم تلك المدينة ، وزعماء آخرون مختلفون ، ،جاءوا باحترام وقبلوا صولجانه . ثم أصدر الأمر بالتقدم نحو لبنان . فدخل أراضي الباتينا ، التي كانت مجاورة للحثيين الشماليين ، وكانت تسيطر على البلاد حول أنطاكية وحلب ، واحتل العاصمة كينالوا ، التي كانت تقع بين أفرينو (أو عفرين) ونهر العاصي ؛ فأثار قلق الملك المتمرد لوبارنا ، فخضع ووافق على دفع الجزية ، ثم عبر نهر العاصي ودمر بعض مدن الباتينا ، ومر على طول الجانب الشمالي من لبنان ، ووصل إلى البحر الأبيض المتوسط . وهناك أقام مذابح وقدم ذبائح للآلهة ، وبعد ذلك نال خضوع الدول الفينيقية الرئيسية ، ومن بينها صور وصيدا وجبيل وأرادوس . ثم توجه إلى الداخل ، وزار سلسلة جبال أمانوس ، حيث قطع الأخشاب ، وأقام نصباً تذكارياً ، وقدم الذبائح . وبعد ذلك عاد إلى آشور ، حاملاً معه ، إلى جانب الغنائم الأخرى ، كمية من العوارض الخشبية ، ربما كانت من خشب الأرز ، والتي نقلها بعناية إلى نينوى لاستخدامها في مبانيه العامة ..

كانت الحملة العاشرة التي شنها آشور ناصر بال ، وهي الأخيرة التي تم تسجيلها ، في منطقة أعالي نهر دجلة . ومن الصعب تتبع التفاصيل الجغرافية هنا . ولا يسعنا إلا أن نقول إن الملك الآشوري ، كعادته ، يزعم أنه تغلب على كل المقاومة ، وهزم الجيوش ، وأحرق المدن ، وأسر أعداداً هائلة من الأسرى . وكانت المدينة الملكية التي هاجمها الملك بشكل رئيسي هي آماد ، التي تُعرف الآن باسم ديار بكر ، والتي تمثل الموقع الرئيسي للحملة . وبينما كان يخوض هذه الحروب المهمة ، والتي كانت جميعها ضمن السنوات الست الأولى من حكمه ، كان آشور ناصر بال ، مثل سلفه العظيم تغلث فلاسر ، غير عابئ أحيانًا بالانغماس في ترفيه الصيد . وهو يقاطع سرد إنجازاته العسكرية لتسجيل ، لمصلحة الأجيال القادمة ، أنه في إحدى المرات قتل خمسين ثوراً بريًا كبيراً على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، وأسر ثمانية من نفس الحيوانات ، في حين قتل في يوم آخر عشرين نعامة (؟) وأسر نفس العدد .

يمكننا أن نستنتج من مثال تغلث فلاسر ومن نقوش أخرى لآشور ناصر بال نفسه أن الحيوانات المأسورة كانت تُنقل إلى آشور إما كتحف أو على الأرجح ، كأغراض للصيد . تُظهر منحوتات آشور ناصر بال أن مطاردة الثور البري كانت واحدة من هواياته المفضلة ، ولأن الحيوانات كانت نادرة في آشور ، فربما وجد أنه من المناسب استيرادها ومع ذلك ، يبدو أن آشور ناصر بال كان يمتلك حديقة حيوانات في جوار نينوى ، حيث كانت تُربى فيها مجموعة متنوعة من الحيوانات الغريبة والفضولية . ولقد كان الفينيقيون في عهده يستقبلون الحيوانات التي يطلق عليها اسم باغوت أو باغات وربما كانت أفيالاً . كجزية ، في مناسبة واحدة على الأقل ، ويضعونها في هذا المكان المحاط بأسوار آشور ، حيث (كما يقول لنا) كانت هذه الحيوانات تزدهر وتتكاثر وكان ذوقه في مثل هذه التحف معروفاً إلى حد أن الملوك المجاورين له سعوا إلى إرضائه ؛ حتى أن ملك مصر ، وهو فرعون من الأسرة الثانية والعشرين على الأرجح ، أرسل إليه هدية عبارة عن حيوانات غريبة عندما كان في جنوب سوريا ، كنوع من الإطراء الذي قد يلقى استحسانه . ولقد وجد هذا الشغف بالصيد ، الذي لا شك أنه كان يمارسه إلى حد ما في وطنه ، في سوريا ، وفي البلاد الواقعة على نهر دجلة الأعلى ، أوسع وأكثر تنوعاً في ممارسته. في نقش مسلة ، صُمم خصيصاً لإحياء ذكرى رحلة صيد كبيرة إلى هذه المناطق ، يخبرنا أنه بالإضافة إلى الظباء من جميع الأنواع ، التي أخذها وأرسلها إلى آشور، فقد استولى على الحيوانات التالية ودمرها الأسود ، والأغنام البرية، والأيل الأحمر ، والأيل الأسمر، والماعز البري أو الوعول ، والفهود الكبيرة والصغيرة ، والدببة ، والذئاب ، والذئاب ، والخنازير البرية ، والنعام ، والثعالب ، والضباع ، والحمير البرية ، وبعض الأنواع التي لم يتم تحديدها .

ومن نقش آخر نتعلم أنه في أثناء رحلة استكشافية أخرى يبدو أنها كانت في صحراء بلاد ما بين النهرين ، دمر 360 أسداً كبيراً ، و257 من الماشية البرية الكبيرة ، وثلاثين جاموساً ، بينما أخذ وأرسل إلى كالح خمسة عشر أسداً بالغاً ، وخمسين أسدًا صغيرًا ، وبعض النمور ، وعدة أزواج من الجاموس البري والماشية البرية ، إلى جانب النعام والذئاب والأيائل الحمراء والدببة والفهود والضباع . وهكذا كان لا يزال في ساعات سلامه مشغولاً بنشاط ، وفي مطاردة العديد من الوحوش الخطيرة كان قادراً على ممارسة نفس الصفات من الشجاعة والهدوء والمهارة في استخدام الأسلحة التي أكسبته في حروبه مثل هذه النجاحات المتكررة والعظيمة ..

لقد تم وصف طبيعة منحوتات آشور ناصر بال بشكل كافٍ في فصل سابق . فهي تتمتع بروح عظيمة وجرأة وقوة ، وأحيانًا تظهر جدارة حقيقية في التصميم ، لكنها خرقاء في الرسم وخشنة إلى حد ما في التنفيذ . وما يفاجئنا بشكل رئيسي فيما يتعلق بها هو المفاجأة التي يبدو أن الفن الذي تظهره قد ظهر بها ، دون المرور بالمراحل المعتادة من الوقاحة وعدم الكمال . باستثناء تمثال مشوه، وتنفيذ رديء للغاية ، ولوح صخري واحد ، ليس لدينا عينات متبقية من الفن المقلد الآشوري أقدم من هذا الملك . يبدو أن هذا الفن بدأ تقريباً في آشور ، مثل مينيرفا من رأس جوبيتر ، ناضجة تماماً . لا شك أن آشور ناصر بال كان لديه بعض المباني التي بناها الملوك السابقون لنسخ منها ، سواء في قصوره أو في مبانيه المقدسة ؛ لا بد أن القصور والمعابد القديمة في كيليه شرقات كانت تتمتع بعظمة

معينة ؛ ولقد كان هذا الملك في عمارته لا يتجاوز مجرد توسعة وتحسين النماذج التي تركها له أسلافه ولكن زخارفه ، على حد ما يبدو ، كانت من صنعه . فقد أنتجت تلال كيليه شرقات الطوب بكثرة ، ولكن لم تنتج قطعة واحدة من لوح منحوت . ولا نستطيع أن نثبت أن النقوش البارزة الزخرفية لم تكن موجودة قبل زمن آشور ناصر بال ، والواقع أن الألواح الصخرية التي أقامها الملوك الأوائل كانت منحوتات من هذا النوع ، ولكن يبدو أن آشور ناصر بال هو الذي يعود إليه الفضل على الإطلاق في تبني النقوش البارزة على نطاق واسع كزخرفة معمارية ، واستخدامها لتمثيل الحياة العامة للملك بوسائلها ..

وقد شيد هذا الملك معبداً آخر مكرساً لشيسين في نينوى . ولعل هذا المعبد كان من أجل تزيين هذا البناء ، فقد قطع أشجاراً ضخمة في أمانوس وأماكن أخرى أثناء حملته السورية ، ونقلها عبر بلاد ما بين النهرين إلى آشور . ويذكر صراحة أن هذه العوارض لم تُنقل إلى كالح ، حيث كان آشور ناصر بال يقيم عادة ، بل إلى نينوى .

ومن بين الأعمال الرائعة التي ربما أقامها هذا الملك وأقامها تخليداً لذكرى حكمه في نفس المدينة ، مسلة من الحجر الأبيض ، وهي الآن في المتحف البريطاني . وعلى هذا النصب التذكاري ، الذي كان مغطى من جميع جوانبه الأربعة بالمنحوتات والنقوش ، والتي كادت أن تندثر الآن ، خلد آشور ناصر بال حروبه ومغامراته في الصيد في بلدان مختلفة . والمسلة عبارة عن كتلة ضخمة ، يبلغ ارتفاعها نحو اثني عشر أو ثلاثة عشر قدماً ، وعرضها عند القاعدة قدمين . إن هذا الشكل من الزخارف الآشورية يظهر أن فكرة المسلة لم تأت من مصر ، حيث كانت القمة الهرمية تستخدم على نطاق واسع ، حيث كانت تعتبر أساسية لهذه الفئة من الزخارف . وإذا كان علينا أن نبحث عن أصل أجنبي لهذا الاختراع ، فربما نجده في الأعمدة الأيزيدية التي استخدمها الفينيقيون كزينة أو نصب تذكارية ، من العصور القديمة البعيدة، وهي أشياء ربما رآها الملك الذي كان يأخذ الجزية من صور وصيدا وأرادس وجبيل ومعظم المدن السورية البحرية ..

ومن أهم أعمال هذا الملك العظيم النفق والقناة التي سبق وصفها بالتفصيل ، والتي استخدمها لجلب مياه الزاب الأعظم إلى كالح ، بعد إنفاق مبالغ ضخمة من المال والعمل . ويذكر آشور ناصر بال هذا العمل العظيم في سجلاته ؛ كما تم تخليد ذكراه باعتباره مؤلفه في اللوحة التي وضعها سنحاريب في النفق ، عندما قام بعد قرنين من الزمان بإصلاحه وإعادة استخدامه مرة أخرى . ومن الواضح أن آشور ناصر بال ، على الرغم من أنه قام بتزيين وتجميل كل من العاصمة القديمة ، أشور، ومدينة نينوى الناشئة الآن ، إلا أنه كان ينظر إلى مدينة كالح بعين الرضا أكثر من أي مدينة أخرى ، فجعلها المقر العادي لبلاطه ، ومنحها اهتمامه ورعايته الرئيسيين . ويبدو أن السيادة الآشورية كانت قد امتدت بحلول هذا الوقت إلى الشمال إلى الحد الذي لم يعد فيه موقع أشور (أو كيليه شرقات) مركزياً بما يكفي للعاصمة . ولقد نُقِل مقر الحكومة على بعد أربعين ميلاً إلى أعلى النهر. وفي الوقت نفسه نُقِل من الضفة الغربية إلى الشرق، ووُضِع في منطقة حدياب الخصبة ، بالقرب من ملتقى نهر الزاب الكبير مع نهر دجلة . وهنا ، في موقع قوي وصحي ، على نتوء منخفض من جبل مقلوب (بعشيقة وبحزاني) ، محمياً من كلا الجانبين بنهر عميق

، نمت العاصمة الجديدة إلى العظمة . وارتفعت القصور تلو القصور على منصتها العالية ، الغنية بالأعمال الخشبية المنحوتة ، والتذهيب ، والرسم ، والنحت ، والمينا ، وكل منها يهدف إلى التفوق على سابقه ، بينما زينت الأسود الحجرية ، وأبو الهول ، والمسلات ، والأضرحة ، وأبراج المعابد الإيزيدية ، وكسرت رتابة تشابهها بالتنوع . وأضفت الزقورة الشاهقة الملحقة بمعبد شيسين وملك سالم ، والتي تهيمن على الكل ، الوحدة على الكتلة الهائلة من المباني الفخمة والمقدسة . كان نهر دجلة ، الذي كان يحيط بالقاعدة الغربية للتل ، يحجب كل شيء بأمواجها ، وبتضاعف ارتفاعه الظاهري ، أصبح من الصعب ملاحظة الضعف الرئيسي في الهندسة المعمارية . وعندما أضاءت الشمس الغاربة المنظر بألوانها الرائعة التي لا تُرى إلا تحت سماء شرقية ، بدا كالح للمسافر الذي رآه لأول مرة وكأنه رؤية من عالم الجنيات بعد أن حكم ببراعة لمدة خمسة وعشرين عاماً ، من عام 883 قبل الميلاد إلى عام 858 قبل الميلاد ، توفي هذا الأمير العظيم الفاتح (كما يسمي نفسه) ، من الممر العلوي لنهر دجلة إلى لبنان والبحر الأعظم ، الذي خفض تحت سلطته جميع البلدان من شروق الشمس إلى غروبها ربما في سن لم يتقدم فيها كثيرًا ، وترك عرشه لابنه ، الذي حمل اسم شلمنصر ..

ويبدو أن شلمنصر الثاني، ابن آشور ناصر بال ، الذي ربما تدرب على حمل السلاح تحت قيادة والده ، ورث روحه العسكرية بالكامل ، وخاض حروباً ناجحة على الأقل ضد جيرانه . وامتد حكمه إلى فترة غير عادية بلغت خمسة وثلاثين عاماً ، وخلال هذه الفترة قاد بنفسه ما لا يقل عن ثلاث وعشرين حملة عسكرية ، إلى جانب تكليف ثلاثة أو أربعة بعثات أخرى لجنرال مفضل . وسيكون من الصعب تتبع هذه الحملات العديدة والمثيرة للاهتمام بشكل عام ، حيث تتابع الغزو والمعركة والفرار والحصار والاستسلام والعودة المنتصرة في تناغم رتيب . ويتحسن أسلوب مؤرخي بلاط آشور بمرور الوقت . ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر جفافاً وابتذالًا من الأدب التاريخي لهذه الفترة التي لم تعطي الحقبة حقها الطبيعي في محاربة من كان يُدنس قيم الطهارة والنقاء والإستقامة ، والذي يذكرنا بالجهود المبكرة التي بذلها البابليون في هذا المجال ، ويظهر بأشكال واضحة لمؤلفات ستو وهولينشد إن مؤرخي تغلث فلاصر الأول ، الذين عاشوا قبل قرنين أو ثلاثة قرون ، يتفوقون ككتاب على مؤرخي الفترة التي وصلنا إليها ، الذين يتجنبون كل أشكال الأناقة ، ويكتفون بأقصر العبارات وأكثرها جفافاً ، وبجمل من نمط واحد غير متغير ..

وبدلاً من أن أتبع المسار المباشر للمؤرخ الذي استخدمه شلمنصر لتسجيل مآثره ، وأن أشرع في تحليل روايته للحملات السبع والعشرين التي تخص هذا العهد ، فسوف أقدم للقارئ النتيجة العامة في بضع كلمات ، ثم ألفت انتباهه بشكل خاص إلى بعض الحملات التي لها أهمية أكبر من الأهمية العامة لقد كانت مرحلة ذهبية للعاهل الآشوري الذي حمل على عاتقه محاربة الإرهاب والشعوب التي كانت تدنس قيم الطهارة والإستقامة ..

Sources

Les Religions de Babylonie et d'Assyrie. By E. Dhorme. Paris, 1945.

BabylonienundAssyrien. Vol. II. By B. Meissner. Heidelberg, 1925.

Babylonian Magic and Sorcery. By L. W. King. Luzac, 1896. Semitic Magic. By R. Campbell Thompson. Luzac, 1908.

The Babylonian Akitu Festival. By S. A. Pallis. Copenhagen, 1926.

The Code of Hammurabi. By R. F. Harper. Chicago, 1904.

The Assyrian Laws. By G. R. Driver and Sir J. C. Miles. Oxford, 1935.

Das weltliche Recht im Alten Testament. A. Jirku. Gutersloh, 1927. Rituels Accadiens. By F. Thureau-Dangin. Paris, 1921.

Legends of Babylon and Egypt. By L. W. King. Schweich Lectures, 1916.

Ideas of Divine Rule in the Ancient East. By C. J. Gadd. Schweich Lectures, 1945.

Babylonian Menologies and the Semitic Calendars. By S. Langdon. Schweich Lectures, 1933.

The Origins of Early Semitic Ritual. By S. H. Hooke. Schweich Lectures, 1935.

Myth and Ritual. Ed. S. H. Hooke. Oxford, 1933.

Sumerian Mythology. By S. N. Kramer. Philadelphia, 1944.

State Letters of Assyria. By R. H. Pfeiffer. New Haven, 1935.

Die assyrische,," .," Maqlu. By G. Meier. Berlin, 1937.

Cylinder Seals. By H. Frankfort. Macmillan, 1939.

The Intellectual Adventure of Ancient Man. Ed. H. Frankfort. Chicago, 1946.

Kingship and the Gods. By H. Frankfort. Chicago, 1948.

Akkadische Götterepitheta. By K. Tallqvist. Leipzig, 1938.

Die physiognomischen Omina der Babylonier. By F. R. Kraus. Leipzig, 1935.

La Magie Assyrienne. By C. Fossey. Paris, 1902.

Aus dem Tagewerk eines assyrischen Zauberpriesters. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.
Das assyrische Ritual By K. F. Miiller. Leipzig, 1937.

328 Assyrische-Bdbylonische Briefe kultischen Inhalts. By E. Behrens. Leipzig, 1906.

The Legend of Etana and the Eagle. By S. Langdon. Paris, 1932.

Chronicles concerning Early Babylonian Kings. By L. W. King. Luzac, 1907.

Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament. Ed. J. B. Pritchard. Princeton, 1950.

The Devils and Evil Spirits of Babylonia. By R. Campbell Thompson. Luzac. Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

THE CIVILIZATION OF BABYLONIA AND ASSYRIA MORRIS JASTROW, JR. LECTURES DELIVERED CHDEBTHC BICHARD B. WESTBROOK LECTURESHIP FOUNDATION ASSYRIA ITS PRINCES, PRIESTS, AND PEOPLEA. H. SAYCE, M.A. DEPUTY PROFESSOR OF COMPARATIVE PHILOLOGY, OXFORD, HON. LL.D. DUBLIN, ETC. AI-THOR OF FRESH LIGHT FROM THE ANCIENT MONUMENTS, AN INTRODUCTION TO EZRA, NEHEMIAH, AND ESTHER, LONDON: THE RELIGIOUS TRACT SOCIETY, 56, PATERNOSTER Row, 65, ST. PAUL S CHURCHYARD, AND 164, PICCADILLY. 1885.

Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East. By Ivan Engnell. Uppsala, 1945.

The Early History of Assyria. By Sidney Smith. Chatto and Windus, 1928. A History of Sumer and Akkad. By L. W. King. Chatto and Windus, 1923.

A History of Babylon. By L. W. King. Chatto and Windus, 1915.

Die Religion Babyloniens und Assyriens. By M. Jastrow. Giessen, 1912.

Babylonian-Assyrian Birth-Omens. By M. Jastrow. Giessen, 1914.

A HISTORY OF ART CHALDy^A AND ASSYRIA. Xonbon: chapman and hall, Limited. ftfe yorh : A. C. ARMSTRONG AND SON. 18S4. THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIAMORRIS JASTROW, JR., PH.D. (LEIPZIG) PROFESSOR OF SEMITIC LANGUAGES IN THE UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA, BOSTON, U.S.A. GINN & COMPANY, PUBLISHERS 1898 MYTHS &? LEGENDS OF BABYLONIA &f ASSYRIA , LEWIS SPENCE F.R.A.I. AUTHOR OF " THE MYTHS OF MEXICO AND PERU LIZATION OF ANCIENT MEXICO " " THE POPOL VUH "the myths OF THE NORTH AMERICAN INDIANS" " MYTHS AND LEGENDS OF ANCIENT EGYPT " ETC. WITH EIGHT PLATES IN COLOUR BY EVELYN PAUL AND THIRTY-TWO OTHER ILLUSTRATIONS THE SEVEN GREAT MONARCHIES OF THE ANCIENT EASTERN WORLD; OR, THE HISTORY, GEOGRAPHY, AND ANTIQUITIES OF CHALDAEA, ASSYRIA 329 BABYLON, MEDIA, PERSIA, PARTHIA, AND SASSANIAN, OR NEW PERSIAN EMPIRE. A HISTORY OF SCIENCE,HENRY SMITH WELLIAMS; EDWARD WELLIAMS A History of Babylonia and Assyria Volume I Robert William Rogers Published 1900 A.D.

A History of Babylonia and Assyria Volume II Robert William Rogers Published 1900 A.D. EVERYDAY LIFE IN BABYLONIA AND ASSYRIA H. W. F. SAGGS Drawings by Helen Nixon Fairfield Published 1965 A.D. Assyrian International News Agency People Of Ancient Assyria Jorgen Laessoe Translated from the Danish by F. S. Leigh-Browne Published 1963 A.D. Assyrian International

News Agency Assyrische Historiographie –Eine Quellenstudie Studien an der Universität von Missouri Reihe Sozialwissenschaften, Band III, Nummer 1.1916 Assyrische Historiographie THE EPIC OF GILGAMESH, N. K. Sanders Assyrian International News Agency Books Online www.aina.org Spelling and error correction by John Paulose THE STOBY OF AHIKAEFROM THE SYEIAC, AEABIC, AEMENIAN, ETHIOPIC, GEEEK AND SLAVONICYEESIONS BY F. C. CONYBEARE, J. RENDEL HARRIS, AND AGNES SMITH LEWIS. LONDON: C. J. CLAY AND SONS, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS WAREHOUSE, AVE MARIA LANE. GLASGOW: 263, ARGYLB STKBET. 1898